

جان بيير سيشيلرو

# الفخ القاتل

مكتبة | 149

نقله إلى العربية  
عبد الحميد سلطاني



العبدكان  
Obékan

# الفخ القاتل





# الفخ القاتل

تأليف

جان بيير سيشيلرو

مكتبة الرمحي أحمد

نقله إلى العربية

عبد الحميد سلطاني

العبيكان  
Obékan

Original Title:

## **Le piege fatal**

**Thriller thérapeutique**

**By: JEAN-PIERRE CICHELERO**

(Copyright © Editions Jouvence, 2006)

Editions Jouvence, S.A.

Chemin du Guillon 20

Case 143 CH-1233 Bernex

<http://www.editions-jouvence.com>

[info@editions-jouvence.com](mailto:info@editions-jouvence.com)

ISBN 2 - 88353 - 485 - 3

All rights reserved. Authorized translation from the French language edition  
EDITIONS JOUVENCE France: BP 90107 - 74161 St-Julien-en-Genevois Cedex  
Suisse: CP 184-1233 Geneve-Bernex France

حقوق الطبع العربية محفوظة للبيكان بالتعاقد مع إيديشن جوفانس - فرنسا

©  1429 هـ - 2008 م

ISBN 3 - 370 - 54 - 9960 - 978

الطبعة العربية الأولى 1429 هـ - 2008 م





# المحتويات

الصفحة

الموضوع

9	مقدمة
19	الفصل 1
47	الفصل 2
51	الفصل 3
65	الفصل 4
73	الفصل 5
81	الفصل 6
85	الفصل 7
95	الفصل 8
103	الفصل 9
115	الفصل 10
121	الفصل 11
137	الفصل 12
143	الفصل 13
155	الفصل 14
157	الفصل 15
159	الفصل 16
161	الفصل 17
175	الفصل 18
185	الفصل 19
205	الفصل 20



211	الفصل 21
225	الفصل 22
229	الفصل 23
235	الفصل 24
241	الفصل 25
265	الفصل 26
269	الفصل 27
279	الفصل 28
285	الفصل 29
293	الفصل 30
297	الفصل 31

## مقدمة

ظهرت في آخر القرن التاسع عشر مادة جديدة مصنوعة من ورق التبغ، ألا وهي السيجارة، مادة سهلة التخزين، وسهلة الاستعمال، وقليلة التكلفة في التصنيع. نشرت هذه السيجارة التدخين في كل أرجاء المعمورة.

بدأ الرجال يتعاطونها أولاً، ثم تبعتهم النساء لاحقاً، انتشرت أولاً في الأوساط الثرية، ثم فيما بعد في الأوساط الشعبية والفقيرة، وهكذا بدأ ينتشر أكبر وباء عرفه تاريخ البشرية، فقد قضى على مئة ألف مدمن، ماتوا في القرن العشرين، وهذا الرقم يفوق ما قتله كل طغاة العالم، خلال هذا القرن، وإذا بقي الوضع على حاله، فسوف نشهد موت مليار شخص خلال هذا القرن، لقد أصبح الوضع على منتهى الخطورة، حتى إن العديد من الدول اتفقت مع منظمة الصحة الدولية على وضع حلف عالمي ضد التدخين بداية 27 فبراير 2005م.

هذه عملية ضخمة تتعدى طاقة البشرية وتفوق إدراكهم؛ لأن الأمر يخص صناعة كبرى، صناعة السجائر التي لا ترى إلا مصالحها وأرباحها، دون الالتفات إلى البشرية ولا احترام حقوقهم.

أمام هذا الوضع الخطير يمكن فقدان الشجاعة لمواجهة هذه الآفة، كما يمكن نسيان وتجاهل الأهم، وهو آلام الناس وأوجاعهم، آلام كل من حولنا.

إذا أردت أن تعرف أكثر فكتاب (جان بيير سيشلرو) يدخلك من أوسع الأبواب وأعمقها، فهو سوف تعيش معه قصة طفل عمره 9 سنوات، ولد طبيعياً، في منتهى البشاشة، له عيوب مثل أي طفل يعيش حولنا أو معنا.

يتميز هذا الكاتب بفن الكتابة الشيقة، فقد مزج بين القصة وفن المفتش الشاطر؛ لأن بداية القصة توحى لنا أن نهايتها (درامية). لقد عرف الكاتب كيف يمزج بطريقة علمية بين التحليل والعوامل التي ستتسبب آخرأ في موت البطل الصغير. بمتابعة هذا الطفل صغيراً، ثم حين يكبر سوف تتعرفون على عالم السجائر بشفاافية لا مثيل لها.

سواء أكنت مدخناً أم غير مدخن، اقرأ (الفخ القاتل) اقرأه سواء كنت تريد التوقف عن التدخين أم لا، بطل القصة اسمه (أنت) واسمه "هذا" أو "أنت" أو "هي" أو "نحن"، فهو ضحية طبيعية للتدخين، شأنه شأن أي شخص من الملايين المنتشرة حول العالم.

الأستاذ جيرار دويوا

رئيس الحلف الفرنسي ضد التدخين وعضو في أكاديمية الطب الوطنية



(الفح القاتل) وضع هذا العنوان خصيصاً؛ ليوضح هدف هذا الكتاب، بعد 40 سنة قضيتها في علاج التهابات الرئة لا زالت نائراً وحزيناً بسبب المآسي التي عشتها مع بعض المدخنين، مآسي لا حدود ولا نهاية لها، إنني أحلم اليوم وأتمنى ألا يقع أولادنا في هذا المأزق، وألا يتعاطوا التدخين أبداً.

- في العاشرة من العمر أو الحادية عشرة أغلب التلاميذ يرفضون التدخين بسبب توعية مدرسية ناجحة، توعية يرفضها بعضهم بالطبع، لقد سمعت الكثير من الأمهات، يعلن لي: لقد توقفت عن التدخين بسبب ضغط ولدي الذي يريدني أن أعيش أكثر مدة ممكنة.

لكن الوضع سرعان ما يتغير، عندما يبلغ الولد الثانية أو الثالثة عشرة من عمره، إذ يريد تقليد الكبار، تقليد الرجال، يريد أن يصبح رجلاً بآتم المعنى، والبنت تريد إثبات (حريتها واستقلاليتها)، فيبدأ الجميع تعاطي التدخين للانتماء إلى المجموعة (مجموعة المدخنين) ويصعب عليهم التوقف، هذا هو (الفح القاتل)، هذا هو الفح الذي لا يعرفونه جيداً، هم لا يعرفون خطورة السجائر على صحتهم، ومنهم من يعرف، وكثيرون الذين يعرفون؛ لأن أولياءهم قد حذروهم من قبل؛ فالكثير منهم اعترف لي بذلك: أنا أعرف يا دكتور أن التدخين مضر، سوف أدخن سنتين أو ثلاثة؛ حتى لا أفسل أمام أصدقائي ثم أتوقف عن التدخين، ولكن للأسف هذا وهم؛ لأن أغلب الناس لا يستطيعون التوقف، وسوف يحرقون أنفسهم. (جان بيير سيثلرو) هو أحد تلاميذنا المتخصص في معالجة التدخين، وأحسن من يعرف هذه الآفة وأحسن من يعالجها ويقاومها.

لهذا الغرض قام بكتابة هذا الكتاب القيم الذي يتوجّه به إلى كل المدخنين وغير المدخنين؛ متمنياً أن يقرأه الشباب؛ لأنه يخصّهم أكثر من غيرهم.

سوف تتم قراءته أكثر لو اهتم المربّون بالمدارس بتشويق الشباب لقراءته من أجل المحافظة على صحتهم والوقاية من هذه الآفة الخبيثة، مهمة هؤلاء المربين هي

الاستعانة بهذا الكتاب كأحد الوسائل التربوية، قراءة هذا الكتاب سوف لا تحدث ردة فعل حادة وفورية، بل ستجعلنا ن فكر بعقل وترو، سوف نستخلص العبرة بعد تصور الوضع المأساوي الذي قد نضع أنفسنا فيه، وسوف نضع هذه الصورة أمام أعيننا... ولدة طويلة أتمنى أن يقع الكثير في فخ هذا الكتاب مثل ما وقع الصبي في فخ التدخين، وأن يستمر الكثير في قراءته لاستخلاص العبرة منه.

سوف يقول بعضهم: إنه ببالغ، كيف يموت شاب عمره 24 سنة بسبب سرطان الرئة، هذا مستحيل، لكن للأسف هذا ما يحصل، وهذا ما حصل، هناك حالة أخرى: ولد عمره عشرون سنة توفي أيضاً بسبب التدخين بعد أن بدأ يدخن، وهو في التاسعة أيضاً، لاشك أن (جنون البشرية) لا حدود له، لقد شاهدت قريباً رجلاً مدخناً علّمه عمه التدخين، وهو في الرابعة من عمره.

الأستاذ بيير بارتش

متخصص في علاج التدخين

رئيس هيئة مقاومة الأمراض التنفسية والتربية الصحية

(FARES) أستاذ بامتياز في الأمراض الرئوية بجامعة لياج بلجيكا

### السجائر: مؤامرة قبيحة لا تهتم إلا بالأرباح

خلال 1992 و1994 قمت مع مجموعة من الكنديين ورجال من منطقة الكويبيك بمعركة شرسة لمحاربة الشركات التي تغزو البلد بالسجائر عن طريق التهريب وبأسعار زهيدة، فالغرض من عمليات التهريب هو إرغام الحكومة على تخفيض الضرائب على السجائر.

في هذه المدة كانت السلطات الكندية وسلطات الكويبيك بصفة خاصة قد بدأت حملة شرسة ضد شركات السجائر وأثمرت هذه الحملة بانخفاض عدد المدخنين بشكل ملحوظ وخاصة لدى الشباب.

لقد تم الإعداد لها منذ زمن بعيد؛ لذا بدأت تعطي ثمارها، لكن حصل شيء غريب: لقد أخذت السلطات الحكومية بتخفيض قيمة الضرائب على عكس ما كان منتظراً، انخفض سعر السجائر في الكوبيك إلى النصف، هذا ما جعل ممرضة في إحدى المدارس تصرح: (هذا الإجراء قضى على عشرين سنة من العمل والمقاومة والمحاربة للسجائر بالمدارس).

وقد صدقت هذه الممرضة؛ لأن ما حصل فيما بعد هو ما تتبأت به، إذ قامت وزارة الصحة والخدمات الاجتماعية بإجراء دراسة أثبتت أن نسبة الشباب الذين تتراوح أعمارهم ما بين 12 إلى 17 سنة 38% منهم أصبحوا من المدخنين سنة 1991.

وهكذا يتضح لنا أن صنّاع السجائر لا يتوقفون عن تحايلهم وخداعهم لتدمير الشباب الذين يتعاطون سمومهم، فهم يتحايلون دائماً، ويستمررون في إخفاء الحقيقة عن المدخن وغير المدخن مدّعين أن السجائر لا تضر مع أنهم يعرفون ضررها على المدخن وعلى غير المدخن، وهذا ما أثبتته العديد من الدراسات العلمية الدقيقة، إنهم يعرفون أن من يتعاطى سمومهم سوف يصبح عبداً يتحكم فيه النيكوتين كيف يشاء، يعرفون ذلك جيداً، لكنهم يستمررون في سباتهم ويتمادون في تنفيذ جريمتهم.

في المدة ما بين 1965 و1995 ضاعفوا كمية مادة النيكوتين في السجائر التي تباع بكندا، ونتج عن ذلك عبودية أكثر وإدمان أكبر.

Nicotine in whole tobacco smoke A study Funded under, w. s Risker  
contact with health' Canada March 1995

إن شركات تصنيع السجائر تعرف جيداً أنه ليس لها أي مصداقية لدى الجمهور؛ لذا فوّضت العديد من الجمعيات لرعاية مصالحها وتنميتها والدفاع عنها، في كندا مثلاً هناك مؤسسة Air و Mon choix و Co: كلها مؤسسات تحارب كل القوانين التي تحاول منع التدخين بالأماكن العمومية ومنع التدخين في مرافق العمل،

مؤسسة أخرى تدافع عن شركات التبغ التي ترعى الحفلات الموسيقية والرياضية وتمولها بغرض الترويج غير المباشر لسمومها .

مثل هذه التصرفات كثيرة ومنتشرة في كل أنحاء العالم، ففي العالم الثالث مثلاً يلجؤون إلى وسائل أخرى، مثل التهديد بالقتل لكل من يساند أي قانون وقائي ضد التدخين، فهم يحاولون في كل مكان التهرب من القوانين التي تمنع الدعاية المباشرة، أو غير المباشرة والتي تروج لنشر سمومهم. (الفخ القاتل) له الفضل في عرض هذه المشكلة دون مجاملة، من خلال أشخاص خياليين، تظهر من خلالهم حقيقة صناعة السجائر وحيلهم وخبثهم وإثبات مضار النيكوتين ومخاطرها. لقد استطاع الكاتب أن يجعل من هذا الكتاب أداة تربوية مفيدة. في كندا وفي الكوبيك بالذات يُطلق اسم (التطبيع) على كل من يقاوم شركات السجائر ويحاربها؛ لأن هذه العملية تسمح لكل مدخن واع مطلع على حيل هؤلاء المتاجرين بالموت أن يكف عن التدخين، فلقد جاء (الفخ القاتل) ليدعم هذا الاختيار وينضم إلى الوسائل العلاجية العديدة، أتمنى أن يقرأه الجميع، وأن يجد فيه كل قارئ اللذة والمتعة التي وجدتها فيه.

نوي غوفان

منسق بالاتحاد الكوبيكي لمراقبة التدخين

رئيس أول مؤتمر الفرنتفونية العالمية ضد التدخين (Cifcot-I)

التبغ مادة غير مضرّة، هذا غير صحيح، فهو المادة الوحيدة التي تفتك بنصف من يستهلكها، فهو يستخدم وفقاً لما تقرره صناعة السجائر، بحيث لا تفرق بين السّم والحرية والحلم والمتعة؛ ولهذا الغرض قامت الشركات بتمويل الألعاب الرياضية للتسلل إلى المجتمع.

محرّبة السجائر هي محرّبة السّموم، لقد كذبت علينا السجائر وتمادت في كذبها لسنين عديدة، مخفية عنا مضار التدخين والتدخين السلبي، مخترقة كل

الأوساط بما فيها الأوساط السياسية والعلمية على حد سواء. لقد لجأت شركات السجائر إلى كل الحيل للتهرب من الإجراءات الردعية للسلطات المختصة بالشؤون الصحية في كل أنحاء العالم، من بين هذه كذب وتلفيق، الفرض من هذه الحيل هو تأخير تنفيذ أي إجراء وقائي أو إلغائه، إذ تتحمل السجائر أكبر مسؤولية في العالم، ففي كل 7 أو 9 ثوان يموت شخص في العالم بسبب التدخين، لقد حان الوقت لوقف هذه المجزرة.

ولكي تكون المقاومة ناجحة لابد من اللجوء إلى وسائل وقائية رادعة، مثل: زيادة الضرائب على السجائر، ورفع ثمنها، بالإضافة إلى منع أي دعاية مباشرة أو غير مباشرة على السجائر بالطبع، وتسخير مبالغ كبيرة لمقاومة التدخين وعلاج المدخنين. هذا لا يكفي، إذ يجب إصدار قوانين لحماية المدخنين وغير المدخنين في الأماكن العامة وفي أماكن العمل، بخصوص هذا الموضوع لقد قامت منظمة الصحة الدولية بحملة تحد للتدخين بموافقة 168 دولة طالبت بإيقاف هذا الوباء عند حده.

لقد جاء هذا الكتاب ليبيّن بكل كلمة وبكل سطر كيف يقع الصبي في الفخ ويستمر في التدخين في سن المراهقة، ثم يستمر في سن الرشد، حتى يلقي حتفه بعد سنوات من التدخين.

سوف تطلع القارئة ويطلع القارئ على السبيل الذي سلكه المبتدئ، حتى يبلغ مثواه الأخير.

هذا الكتاب يحثنا على عدم التدخين وعدم البداية أبداً، وكما يحث كل مدخن على الكف عن التدخين فوراً.

الدكتور (جان شارل ريال)

طبيب مسؤول في مركز المعلومات الخاص بالوقاية من التدخين (Cipret)

(بجينييف سويسرا)





## || هذا الكتاب يخاطبكم ||

أنا فرح، فرح؛ لأنني في أيدٍ أمينة، أيادٍ طيبة، أنا أعرف أنكم سوف تداعبون هذه الصفحات خلال عشرين ساعة على الأقل، سوف تقرؤوني ثم تعيدون قراءتي، وتتساءلون وتسالون ذويكم وأقاربكم، سوف تبحثون عن القاتل، وعمن يشاركه هذه المهمة القذرة وسوف تبحثون.. وتبحثون. أنا أراكم وأنتم تَقْلِبُون الصفحات، أراكم تضحكون، أراكم تشكُّون، تعارضون.. أراكم ترحمون.. ثم أراكم تتصرفون.

سواء أنتِ (أنتِ) مدخن أو غير مدخن فأنا أعرف أنني سوف أقودكم إلى عالم غريب، عالم التدخين، سوف ترونه من الداخل، بصفة واقعية، سوف ترونه على حقيقته، سوف ترونه بعمق وبإنسانية، سوف ترون أنفسكم أيضاً، وسوف تفهمون غيركم أكثر فأكثر.

لقد تم تصميمي على طرح أهم موضوع، ألا وهو (صحّتنا) طرحه بطريقة جديدة وجذابة ومدهشة، لقد جئت، أخلصكم من شوكة كم هي مسمومة وقاتلة وغالية الثمن.

أنا متأكد أنكم بعد قراءة مبدئية (قراءة استطلاع) سوف تعيدون قراءتي جزئياً أو كلياً للتعلم في أعماقي للتفكير أكثر، للتأكد أكثر.. أنا شاكر ومقدر.

اغضروا لي؛ لأنني عدّبتكم معي: في آخر هذا الكتاب سوف تجدون اختباراً للاستفادة منه.

أتمنى لكم قراءة ممتعة، وحقاً سعيداً. ولكم خالص حبي،،،

(الفضح القاتل)

سلاح الدمار الشامل ضد التدخين



# الفصل 1

هو صبي عمره 9 سنوات اسمه (أنت)، ولد وقدم؛ ليسعد أهله ويسهم في فرحهم، لقد انتظر الوالدان طويلاً حتى رزقهما الله بهذا المولود، فكّرأ أولاً في تسميته: "ديزري" بمعنى (المرغوب) لكن سرعان ما عدلا عن هذا الاختيار، فقررأ تسميته: (إيمي) أي محبوب، وهو محبوب فعلاً، ولد في 31 مايو 1997م، إنه فعلاً يستحق هذا الاسم (المحبوب).

بعد هذه الولادة الناجحة رزقهم الله بنت سميها: (ليتيسيا) ثم رزقهم بولد آخر سميها: (بونوا) بلغت البنت الشقراء 6 سنوات وأصبحت جميلة، حتى إن أباهأ يكاد يذوب عند رؤيتها؛ لأنها تزرع السعادة بالببيت، أما الولد: (بونوا) فلا يزال حديث الولادة.

كان الأب يعمل في شركة مواد كيميائية، يعمل رئيس مبيعات، فهو بائع ماهر ومقدام يحسده كل من يعمل معه على مبيعاته التي تفوق كل التوقعات، فهو سعيد في عمله وفي بيته.

أما الأم، فهي أستاذة امتهنت التدريس، تتمتع بسلطة عالية، سلطة ثابتة، فهي أيضاً سعيدة بمهنتها التي توفر لها الكثير من المتعة، وإجازاتها كثيرة أيضاً، كانت تتمنى لو كان زوجها يتمتع بالحرية نفسها؛ كي يستمتعا معاً بالحياة.

بلغ (المحبوب) التاسعة من العمر وتغير طبعه من سيئ إلى أسوأ، لكن أباه يحب هذا الطبع ويفخر به، كانت نتائج المدرسة متوسطة، لكنه كان واثقاً من نفسه أكثر من غيره؛ لهذا تم تعيينه رئيس القسم بالمدرسة، لقد استطاع بجرأته الحصول على موافقة المدرسة على اقتراحه، بالرغم من اعتراض أستاذته (لافتيت) على ذلك، وهذا هو النص الخاص باقتراحه:

(كل من يوقع هنا يرغب في تجهيزات رياضية أفضل من تلك الموجودة بقاعة الرياضة، في آخر شهر مارس نريد جدار تسلق يغطي كل الواجهة، وبعد سوف نرى).

بالرغم من أنها قامت بمعاقبته على جرأته هذه لامته على أغلاطه التحوية، إلا أن الأستاذة كانت داخلياً فخورة به لإقدامه وشجاعته.

بالرغم من فشله الذريع في مطالبه أقدم بعد شهرين على مطالبة المدرسة بتوفير سيارات سباق لاستخدامها بالمدرسة مرة في الأسبوع لتعاطي السرعة والتمتع بها في ميدان قريب من المدرسة. كان محبوباً من كل زملائه، وكان ذلك مصدر فخر لأبويه، كان مندفعاً ومقداماً ومثيراً للاهتمام والأحاسيس، ومحباً لكل ما هو جديد، وهذا ما جعل طبعه متقلباً، وميالاً إلى العنف، وظهر هذا العنف أكثر، فأكثر في الألعاب التي يشارك فيها والده في نهاية الأسبوع والتي يريد التفوق فيها مهما كانت الوسائل بما فيها صراخه المزعج المتواصل.

ينهزم الأب أمام الابن وهو سعيد بهزيمته فيدعوه للتعبير عن فرحه بهذه المناسبة، ثم يغادره قائلاً:

أنا ذاهب إلى المكتبة سوف أراك لاحقاً عندما تبدأ سباقات السيارات (فور ميولا ون) بالتلفاز.

كان (إيمي) لا يفهم لماذا يتردد أبوه من حين إلى آخر على المكتبة، هذه المكتبة التي لا تتجاوز مساحتها 10م<sup>2</sup>. تقع في الدور الأول، ولها نافذة واحدة، ولا توجد

فيها إلا ثلاث مجلات. وكتاب واحد، لقد اكتشف منذ مدة سرّ أبيه الغامض، كانت زيارات أبيه لهذه المكتبة لا تتجاوز الخمس دقائق، لقد تجرّأ على مراقبته من خلال فتحة المفتاح، فهي حيلة خبيثة لكنها ناجحة. هكذا اكتشف أن أباه يدخل بالمكتبة، فاتحاً الشباك على مصراعيه مهما كان الطقس. فهم أيضاً لماذا كان والده يستخدم نوعاً من الحلوى خالية من المواد السكرية، كما فهم لماذا كانت رائحة ملابسه كريهة بالإضافة إلى رائحة الممر المتجه إلى المكتبة. ولكن ما يؤلمه أكثر هو هذا: لماذا كان والده يكذب عليه، لماذا يدخل خفية وأمه لماذا تكذب عليه أيضاً بإخفاء ذلك عليه؟ لماذا لم تخبره أمه بهذا، مع أنها تكره التدخين وتحاربه؟

(إيمي) يعشق الدروس الخاصة بالتربية البدنية والتربية الدينية التي يتلقاها بالمدرسة، كان يحب هذه الدروس التي كان يتلقاها من السيدة (لافيت)، كان يسهم في الأعمال الخيرية التي تقوم بها المدرسة، يبيع الطوابع الخاصة بذلك أو أي شيء آخر، فكان بائعاً ماهراً، فهو يحصل دائماً على جائزة أحسن بائع، وبهذا يتفوق فضله على جميع الفصول.

يوم الثلاثاء كانت الأستاذة (لافيت) حزينة جداً ومحبطة، فطلبت من التلاميذ الهدوء والسكوت، أجهشت بالبكاء ثم أخبرتهم أن صديقهم (برونو) سوف يتغيّب كل الأسبوع؛ لأن أمه توفيت (بعد معاناة كبيرة إثر مرض عضال، ماتت وعمرها 36 سنة، طلب (إيمي) من أستاذته توضيحات إضافية، فأخبرته أنها ماتت بسرطان الرئة، قامت المدرسة أيضاً بتزويدهم بشرح مبسط عن هذا المرض ومسبباته، سببه الأساس التدخين؛ لأن أم (برونو) كانت تدخن، وماتت بسرطان الرئة بعد معاناة طويلة وعذاب أطول.

أخبرتهم أيضاً أن أهل الأم عانوا من مرضها خلال سنتين، وسوف يعانون لسنين طويلة لفقدانهم لابنتهم؛ لأن خسارة الأم لا تعوض، طلبت منهم من اليوم فصاعداً تسمية السجائر (بالسرطان).

شعر (إيمي) بداخله بغضب شديد وثروة عارمة، من هي هذه المدرّسة حتى تتعامل هكذا على السّجائر، ماذا تعرف عن التدخين؟ لماذا تحكم مسبقاً على كل من هو مدخن بالموت الشّنيع؟ فهي تحكم على والده بالموت أيضاً، هذا مستحيل، صحيح أن والده يدخن خفية، لكنه لا يرى في ذلك أي خطورة، لو كانت السّجائر مضرّة لعرف ذلك وقام فوراً بالامتناع عن التدخين؛ لأنه كان يحبني ويحبنا جميعاً، كان يقول ذلك لإقناع نفسه، إنه مصدوم في أعماق نفسه، يتخبط بين الشك واليقين، وفي الليلة نفسها عندما رجع والده من العمل قبله كالعادة وقال له:

أبي رائحتك تفوح بالسرطان.

لم تصدق الأم ولا الأب ما سمعاه لأول مرة.

وكانت ردة الفعل سلبية جداً، هذه المعلومة من صنع السيدة (لافيت) دون أدنى شك، إنها معلومة كاذبة، لكنها إذا اتضحت صحيحة سوف تضع نهاية لبراءة ابنتها، إنه يتساءل: كيف تموت أم (برونو) بسرطان الرئة، وكيف لا يموت أبوه بالمرض نفسه؟ ومتى سيموت؟ هذا أول سؤال قد يراوده، سوف يتساءل كيف يتصرف أبوه بهذا الشكل؟ إنه يعرف أن والده يدخن، يدخن لأنه يعرف أنه ليس هناك أي خطورة في ذلك، فهو يدخن لأنه بحاجة إلى التدخين.

واقترح أخيراً بهذه الفكرة وانتهى الموضوع. بعد سنة أنهى (إيمي) المرحلة الابتدائية. لازل (إيمي) يتمتع بمواصفات الطفولة وفي الوقت نفسه دخل نادي الكبار، بدأ يتذمر من هذا الوضع (أهو صغير أم كبير؟) كان ينظر إلى من له 14 سنة باهتمام زائد، فكان يشاركهم ألعابهم واهتماماتهم، بالرغم من صغر سنه.

في الثانية عشرة من عمره أجريت له الحفلة المعتادة عند المسيحيين في هذا السن. أحسّ بعدها أنه أصبح يميل إلى عالم الكبار بعدما ترك عالم الطفولة، كان أبوه وأمه لا يبخلان عليه بشيء، لكنه أحس أنهما يهتمان أكثر فأكثر بأخته وأخيه الأصغر منه، لكنه لم يكتثر من هذا الوضع، وقبل ذلك لمصلحة الجميع، لكلّ مصلحته الخاصة.

كانت أمه تسهر على دراسته وتحاول أن تكون علاماته فوق المقبولة، لتشرّفها وتشرف مهنتها. ففي الكثير من الأحيان كانت تلجأ لمعاقبته وتأديبه، وتلجأ أحياناً أخرى إلى العنف معه وتعيش معه عواصف ساخنة، فكانت تؤنّب وتحم عليه وتجبره على عمل ما لا يرغبه وعمل ما ترغبه هي، حتى اختلط عليه الأمر، فهي الأم والأستاذة في الوقت نفسه، هل يشاغبها مثل ما يفعل بالمدرسة مع أساتذته؟ لكنه لازال يتردد.

إنه يعرف أنه القائد، لكنه لاحظ أن بعض الأولاد لازالوا مترددين في اتباعه، بينما أعلنت البنات كل البنات ولاءهن له.

كان يتصرف مع الجميع كالقائد المطلق، حتى تسمية نفسه كانت توحى بذلك، لقد أعلن له من هم أكبر منه سناً أن التحضير للحفل الديني الذي يتم بيت القديس يتم في الحديقة المؤدية إلى بيت هذا القديس، فقد أثار ذلك اهتمامه بهذا الحفل الديني الذي يحتفل به كل شاب في سنه، بالرغم من قوة شخصيته وحسن قيادته وولاء الكثيرين له لم يستطع معرفة أكثر مما يعرف.

قرب موعد الحفل، كان لا يهتم كثيراً بهذا الحفل، لكنه كان يتهيأ له بجدّ. فهو يستعد لذلك وينتظر أي شيء جديد لا يعرفه، الاعتكاف مثلاً، اعتكاف كل من يشارك من المدارس الأخرى، يدوم هذا الاعتكاف ثلاثة أيام يأتون من كل المناطق للمشاركة في هذا الحفل الكبير.

عمّت شهرته مدرسته؛ لأنها بالرغم من المشاغبات لا تزال تتمتع بالانضباط والتظيم، اشتهرت أيضاً بنوعية الدراسة وجودة التدريس، كان لمديرها المدعو (شيرلوك هولمز) شهرة خاصة.

بالرغم من عدم ظهوره كثيراً، فإنه يرى كل شيء ويعرف كل شيء ويسهر على كل شيء.

كان يمنع بالمدرسة وخارجها كل الألعاب التي تتسم بالعنف، فكانت لعبة (الرجبي) هي الفرصة الوحيدة أمام الطلبة لتصفية حساباتهم.



المراقبة الصارمة المفروضة على الطلبة سمحت للسلطات المدرسية سنة 1991 بملاحظة غياب أي نوع من المواد المخدرة بالمدرسة، والمحاولات القليلة لبعض الطلبة للتدخين في دورات المياه تم القضاء عليها وبأسرع ما يمكن، والفضل يرجع في ذلك إلى المدير (الحاضر الغائب)، فهو لا يقبل ذلك وكل من يحاول مصيره الطرد من المدرسة.

السَّجائر هي تحدُّ للسلطة؛ فهي الخطوة الأولى نحو مادة القنب أو أكثر من ذلك، هذا ما كان يردده أمام الأساتذة، وخاصة غير المقتنعين منهم. حان اليوم الأول للاعتكاف، فوجد (إيمي) نفسه مع مئة طالب وطالبة يستعدون كلهم لهذا الحفل الكبير، تعرّف بسرعة على منافسيه وعلى كل من يدعي القيادة، وفي آخر اليوم تعرف عليهم كلهم.

(...) في اليوم الثاني من الحفل أخرج موريس من جيبه علبة تحتوي على عشر سجائر وولاعة من الشركة نفسها، كان عمره 14 عاماً ينتمي إلى عائلة متواضعة، يكره المدرسة ويكره أي شيء يذكره بالسلطة، كان من المتمردين على الانضباط المدرسي، حتى القليل منه. كان كثير التقلب بين المدارس، كل سنة يغير المدرسة. وكان لا يحب إلا الجلوس في الخلف.. أبوه وأمه مطلقان ولا يعيرانه أي اهتمام. وهذا ما يناسبه طبعاً، هذا ما يساعده على العيش كيفما يريد دون إعطاء أي مبررات عن ذلك وعن نتائج المدرسة السيئة، كل هذا يجنبه التمرد على أهله وعلى السلطة، مدرسته الحالية من المدارس التي ترضي رغباته؛ لأنها من المدارس التي تسمح بكل شيء تقريباً، يحضر متى شاء ويتغيب متى يشاء، حتى العراك لا يعاقب عليه، السَّجائر مسموحة في أماكن مخصصة لذلك في المدرسة، بصفة رسمية يسمح بالتدخين لمن بلغ 14 عاماً فأكثر، لكن هناك من يدخل من العمر 9 سنوات.

هذا التسامح المدرسي كان مصدر سعادة لموريس ولكثيرين من أمثاله بهذه المدرسة، أما الأساتذة فقد استسلموا لتجنب أي مواجهة مع الطلبة.

والآباء كانوا منفعلين وغير منفعلين، المنفعلون منهم ينقلون أبناءهم إلى مدارس أخرى أشد صرامة، وجد موريس بهذه المدرسة ما يريجه ويفيده، فهو يفتتم الفرصة ليبيع السجائر ويحصل على ما يحتاجه من مصاريف أو أكثر.

كان إيمي ينتقل من مفاجأة إلى أخرى، فهو لا يشبه موريس ولا يريد أن يشبهه في يوم من الأيام. كان لا يحبه لانفراده بهذه الصفات الغريبة، لما عرض عليه تجربة أول سيجارة كان رفضه حاداً وقاطعاً، كان موريس سعيداً بهذا الرفض؛ لذا أخذ يلح عليه لإقناعه.

- في مدرستا كل من في عمرك يدخن.

- وبعد.

- إذا أردت أن تسيّر الآخرين، فما عليك إلا أن تدخن.

- أصحيح هذا؟

- ربما تريد المحافظة على ثدي والدتك أو الرجوع إلى المصاصة.

- ممنوع عليك التكلم عن أمي.. فهي لم تكلمني عن السجائر أبداً؛ لأن بيتنا خالٍ من التدخين. هكذا كذب (إيمي).

- ليس هناك من هو كامل... لقد شاهدت رعاة البقر، أليس كذلك؟

- لست بالأعمى.

- أصدقائي كلهم كرهاة البقر كلنا (ديناميكيون) (ما عدا من بالمدرسة) وكلنا في صحة جيدة. حتى أولئك المضطهدون وأولئك الذين يتسمون بالكآبة والحزن أصبحوا ينتمون إلى فرقنا، حتى أولئك الذين يحبون الوحدة في البيت وفي المدرسة أصبحوا من المدخنين يدخنون بلذّة وشراهة.

- السيجارة تشعرك باللذّة: هذا شيء جديد لا أعرفه.

- نعم أيها الغبي، إنها لذة عامرة، لذة الأصدقاء، لذة الحرية، لذة الشباب، لذة التمرد على سلطة المدرسة، وسلطة الأهل وسلطة المجتمع.

- فهي لذة القائد الوسيم الذي يتمتع بالحيوية والشباب، وهذا لا يتماشى مع أمثالك؛ لأنك تشبه العصفور الصغير الذي لم يغادر عشّه بعد.

- يا لك من محامٍ بارع، لكني لا أصدق كلمة واحدة مما تقول، قبل ثلاث سنوات توفيت أم زميل لنا في المدرسة بسبب التدخين، بسرطان الرئة بالتحديد، يبدو أن مرضها سبب لها معاناة كبيرة وعذاباً أكثر.

- وأنت تصدق هذا؟ هناك أكثر من مليار مدخن في الكرة الأرضية، هل هؤلاء كلهم أغبياء؟ اسمعني جيداً، لم يبق لنا سوى بضع دقائق. إذا كانت السجائر تقتل فواحدة لا تقتلك. هل يمكن على الأقل تصديق هذا؟

كان (إيمي) محتاراً بين هذا الخطاب المعسول وبين صورة والده، وهو يدخن في مكتبه فاقتنع بالكلام المعسول وأخذ السيجارة، سيجارة شقراء كما يسمونها، دهش من تصرفه هذا، كيف قبل بهذه السهولة ما رفضه من قبل؟ هل هي رغبته في إثبات رجولته، أو إثبات قوته كقائد أو إثبات رباطة جأشه أو رغبته في الحرية أو للتمرد على شيء ممنوع أو للخروج على طاعة والديه وعدم الظهور بالجبن أمام هذا الأحمق الماكر؟

رمى له موريس بالولاعة، فمسكها (إيمي) بحرطنة وأشعل السيجارة، أشعلها ثم أخذ يمتصها بشراهة، حتى سعل واشتد سعاله وكاد يختنق، في هذه الأثناء كان موريس يراقبه ويضحك.

هذه هي البداية، لكن سرعان ما تتعود وتدخل الجنة، جنة المدخنين لا جنة القديس، جنة المدخنين في الأرض.

حاول (إيمي) ثانية وثالثة حتى أحسّ بالإغماء والغثيان وكاد يستفرغ، أحس بحرقان في عينيه، إذا كان موريس يضحك، فهو لا يضحك إطلاقاً، لقد كان

منشراحاً؛ لأنه أراح ضميره، لقد ذاق ما كان يعدّه محرماً ونال جزاءه فوراً، فقال بنبرة من الحزن:

سوف لا تنال مني ثانية، يمكنك التمتع بما بقي لك من مصنع اللذات، وإذا أردت أن يبقى أصدقاء لا تكلمني أبداً عن السجائر، أنا لا أريد أن أصبح عبداً لشيء لا يعجبني.

دق الجرس، لتنتهي المقابلة بين المحامي والمشتكي في هذا اليوم بتاريخ 9 مايو 1991م.

في اليوم الثالث من عملية الاعتكاف اجتمع وراء كل شجرة مجموعة من البنات والأولاد وبدؤوا يتعاطون السجائر بعد أن وقعوا في شباك موريس، كان الكل يتنافس على هذه الظاهرة الجديدة، البنات أكثر تحفظاً ما عدا بعضهن، من كانت منهن تظن أن السجائر تزيد من شأنها أو تبرز جمالها.

منهن من تدخن أيضاً مساواة الأولاد وإبراز استقلاليتها. كانت فلورانس في هذه الأثناء تراقب (إيمي) دون أن يشعر بذلك، فلاحظت أنه لا يشارك الآخرين هذه اللعبة الممنوعة التي تستحق أن يلام عليها.

دقت ساعة النهاية، نهاية الاعتكاف من اليوم، فصاعداً كل شيء مباح، ابتداءً من الأحد القادم سوف يلتقي كل واحد بصديقته الجديدة، سوف يرجع كل واحد إلى بيته، محملاً بمظاهر جديدة، وخبرة جديدة، سوف تمكنهم من الدخول في عالم الكبار بكل يسر واعتزاز.

أقيم الحفل المعهود لنهاية الاعتكاف دون مشكلات، وانتهى الحفل في البيت بعشاء كبير للكبار، أما الأطفال فقد وزعت عليهم الألعاب، بينما (إيمي) بالذات، فقد نال هديته المفضلة، الهدية التي سوف تمكنه من تعاطي السرعة والتنقل السريع.

إنها دراجة هوائية جميلة.. سوف يتمكن من قطع مسافات طويلة كما يريد وبسرعة كما يعشق، وسوف يتعب كما يريد أيضاً، كان إيمي في هذه الأثناء يلعب مع

أصدقائه وأبناء عمه، ويراقب خفية هؤلاء الكبار المدعويين بهذه المناسبة السعيدة. في انتظار الأكل قام بعض المدخنين بالتوجه للحديقة للتدخين، لازال إيمي يتذكر تجربته الفاشلة مع موريس؛ لذا كان يراقب عن قرب هؤلاء الذين يتعاطون المذات كما يحلو لصديقه مورس أن يقول، كان يظن أن كل الكبار يدخنون لكنه تفاجأ أن عدداً ممن يدخن هذه الليلة لا يتجاوز ثلث الحاضرين.. من بينهم أبوه. لأول مرة رآه يدخن أمام الجميع، كان المدخنون والمدخنات مجتمعين في حلقات للتلذذ بما طلب لهم من السجائر، وكأنهم فعلوا ذلك لعدم إيذاء الضيوف غير المدخين، كان إيمي يقارن بين عملية الاعتكاف التي شارك فيها ذلك اليوم في الكنيسة واعتكاف هؤلاء الكبار في الحديقة للتدخين بكل حرية.. غير أن هؤلاء يتعاطون السجائر عن قناعة وبقوة.

كانت مجموعة المدخنين في حركة دائمة، ينعمون بسجائرهم تلبية لرغبة ملحة، وزّع الأب سيجارة على كل ضيف من هؤلاء المنزولين.

يبدو كأنه بطل الحفلة، بعد أن وزّع السجائر على ضيوفه وأخرج ولاعته وأخذ يشعل الواحدة تلو الأخرى، قال (إيمي) في نفسه، غريب عالم المدخنين، أهم أناس كرماء؟ قدمت أمه حاملة طبق مشروبات بيدها اليمنى ومحتمية من رائحة الدخان بيدها اليسرى. كانت أمه من القلائل اللواتي يكرهن التدخين ويحاربهن بعنف.

لاحظ إيمي أن هناك نوعين من المدخنين.. نوع يدخن برجولة مثل أبيه، ونوع آخر يدخن بأناقة. في هذه اللحظة قدمت خالة له تدخن بشرافة لا يمكن تصنيفها في مجموعة أبيه ولا في المجموعة الأخرى، بعض هؤلاء المدخنين يجلمون وكأنهم غائبون عن الوجود. هل السجائر هي وسيلة بعضهم للتعارف كما قال موريس، يبدو ذلك غريباً، الطقس كان جميلاً تلك الليلة؛ لذا خرج بعض الضيوف للحديقة للتمتع بلطافة الجو، لاحظ إيمي تقلب تصرف بعض المدخنين بعد أن صنفهم ضمن المدخنين الأنيقين، أصبح يصنفهم ضمن (العابثين) بعد أن رأى أحدهم ينشر دخانه في وجه أخته الصغيرة التي ذهلت أمام هذا التصرف السيئ، في تلك الأثناء كانت إحدى الضيفات تشعل سيجارة تلو الأخرى دون مراعاة الحضور، وكأنها لا تشعر بوجودهم

ولا تريد ذلك أصلاً، أما الأب فكان في منتهى السعادة، يبدو أنه ينعم بالتدخين كأنها هوايته المفضلة، إحدى كبيرات السن كانت تتذمر من المدخنين، فزاد هؤلاء من تدخينهم وتحديدهم للعجوز المسكينة، حتى ظن إيمي أن هذا شيء من السحر.

طلبت الأم من الجميع الدخول لتناول العشاء، بعد ساعة عبّر بعضهم من جديد عن رغبتهم في الخروج إلى الحديقة للتنفس، قبلت صاحبة البيت على مضض، حان وقت تناول الكعك، فرجع هؤلاء المتنفسون إلى أماكنهم، لاحظ إيمي أن نزوحهم للتنفس أسرع من دخولهم لتناول الكعك، وانتهت الوليمة بسقوط المطر، وقد حان وقت احتساء القهوة، بعد شرب القهوة تجمع الوالد مع مجموعة؛ بحثاً عن مكان للتدخين من جديد، واستسلم واحد منهم فوضع علبة سجائره فوق الطاولة، وكأنه يقول لزملائه أنا أمتع عن التدخين، لاحظت الأم هذه البادرة الحسنة، فذكرتهم بالقوانين المفروضة على البيت، ألا وهي ممنوع التدخين بالمجلس إطلاقاً، وبعد الأخذ والرد أظهرت صاحبة البيت شيئاً من المرونة، فقالت بصفة استثنائية سوف أسمح لكم بالتدخين في المطبخ تحت المدخنة، الباب مغلق والشباك مفتوح.

توجه المدخنون إلى المطبخ فوراً، بقي الأب في مكانه، أما (إيمي) فإنه يراقب المدخنين عن قرب، متضايقاً مما يحصل مع الضيوف، أما المدخنون المحشورون بالمطبخ، فقد أخذ كل واحد منهم يذكر الآخرين بأيام زمان، أيام بداية هذه العادة السيئة، منهم من بدأ في سن (إيمي) ما عدا سدريك ابن عمه الذي يبلغ من العمر 24 سنة والذي يريد (إيمي) تقليده، كان أغلب المدخنين لهم من العمر 35 سنة فأكثر، كلهم يتمتعون بصحة جيدة كما يبدو، كانوا يضحكون كلهم، وهم يتذكرون الماضي، قام سدريك بعرض سيجارة على إيمي وطلب منه تجربتها، صارحه (إيمي) بتجربته الأولى الفاشلة.

فتدخل عمه، لينقذ الموقف قائلاً: جرب ولكن لا تبلع الدخان حتى لا تسعل، سوف ترى كم هو سهل. عندما تكبر وتصبح رجلاً يمكنك أن تبلع الدخان بسهولة، وتكتشف ملذة التدخين الحقيقية.

هكذا اقتنع (إيمي) فقام بتجربته الثانية، امتص السيجارة ببطء كما قال له العم فسعل، ولكن سعاله كان خفيفاً هذه المرة، أعاد العملية نفسها فلم يسعل هذه المرة، ضحك الحاضرون من هذا المنظر الذي يذكرهم بتجربتهم الأولى المريرة.

لقد نجحت في الاختبار يكفي هذا اليوم لقد أصبحت رجلاً، هذا ما قاله العم باسمًا.

أعاد (إيمي) السيجارة إلى ابن عمه، وضحك الجميع من جديد، وفي هذه الأثناء قدمت الأم فساد سكون مثل الجليد قالت الأم:

- ماذا تفعل هنا؟

- آه..

- قال العم ساخرًا.

- جاء ليراقب المصابين بالطاعون عن كثب.

اغتم (إيمي) الفرصة ليختفي دون مقدمات. حان وقت نهاية السهرة، فبدأ الضيوف يغادرون البيت الواحد تلو الآخر بعد تقديم التهاني الأخيرة للابن والوالدين، بدأ (إيمي) وأخته يساعدان الأم في ترتيب البيت، وشكر أمه على الحفل والهدية بهذه المناسبة، ثم استأذن ليذهب إلى غرفته لينام، وذهب فعلاً إلى غرفته لكنه لم يستطع أن ينام فوراً، أخذ يراجع كل ما حصل هذه الليلة، وخاصة ظاهرة السجائر الغريبة، لقد تغيرت الأشياء في نظره، حتى رائحته تغيرت بعد هذه التجربة الثانية، رائحة الدخان في كل مكان حتى في ملابسه، تعب من تساؤلاته وتحرياته فنام.

وفي الغد ذهب إلى المدرسة على دراجته الجديدة بعد أن زودته والدته بتعليمات خاصة بالأمن وسلامة الطرق والسقوط والسرققات... إلخ. خلال الفسحة قام كل واحد من أصدقائه المحتفلين بهذه المناسبة بالتحدث عما حصل، وما هي

الهدايا التي قدّمت له، (إيمي) لم يخبر أصدقاءه بقصة تدخينه ونجاح تجربته الثانية، حتى لا يلفت انتباههم إلى ضعفه، فبعضهم كان ينتظر هذه الفرصة ليعيد النظر في احترامه له كقائد؛ لأنهم يعدّون القائد القوي هو الذي يمكنه الرفض في مواقف مثل هذه. كان يريد مصارحتهم بذلك أو على الأقل مصارحة والديه بما حصل، لأول مرة يرى والده يدخن أمامه، كان يشعر بالذنب هل هو مذنب أم لا؟ وهل هو فعلاً مذنب بعد تجربته الثانية؟ حاول مرتين مواجهة والده ومصارحته بالحقيقة، لكنه عجز. أما والدته فموقفها صارم في هذا الموضوع؛ لذا من الصعب مصارحتها، الوحيد الذي يمكن فهم موقفه هو ذلك الخبيث موريس، سوف يستقبله بشيء من الاستهزاء واللذة، ولكن ماذا سيخسر؟ لا شيء.

فالمهزلة لم تقتل أحداً من قبل، كلّمه بالهاتف خفية وطلب مقابلته، قابله في مقهى اسمه (كلوبان كلوبان)، كانت تعمّه رائحة كريهة، رائحة التّدخين طبعاً، طلب (إيمي) من صديقه الانفراد بحديقة المقهى للتحدث، خوفاً من انتشار وباء التّدخين على ملابسه وفضحه عند العودة إلى البيت، صارح صديقه موريس بما حصل في الحفل، وخاصة تجربته الثانية بالمطبخ، كان موريس يضحك ويضحك من هذا الموقف الذي كان ينتظره. يا له من مثقف كيف وقع في الفخ ثانية وأصبح يدخن مثله مثل غيره! الكل يدخن حتى والده تعلم التّدخين في الخدمة العسكرية بالجيش، حيث كانت تباع لهم السجائر بأسعار زهيدة.

اقتنع (إيمي) بشيئين:

الأول: السيجارة = الجيش = الرجولة وهذا هو ما يريد.

المعادلة الثانية = الجيش = الدولة. فالدولة لا توزّع السجائر على الجيش إلا إذا رأت أنها مفيدة له، كل هذا شجعه على تعاظمي التّدخين؛ ليصبح القائد المسموع من زملائه في المدرسة، دون أي ضرر يذكر.

قال له موريس ساخراً:



- أنت في وضع سيئ، لكنني سوف أساعدك.

- كيف ذلك؟

- سوف أعرّفك على أصدقائي، سوف تتعرف على بعض أصدقائك القدامى، متقنين ضالين، سوف تفهمهم ويفهونك، إذن سوف أراك على الساعة الثانية بعد الزوال هنا في المقهى نفسه. حاول أن تجد عذراً للتخلص من أهلك كل أسبوع إنها فرصتك، فاغتمها.

رجع (إيمي) إلى البيت، وهو يشعر أنه خطأ خطوة كبيرة في الاتجاه الصحيح، الدخول في عالم الرجولة، كانت تساؤلاته حول المستقبل ذات حدين، فهو يدرس ويلعب ويخرج كما يريد ويذهب إلى حيث يشاء، إذ إن أمه وأباه يوفران له كل متطلباته هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد دخل عالم الكبار من بابه الواسع، وبما أن دخوله إلى عالم الكبار لا بد أن يحصل، فلماذا يوقف مسيرته؟

اقتنع أنه وجد ضالته في التدخين الذي سيمكنه من التعرف على الحياة الحقيقية.

موريس هو الذي سيدخله إلى هذا العالم، عالم الكبار، كان (إيمي) من حين إلى آخر يتذكر دروس أستاذه (لافييت).

بعد مرور ثلاث سنوات على موت أم (برونو) تغير موقفه كثيراً من التدخين ومضارّه، وصار يفكر في أن أستاذه بالغت في التكلّم عن مضارّ التدخين، دون إجراء دراسة كافية حول هذا الموضوع، لكنه هو عرف، عرف كل شيء تقريباً عن التدخين، قال لأمه:

- أمي هل يمكنني الذهاب لرؤية أصدقائي الذين شاركوني الحفل الديني بالكنيسة؟

- يمكنك ذلك بشرط، عدم السرعة في الطريق، والعودة قبل السادسة مساءً.

- شكراً يا أمي، سوف أذهب فوراً؛ لأخبر زملائي بذلك.

وهكذا بمجرد حصوله على إذن من أمه أسرع لمقابلة مورييس وأصدقاء السوء بالمقهى المعتاد .

كان الموعد بالفناء الخارجي للمقهى في الهواء الطلق، قام مورييس بتقديم فيليب إلى (إيمي)، فيليب هو أحد عناصر السوء المشهورين، كانت الجلسة الأولى جلسة تعارف، كان عمر فيليب 15 عاماً، فهو من النوع الذي يهتم بنفسه قبل غيره، وهو لا يحب نفسه أصلاً، متقلّب المزاج، مضطرب وحساس جداً، لا يحب النشاط، أي نشاط كان، وهذا هو سبب رسوبه في دراسته . كان والده وأمه منفصلين، وهذا أحد أسباب تنقله المستمر من مدرسة إلى أخرى، لقد وجد في صحبة صديقه مورييس ما لم يجده عند أمه وأبيه من حنان وعطف، بالرغم من ذلك لم يجد الرغبة في تعاطي السجائر بصفة دائمة، لقد تعاطى أول سيجارة كعريون للدخول في فرقة السوء هذه، وبمرور الوقت أصبح الولد المثقف بين هؤلاء الأشرار، مهمته إقناع أي ضيف بتعاطي التدخين، إذ دوره هو دور المدرّس، دار الحديث بين (إيمي) و(فيليب) وهما يحتميان القهوة، وفجأة دق جرس الكنيسة المجاورة خمس مرات، تذكر (إيمي) وعده لأمه بالعودة قبل السادسة، فاستأذن من رفاق السوء ورجع إلى البيت .

يوم الأربعاء القادم وعد فيليب صديقه الجديد بالإجابة عن كل أسئلته حول التدخين؛ لأنه أصبح يعرف كل شيء عنه بعد أن تعاطى التدخين منذ العاشرة من عمره .

قال له إيمي:

- التدخين مضر، هذا ما قالته المدرسة في المرحلة الابتدائية .

- لقد سمعت هذا مثلك، ولا أصدق ذلك، لو كانت السجائر فعلاً مضرّة أتظن أن كل الناس سيدخنون؟ لكانت السجائر ممنوعة أصلاً، على العموم لو كانت هناك مضرّة فعلاً سوف تصيب من عمره الخمسون وما فوق، وحتى نصل ذلك العمر..

- أنت تدعي أن كل الناس يدخنون .

- نعم هذا واضح. عندما ترى من يدخن حالياً لا تلاحظ أن هناك من دخن من قبل وانقطع، ومن لم يدخن الآن، فسوف يلتحق بالركب في أول فرصة، أظن أن 80% من الناس يدخنون.. بخصوصي أنا، أنا أدخن وأعالج نفسي بالأعشاب؛ تحسباً لأي طارئ.

- طبعاً طبعاً قال (إيمي) ثم سأله: مثل ما قلت لك الأسبوع الماضي لقد لاحظت أن التدخين يريح الإنسان ويسمح له بالاسترخاء.

- هذا صحيح، لكن عندما تدخن خلال ساعة تشعر بذلك فعلاً وفيما بعد تراودك الرغبة نفسها.

- نعم، أنا مرتاح الآن بعد التدخين، لكن ما يمكن أن تضيفه سيجارة أخرى لو قمت بالتدخين؟

- لم تحصل لي هذه التجربة من قبل، أدخن منذ خمس سنوات، مهما حصل أؤكد شيئاً، إنني عندما لا أستطيع مواجهة والدي بسبب شيء ما أو عندما أفقد ثقتي في نفسي، فلا أجد غير صديقتي السجارة بجانبني مستعدة لمساندتي.

بعد أن التمس علبة السجائر بجيبه تابع فيليب، قائلاً:

- والشيء نفسه يحصل عندما تتأبني موجة من العنف، أشعر وأنا أدخن وكأن النار تحترق، هذه النار هي التي تخلصني من مشكلة اليوم، فهي كالعملية السحرية. صدقتي فالسيجارة هي أعز ما يوجد في هذه الدنيا، هذا ما جعل كل المحكومين عليهم بالإعدام يرغبون تدخين سيجارة قبل التنفيذ، ألم تلاحظ في كل أفلام الحروب كم يكون الجريح بحاجة إلى التدخين للتغلب على جراحه؟ هذا من حقهم، فهي تخفف من آلامهم، رأيت الدعايات التي تروج للتدخين في كل مكان، عند بائعي السجائر في المحلات الأخرى، على ملابس سائقي السيارات بالذات، لو كانت فعلاً خطيرة لمنعت.

- بعد ما أكدت لي ذلك، أتذكر جيداً لقد رأيت سائقي سيارات السباق يرتدون ملابس تحمل علامات نوعية من السجائر.

- ورعاة البقر هل رأيتهم وهم يدخنون، والجمل ألم ترى صورته فوق علب السجائر؟ كل الممثلين والممثلات يدخنون، هل رأيت (جيمس بوند) دون سجائر؟ هل تظن أن كل هؤلاء يدخنون من أجل المال؟ طبعاً لا، يدخنون؛ لأنهم يحبون ذلك. وهل شاهدت التلفاز؟ حيث تظهر السجائر أكثر من أي شيء آخر، حتى خيل لي أنها هي البطل الدائم، أصبح التدخين مثله مثل من يلبس قبعة كل يوم، فالتدخين يسمح لك بالتعبير عن شخصيتك.

- علبتك هي بطاقة تعريفك، كلنا ندخن الشيء نفسه تقريباً، سجائر شقراء من فرجينيا، أظن أنها أطيب من تلك السجائر العتيقة التي كان يدخنها أجدادنا. عند بدايتي تخلّصت من المصاصة وعوضتها بالسيجارة، لازال ذوقها يذكرني بمذاق الحلوى.

## مكتبة الرمحي أحمد

- قال (إيمي):

بخصوص المذاق، لقد وجدتها في أول تجربة مع موريس لا طعم لها، وجربتها ثانية مع عمي دون أي رغبة.

- لا أستغرب ذلك، لازلت في حاجة إلى التعلّم، هل يمكنك مغازلة بنت دون خبرة، تلك هي السجائر، الفرق بينها وبين أي صديقة أنها صديقة مخلصه ووفية لا تخونك أبداً ولا تفارقك على الإطلاق.

- نعم نعم، ولكن...

- أخي له 24 من العمر، وهو يدخن... وناجح في حياته، أنا أريد أن أكون مثله.

- لدي أيضاً ابن عم بهذا العمر، هو أيضاً شجعني على التدخين، فهو مثلي، هو على وشك التخرج من كلية الطب.

- كما ترى، نحن لا نجبرك على التدخين، يمكن تجربة أي سيجارة، المنعنة المفضلة لدى البنات ولدى الجبناء، أو السيجارة الرمادية التي كان يدخنها أجدادنا، والتي

يمكن أن تبرمها بنفسك كما يمكن لك تعطيها بنكهة من الأعشاب الأخرى. سيقوم الأصدقاء بتزويدك بالسّجائر الأولى؛ لأن هذا من عاداتنا وكرمنا، سوف يأتي دورك وتقوم بالمهمة نفسها مع مبتدئين آخرين، نحن نقسم كل شيء اللذة والعادات... إلخ. لا يتم اعتبارك عضواً فاعلاً في فرقنا قبل أن تصبح مدخناً متمكناً، هذا هو نظامنا وهذه هي قاعدتنا، كان فيليب يتكلم وهو واثق مما يقول دون أي ضغط ولا مماطلة، وهذا مازاد من إعجاب (إيمي) به.

- هل تريد بداية التجربة في الأسبوع القادم؟
- طبعاً طبعاً، ولكن إن لم يعجبني ذلك هل تعدني ألاّ تحاول مرة ثانية؟
- طبعاً طبعاً أنا أنفذ رغبة موريس الذي طلب مني مساعدتك.
- شكراً فيليب، لدي سؤال آخر: يقال إن من يبدأ التدخين لا يستطيع التوقف، هل هذا صحيح.
- هذا كذب، أنا أستطيع التوقف متى شئت.
- هل جريت ذلك؟
- لا لا، لم أجرب لكنني أعرف أنني أستطيع ذلك. الآن إذا أردت.
- لماذا لم تحاول التوقف عن التدخين: لتعرف فقط إذا كان ذلك ممكناً؟
- ما الغرض من ذلك، فأنا أحب التدخين وأعرف أنه باستطاعتي التوقف متى شئت؟
- كم تصرف على سجائرك؟
- لا يهم كم أصرف. أنا أدبّر حالي.. إذا كان ذلك صعباً عليك يمكنك شراء سجائرك هنا واحدة واحدة، لكن ذلك سيكلفك أكثر في آخر المطاف.
- حسبها (إيمي) فوجد أن علبة سجائر ستكلفه كل مصروفه اليومي، هذا هو الجانب الصّعب، لكن الصعوبات لا بد أن تواجهه، كان أبوه يقول له دائماً: (إذا

أردنا فعل أي شيء، فلا بد من إيجاد الوسائل) وعندما لا نريد فعل أي شيء من السهل إيجاد الأعذار، على إيمي ألا يجد المبررات ولا الأعذار.

- ومن لا يستطيع شراءها؟

- هناك تآزر وتكاتف بيننا، صحيح أن بعضنا يفامر، ليحصل على المال، مهما كان الثمن، حتى الجريمة مباحة من أجل التدخين، لكن لا نخلط بين التدخين وتعاطي المخدرات.

غادر إيمي أصدقاءه، وهو متأكد من القرار الصحيح، وهو يقود دراجته عائداً إلى البيت، بينما كان يفكر في كلمة قالها فيليب، هل سيصارع والده بما يفكر فيه، فهو أيضاً مرّ بهذه المرحلة في هذا العمر، هو أيضاً واجه الأسئلة نفسها؟ كيف بدأ ولماذا؟ ولماذا استمر في التدخين حتى يومنا هذا؟ بعد الأخذ والرد قرر ألا يصارح أباه بذلك ويدخن خلسة كما يفعل أبوه، أما أمه فلا تتراجع عن موقفها من المدخنين، والوالد يعرف ذلك؛ لذلك يلجأ إلى منفاه لمزاولة عاداته السيئة وغير المقبولة من طرف زوجته، لا يمكن مصارحة هذا ولا ذاك، فهو يلوم أمه، لأنها حرمت والده من التلذذ بمعشوقته الثانية؛ لذا فهو يريد الثأر لأبيه والانتقام من أمه، سوف يدخن؛ ليؤذيها، كل هذه الأفكار زادت من إبداعه المدرسي، فهو يفكر في طرح موضوع جديد على أستاذه بعنوان: (يجب أن نعيش ونترك غيرنا ليعيش).

لقد تغيرت شخصيته؛ لذا أصبح إيمي لا يبحث إلا عن المتعة، والسفر والرياضة والمغامرات و... و...

بالإضافة إلى الجنس بطبيعة الحال، صورة السجائر كما صورها له موريس وفيليب أصبحت ترافقه في كل مكان، لقد أثارت حبه وتعلقه بالحياة.

كان اليوم عيد ميلاده، لقد بلغ 14 سنة، بعد الغداء قام والده وأمه بإبلاغه عن مشروع العطلة الصيفية القادمة، فسوف يذهبون إلى المحيط الأطلسي، في منطقة اسمها الشاطئ البري.

لقد استأجروا بيتاً عتيقاً قريباً من المحيط للاستمتاع بالريف والبحر في الوقت نفسه .

البرنامج يحتوي على زيارات بعض الأماكن الأثرية كالكنائس القديمة والأماكن الزراعية بالميدوك والإكواريوم بلاروشيل، بالإضافة إلى المدن التي تم تحصينها من قبل (فويان) والجزر الصغيرة التي يقصدها الزائرون من كل مكان..

تم تحديد كل الأماكن المقرر زيارتها، كما تم تحديد يوم الذهاب ويوم العودة وبعض التفاصيل الأخرى الضرورية، لاحظت الأم اهتمام إيمي الزائد بكل هذه التفاصيل دون استغراب، وقد قيل كل شيء دون أي اعتراض، اعتقدت أن تصرفه هذا هو بداية استقلاليته إلى الرجولة، أخبرها أنه سوف يقوم بزياراته بمفرده؛ ففرحت بذلك ووافقت عليه .

بعد أن شكرها على الوليمة وعلى هدايا عيد ميلادها ذهب إيمي إلى غرفته مسروراً؛ لأنه سوف يكتشف منطقة جديدة، وحرار كيف سيواجه هذه المرحلة الجيدة من حياته، وكيف سيتدرب على التدخين، موعد السفر بعد شهر، خلال هذه المدة يمكنه تجاوز مرحلة التدريب، لازالت الأفكار التي عرضها عليه موريس وفيليب تسيطر على مخه، لازال يقارنها بما لديه من أفكار، لازال يتذكر فشله مع سجارته الأولى، لكنه عرف الآن أن ذلك طبيعي، لازال ما قاله فيليب يتردد بداخله، لكنه لا زال أيضاً يؤمن بخطورة السجائر وسيطرتها المطلقة على المدخن، وبقي حائراً أمام كل ما سمعه عن التدخين، المهم الآن هو الدخول إلى نادي الأشرار، سواء أدخن أم لم يدخن، فهو يريد أن يكسب ودّه؛ ليكسب ودّ الآخرين .

كان يحدث نفسه محاولاً الاقتناع أن كل الشباب يمرون بهذه المرحلة، وكلهم يتساءلون مثله، وأغلبهم يدخنون في العلن والسر، لم يدخن كثيراً؛ خوفاً من (شيرلوك هولمز) الذي يسهر على المدرسة وتأتيه الأخبار من كل فج، أخبار المنحرفين بالطبع.. فهو لا يريد أن يكون آخر من يدخن .

لا تزال هناك عقبتان: النقود والمساندة عند الضرورة، أما النقود فقد وجد لها الحل، سوف يحصل على عمل مع المجموعة يمكنه من الحصول على ما يحتاجه، لحسن الحظ لقد عرض عليه بعض الأصدقاء القيام بعمل لدى غيابهم لمدة معينة مقابل ما يتقاضونه عادة على هذا العمل، وهذا المبلغ سوف يكفيه للحصول على سجاثره في البداية، أما بالنسبة للمساندة عند الضرورة، فقد وعده أصدقاء السوء بمساعدته؛ حتى ينهض على قدميه، كان يعرف أنه يمكن الاعتماد عليهم؛ لأن الإمكانيات لا تنقصهم.

بالرغم من كل هذا، فهو لا يزال متردداً، اقتنع أنه يجب إجراء تحليل علمي لاتخاذ القرار الصائب، القرار النهائي، أخذ ورقة بيضاء وكتب عليها: التّدخين، وكتب عن يمينها (نعم) وعن يسارها (لا) بعد ذلك أخذ يكتب المبررات، بعد تحليلها كلها وجد أنها لا تعني شيئاً بالنسبة له؛ لذا قرر أن يرفق علامة أمام كل ميرر، تمتد هذه العلامة من واحد إلى أربعة، عند نهاية العملية أخذ يجمع مجموع ما حصل (نعم) ومجموع ما حصل (لا) بمجرد عملية حسابية يظهر الفائز، وبهذه الطريقة لا يتأثر برأي هذا أو ذاك.

بعد نصف ساعة حصل إيمي على النتيجة الآتية:

لا للتدخين	نعم للتدخين
4 رائحته كريهة	1 يريح
3 طعمه سيئ جداً	2 يقاوم العنف
2 خانق	3 يقوي الإحساس بالشجاعة
2 يشعرك بالدوار	3 يعطيك ثقة في النفس
1 يستعبدك	4 هو أحسن ما في الكون
3 يلوث	3 وسيلة لتقليد المشاهير



4	تكلفته غالية	4	يمكنك من التعرف على الآخرين وبرز شخصيتك
0	خطير الآن	4	يشعرك بالبرودة
2	خطير في المستقبل	4	من مواصفات الرجولة
21	المجموع	4	يحررك من الضغط العائلي
		4	يمكنك من الانخراط في نادي الفئة الضالة
		1	الانتماء والولاء إلى الأصدقاء أكثر من العائلة
		2	يسمح لك بمغازلة البنات
		2	يسمح لك بالتباهي أمام الآخرين
		41	المجموع

بعد هذه النتيجة المتباعدة لا مجال للشك بعد ذلك، كتب بالحروف الكبرى (إذن سوف أذخن).

قرر أن ينفذ قراره ابتداء من الأربعاء القادم.

بما أن فيليب أكد له أنه يمكنه الإقلاع عن التدخين متى ما شاء، فهناك متسع من الوقت قبل السفر يستمر أو يكف، انتهت المشكلة واختفت معها مشكلات ما بعد التدخين. إذا فشلت تجربته سوف يكف عن التدخين في أي وقت، كيف سيكون موقفه إذا كانت تجربته مع التدخين ناجحة، أعاد إيمي قراءة الجدول العلمي كما يحلو له تسميته واستقر على رأيه، سوف ينفذ قراره يوم يبلغ 14 سنة، سوف يكون هذا القرار أول قراره كرجل، لقد فكر في كل هؤلاء الذين يبدوون التدخين دون تفكير يا لها من مبالاة! مدة التدريب على التدخين لا تخيفه، لو لم يتدرب برغبة على ركوب الدراجة لما تعلم ركوبها والتمتع بسرعتها فيما بعد، أبوه يقول دائماً: إن

سبب نجاحه هو مثابرتة وإصراره، كل هذا يزيد من قناعته بصواب قراره الأخير؛ لهذا سوف يدخن، وسوف يواظب على ذلك، ويستمر؛ حتى ينجح كما نجح أبوه في عمله.

عندما ذهب إلى نادي الفتية الضالة لاحظ إيمي وجود دعاية معلقة على أحد الجدران تروج لليوم العالمي لمكافحة التدخين، وهذا اليوم هو يوم عيد ميلاده نفسه، تبسم، ما يمكنه أن يفعل! هل يوافق على هذه الدعاية بعد أن اتخذ قراره وفقاً لدراسة علمية بحتة، أم لا رجعة عن ذلك.

كان يتصور أن صديقه فيليب سوف يعطيه دروساً خصوصية في التدخين بعد اتخاذ قراره النهائي، لكنه لم يحصل. كانت مجموعة من الأصدقاء تتراوح أعمارهم بين التاسعة والسادسة عشرة في انتظار قراره، وكانت البنات أكثر من الأولاد، والبنات أكبرهم سناً، بسرعة البرق تسلت فكرة إلى مخّه، لماذا لا تكون أيام تعلمه التدخين، مصحوبة بتعلم ممارسة الجنس؟ فالبنات الموجودات متفتحات ومتحرّرات، فهن يختلفن عن البنات المتخلفات اللاتي تدرسن معه.. لم يتمكن من متابعة التعمق في فكرته؛ لأن فيليب تدخل وقال:

- فرقتا سعيدة وتتشرّف بحضوركم بتاريخ 9 يونيو 1993، يجب الاحتفاظ بهذا التاريخ في ذاكرتكم، أنا متأكد أنكم سوف لا تتسونه، سوف أساعدكم على اكتشاف شيء قد يغير مجرى حياتكم بالكامل، هذا المقهى الذي أنتم جالسون فيه تمّ تزويده بعينات سجائر مجاناً؛ لذا سوف تتعلمون التدخين وتدخنون بالمجان، سوف أشرح لكم الفرق بين هذه السجائر المجانية؛ لكي تختاروا ما يناسبكم، طبعاً يمكنكم تجربة العديد من السجائر من النوع نفسه إذا أردتم.

هذه اللعبة المذهبة مثلاً كتب عليها نسبة النيكوتين 0.17 ملغ، هذا قليل، لكنه كان للمبتدئين مثلكم.. إذا كنتم خائفين أن يكتشف أمركم في البيت جربوا هذه السيجارة المنعنة، كمية النيكوتين فيها قليلة جداً (0.3 ملغ).

سوف تلبي حاجتكم كمبتدئين بما أن النعناع يستخدم في الطب سوف يظن  
أهلكم أنكم تستخدمون بعض الأدوية لفرض ما .

السجائر المنعفة لها مفعول خاص؛ لأنها مخدرة نوعاً ما، وتسبب لصاحبها  
ضيق التنفس وتجبر المدخن على الامتناس بقره وبعمرق .

هذا ما لا يعرفه هؤلاء المبتدئون؛ لأنهم يعرفون الجانب الإيجابي فقط وهو لذة  
الطعم والمظهر الاجتماعي الأنيق بالإضافة إلى الجانب التمويهي. قال فيليب من جديد:

- يمكنكم اختيار السجائر الخفيفة جداً (سوبر لايت) أو الخفيفة (لايت) حسب  
نسبة النيكوتين التي ترغبونها أو وفقاً لجمال العلبة وألوانها الزاهية أو أي مقاس  
شخصي آخر، طبعاً إنكم تعرفون كلكم هذه العلبة. المتميزة باللون الأحمر والأبيض  
وتعرفون أيضاً أن نسبة النيكوتين فيها (1.09 ملغ)، هذه هي المفضلة لدى كل  
المبتدئين، إنهم يختارونها تلقائياً، تذكروا أنكم بدأت المشي على أربع أرجل، ثم قمت  
بعملية الوقوف، ثم المشي ثم الجري... إلى أن وصلتكم إلى وضعكم الحالي؛ لذا لا  
تتسرعوا، لديكم الوقت الكافي لتصبحوا من كبار المدخنين، وتصبحوا أعضاء في  
(كلوبان كلوبان).

بدأ الأولاد يتقدمون لاستلام السجائر، لكن فيليب منعهم، يجب على كل واحد  
تحديد اختياره بهدوء، ومن ثم استلامه، بعد دقيقة واحدة، كان كل واحد يمسك  
سيجارة بين شفتيه، وقام فيليب بتوزيع ولاعة حمراء وبيضاء على كل مدخن، فهي  
هدية من صاحب المصنع الذي لا يتهاون في إكرام زبائنه، وقد قام الجميع بإشعال  
سجائرهم، وبدأت نوبة من السعال تتاب بعضهم.

- والآن بعد أن امتعتم عن انتظاري لبدء المشوار وبعد أن داهمكم السعال  
سوف تستمعون لما أقوله قبل أن يخيب ظنكم وتتبخر أحلامكم.

تم تزويد كل واحد بتعليمات جديدة خاصة به وفقاً لخبرته وما يتطلع إليه،  
كانت ردة الفعل متباينة؛ هناك من بدأ يحلم وهناك من خابت آماله، كان الجميع

يعلمون ويظنون أن السجائر سوف تخرجهم من الظلمات إلى النور، وسوف يصبح القاسي ليناً، والعنيف سوف يصبح هادئاً، ويقوم بتهدئة الآخرين.

بعضهم بدأ يشعر بشيء من اللذة التي قدم من أجلها، وبعضهم الآخر لا يزال يسعل، ويخشق ويعاني من الدوار، وهناك من أحس بالدوار والغثيان فخرج للاستفراغ، استمر هذا المشهد عشر دقائق، أراد فيليب أن يعيد توزيعهم حسب ميول كل واحد:

- يكفي اليوم لكي نستخلص العبرة من هذه التجربة، ليقم كل واحد منكم بإبداء رؤية حول هذه الجلسة الأولى.

- قال صبي في التاسعة من عمره:

- صعب جداً، لكن أنا أشعر أنني سوف أصل إلى النهاية، ليس هناك ما يمنعني من سلوك الطريق نفسه الذي سلكه والدي مثلك أنت ومثل (رعاة البقر) مثل (إستوود) إرادتي قوية أتعرف ذلك؟

- أنا فهمت أن جسمي أذكى مني، لقد أظهر لي أنه لا يتحمل التدخين ولا يرغب سوف أستمع لنصيحته وأنصرف، هكذا تصرفت بنت جميلة شقراء غادرت دون مقدمات تحت وابل من التصفيق الاستهزائي من زملائها.

ثم قال إيمي: أما أنا، فأعتقد أن التدخين جزء لا يتجزأ من شخصيتي. أشعر بالسعادة بعد هذه البداية الشيقة، فهمت الآن ما قاله فيليب، إنه يلجأ إليها في كل الحالات.

ثم قام طفل يشبه الجزرة، وقال:

- أنا الآن أشعر أنني أصبحت رجلاً، سوف أتحرق من تسلط أمي، أكاد أموت، أكاد أموت من الفرح، هذا جميل.

ثم قالت أجمل بنت في المجموعة:

- انظروا إليّ، كم أنا جذابة وفاتنة! إن هذه السيجارة الجميلة والطويلة تسمح لي بالتعبير عن جمالي أكثر من أي إكسسوار آخر، ولا تكلفني إلا القليل نظراً لظروفي العائلية، ولا أحتاج إلى مجوهرات جميلة وملابس أجمل وشنط فاخرة لجذب الشباب ولفت انتباههم، يا لها من عصا سحرية! إنها ستمكنني من ذلك، بالإضافة إلى المحافظة على رشاقة دائمة.

التقت لها الأخير، وقال:

- سوف أتغير بلا شك، سوف أصبح شخصية مرموقة، هل أنا جذاب مثلك يا عزيزتي، أليس كذلك؟

تدخل فيليب، وقال:

- (حسناً) حسناً للجميع! يمكنكم التدخين ثانية، لكن لا تستعجلوا، انتظروا إليّ الأربعمائة القادم، سوف نعقد الحفل بمفاجآت جديدة، قام فيليب بعدها يجمع ما تبقى من اللعب، بينما كان بعضهم يقرأ ما كتب على اللعب الفارغة: (مضر بالصحة) التي كتبت بأحرف ذهبية برونق وتستر، كان منهم من يتفحص الكتابة الأخرى: (للكبار فقط) مفتخرين بانتمائهم إلى نادي الكبار.

قبل أن يفادهم قام فيليب بتوزيع بعض النصائح للتمويه أمام الوالدين، كمضغ حبات من البن عند الضرورة.

ركب إيمي دراجته ورجع إلى البيت في منتهى السعادة، سوف يقوم والده بتزويده بأول سيجارة بعد أن أصبح رجلاً، رجلاً بأتم المعنى. هذه أشياء تحصل بين الرجال فقط، لقد لاحظ في أثناء الحفل الأخير أنه جرب السجائر ونجح في الاختيار؛ لذا فهو ينتظر منه هذه المبادرة، مبادرة الرجال، أما أمه فيجب أن تفهم من اليوم، فصاعداً أن إيمي أصبح رجلاً له من الشعر ما يثبت ذلك.

تفاجأ إيمي، شيء ما سرّع نضجه وإقدامه على أشياء لم يكن يتجرأ أن يفعلها من قبل.. حتى الكذب أصبح مباحاً اليوم، سوف يتمرد على سلطة أمه، سوف يتمرد

على كل المنوعات، سوف يتمرد أيضاً على كل من يقف في طريق المدخنين، أما بخصوص ما كتب على العلب من تحذيرات، فهذه لا تخصه ولا يلتفت إليها؛ لأن المصنع تعمد كتابتها بالحروف الصغيرة لعدم جديتها وعدم وجود أي خطورة في التدخين.





## الفصل 2

باتريس (أو آد باتريس) كما يسمونه، هو من طينة الرجال الذين يحتاج إليهم كل من يريد أن يسطع نجمه وينجح في أعماله، لقد تعودّ على الفوز. الفوز بالمركز الأول دائماً في أي وقت وأي مكان، وبأي وسيلة كانت، كيف لا، واسمه باللاتيني يدل على (المجرم) القاتل، كل من يحاول بطريقة أو بأخرى اعتراض سبيله لا يرى النور بعد ذلك، منذ سنين، وهو يتخلص من كل من يحاول أن يقف في وجهه أو معارضته، إذ يواجههم بضحكة قوية ومدوية، فلا مصير آخر لمعارضيه سوى الطرد أو التحطيم معنوياً وجسدياً.

يقول في ذلك مخاطباً أحد معاونيه:

أنا في (اليخت) في البحر الأبيض المتوسط، قريباً من إفريقية التي تدرّ عليّ ذهباً، بالرغم من أنني لا أعيرها أي اهتمام.

كان آد باتريس يقضي أغلب أوقاته في اليخت الذي تملكه، شركة (برومورثيم) فهو مجهّز بأحدث الوسائل الترفيهية والمعيشية الحديثة، حيثما يذهب تفتح له الطرق، كيف لا، وهو يسيّر أكبر إمبراطورية تصنيع في العالم (صناعة السجائر)، لقد اشترى (آد باتريس) هذا اليخت بمبلغ زهيد، قدره سبعون مليون (يورو)، طوله 75 متراً وعرضه 12 متراً، به ثلاثة أجزاء، وطاقمه يتكوّن من 24 بحاراً، فهو عبارة عن مسكن فاخر، وفاخر جداً، (لوكس)، كما يقولون، وآد باتريس يتصرف كأنه



صاحب الشركة، وهو كذلك فعلاً في الباخرة وخارجها، فهو الذي يقرر، كل شيء بخصوص الشركة، بالرغم من بعده عن مكاتبها فقراراته هي التي تنفذ، فهو يعيش في رفاهية كاملة، ويكرس كل وقته لإرضاء نفسه وإرضاء أصحاب المصلحة، حتى أصحاب الأسهم المشاركون في رأس مال الشركة لا ييخلون عليه بشيء، يلبون كل طلباته نظراً لما يوفر لهم من أرباح خيالية.

كان (آد باتريس) يبلغ من العمر 42 سنة، فهو قد طلق زوجته، وله أربع عشيقات، فلا شيء يعترض حريته، حريته أولاً. فهو لا يريد أولاداً؛ لكي لا يقيّد حريته، لقد بنى حياته وسلوكه في الحياة على خمسة مبادئ.

(الحذر) أولاً، والحذر ثانياً، واحتقار البشرية ثالثاً، أما المبدأ الرابع فهو التفوق على الجميع؛ لأنه يعدّ نفسه مركز العالم، يرى كل شيء ويعلم كل شيء ويسمع كل شيء، أما مبدؤه الخامس، فهو الكتمان والتستر على أي شيء، لكي يتمكن من أعدائه. فهو لا يتناول اللحوم؛ لأنه من آكلي الأعشاب، كان يدخن وكفّ عن التدخين منذ مدة، فهو رياضي بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، وهو على رأس شركة تبلغ أرباحها السنوية 120 مليار دولار تقريباً، 88% من الدول التابعة للأمم المتحدة لا يتجاوز دخلها هذا المبلغ.

هذا ما يزيد من سعادته، فهو يعدّ نفوذه أكبر من نفوذ رئيس إيرلندا ورئيس بيرو مجتمعين. كانت أول مقابلة له مع المساهمين غنية بالإثارة، إذ قامت إحدى شركات التأمين وأحد البنوك المساهمة بمطالبتة بزيادة الأرباح؛ نظراً لما بلغته سجاترهم من شهرة عالمية عمت كل أرجاء المعمورة، فكان آد باتريس يواجه تحدياتهم بحزم؛ لأنه يعدّ ما يتقاضونه من أرباح كافياً ولا غبار عليه، ألا يعلمون أن هناك من يتريص بالشركة ويهدد مصالحها؟ هؤلاء الأعداء هم:

مجموعة جمعيات محاربة التدخين، ومنظمات، ودكاترة وقضاة، بالإضافة إلى العديد من الحكومات التي تساندها الأمم المتحدة في نضالها ضد شركتنا، لكن (آد باتريس) هو المسيح المنقذ، فهو صانع المعجزات.

كان من سبقه في الشركة قد استثمروا في الزراعة؛ لتغطية الأرباح التي فقدتها الشركة من جراء هذه المقاومة.

بعد أن استلم هذه الإمبراطورية بمئة يوم فقط أصبحت الشركة تشغل 40.000 شخص وتربح على أكثر من 160 دولة، كان (آد باتريس) ينظر إلى المدخنين بازدراء واحتقار. ماذا يريد منه هؤلاء؟ فهو يوفّر لهم كل شيء؛ يوفر لهم غذاء متنوعاً يشمل البييتزا والحليب، والحلويات، والشوكولاتة والقهوة والكحول وغير ذلك.. كل هذا من أجل التدخين فقط.

وفّر لهم كل ذلك من أجل النقود (النقود فقط) هذا هو المهم، عندما لاحظ أن هذا الأسلوب غير ناجح قرر الاهتمام أكثر بالنقابة وتوفير العمل للجميع، ورشوة رجال السياسة وإسكات كل من يعترض على إستراتيجيته الخاصة.

لقد قام بإعطاء دفع جديد إلى الشركة، بتعبئة جيوب رجال النفوذ الذين يستطيعون الدفاع عن مصالح الشركة وتنفيذ طلباته؛ ليصل إلى أهدافه، فكان يرى ويطبق المبدأ الآتي: (كل شيء له ثمنه).

ولكنه كان يفضل ما قاله كسياوو بنغ: (الثروة هي العظمة)، بما أن الثروة هي المجد قام (آد باتريس) برفع راتبه إلى 10 ملايين دولار سنوياً، بالإضافة إلى الأسهم التي في حوزته. هذا أقل ما يمكن جنيه في انتظار الأفضل. لم يتجرأ أحد على معارضته على المرتب الذي يساوي مرتب ألف موظف أو أكثر. يجب على الجميع الموافقة على سياسته دون تردد ودون اعتراض، فهو القائد الأعلى لرابع شركة في بلده؛ لذا يجب احترامه وتقديره، منذ أن تم تعيينه على رأس الشركة سنة 1993 فأصبح يتقاضى 20 مليون دولار تقريباً، بالإضافة إلى ما يملكه من أسهم، بهذا يمكنه أن ينال الميدالية الذهبية في (أولمبياد) النقود.

لقد قرر أن يتضاعف هذا المبلغ خمس مرات قبل سنة 2000 بهذا المبلغ سوف يتربح على أعلى مرتب في العالم.

هذا طبيعي، مَنْ يتقاضى مئة مليون يورو في العالم غيره؟

مَنْ يستطيع القضاء على 100 مليون شخص في القرن العشرين غير شركة

السَّجائر التي يديرها هو؟.



# الفصل 3

بلغ (إيمي) الرابعة عشرة من عمره دون تغيير يذكر لا من طرف والديه ولا من طرف زملائه بالمدرسة، الشيء الوحيد الذي تغير هي غرفته، لقد قدم له أبوه (جهاز ستريو)، وقدمت له أمه ماكينة حلاقة، رأى إيمي في هذه الهدية الأخيرة ما يؤكّد له مغادرة نادي الطفولة والدخول في نادي الكبار بخطى ثابتة.

نظراً لزيادة احتياجاته حصل على زيادة في المصاريف اليومية، قدرها 25%، فقال لأهله:

- أشكركم على هذه الزيادة، وبالرغم من ذلك سوف أبحث عن عمل في أوقات فراغي؛ لأتمكن من شراء الأسطوانات اللازمة، بالإضافة إلى (جاكيت).

قاطعته الأم:

- (جاكيت).

- نعم (جاكيت) كل أصدقائي لهم (جاكيت) أنت تعرفين ذلك، (جاكيت كلاسيك)، فقد لبست واحداً على سبيل التجربة، هو مريح وصلب وحديث، سوف أوفر ما أستطيع توفيره لشرائه قبل الدخول إلى المدرسة.

- لماذا تريد هذا النوع من (الجاكيت) بالذات؟

- كان إيمي حذراً في إجابته، لكن الأم قاطعته قائلة:

- سوف أشتري لك. (جاكيتاً) بالسعر نفسه أو أكثر، أريح من الجاكيت الذي تتكلم عنه، تختار اللون الذي تريده، أشتريه لك متى شئت، لكن رجائي ألا تشتري (جاكيتاً) صمم خصيصاً لترويج السجائر.

- أحس الأب بالخطر، فتدخل قائلاً:

- كل الطلبة يتجولون بملابس رسمت عليها شعارات جامعاتهم ورموز أخرى تغري الشباب، لست مجبراً في مدرستك على ارتداء هذا الجاكيت بالذات.

تدخلت الأم من جديد قائلة:

- أنا ضد كل هذه العادات السيئة، كل هذه الشعارات قبيحة الشكل، كلها خطيرة، والأخطر منها هذا الجاكيت؛ لأن من يلبسه يصبح مدخناً خلال سنة، وهذا يتعارض مع مبادئ محاربة التدخين، أنا أرفض ذلك وأضيف أنه لا مساومة في ذلك، ولعلمك أبوك لا دخل له في الموضوع، وليس له الحق في التدخل في موضوع شائك كهذا، هو بالذات.

- وبعد قليل قالت من جديد:

- إلا إذا كنت قد بدأت تدخن فعلاً!

- لكن، يا أمي، أنت تعرفين أنني لا أدخن، ولعلمك لا أحد يدخن في فصلي بالمدرسة.

- وخارج المدرسة؟

- أسألي مدير المدرسة السيد (شرولوك هولمز)... أحس الأب والابن أن النقاش أصبح ساخناً وخطيراً؛ لذا غيرا موضوع المناقشة وأخذوا يتحدثان عن القط الذي سيشتريانه إلى (ليتيسيا) لكن الأم ليست بالفنية وانتبهت إلى لعبتهما القذرة.

- هذه لعبة كبيرة.. يا أصدقائي، لنرجع إلى موضوعنا (إيمي) سوف أقول لك الآن ما كان يجب أن أقوله لك من قبل، بما أن أباك لا يتجرأ على فعل ذلك، ليكون في

علمك أن جسمك يمر بمرحلة نمو شامل بالرغم من أن الأهم قد أنجز. وبالرغم من اكمال شخصيتك لا زلت أنت وأمثالك بحاجة إلى من ينبههم إلى أن التدخين ليس الوسيلة الناجحة لتحريرهم من سلطة الوالدين كما يظنون، كل من يقع في شباك سجائرهم ويصدق ألاعيبهم كأنه يشتري سلاسل لتقييد نفسه وقبول الحكم عليه بالإعدام من قبل هؤلاء المجرمين القتلة، بالنسبة لي فالمدخن مثل المحكوم عليه بالمؤبد. لا أظن أن والدك يريد ترويج التدخين بالرغم من كفاءته الزائدة، لا ترتكب خطأ كل الشباب الذين يظنون أن التدخين هو علامة لا علامات الرجولة، ولكي تتأكد من صحة ما أقول انظر حولك، فإن ثلثي الناس لا يدخنون.

هل لاحظت أن هؤلاء غير المدخنين يتصرفون تصرف الأطفال أمثالك؟

لقد قررنا زيادة مصاريفك اليومية؛ لتنفقها على أشياء نافعة لا لإنفاقها في نشر الدخان حولك وحول غيرك، كثير من الشباب أمثالك وقعوا في شرك الدعايات الكاذبة، واقتنعوا أن التدخين علامة من علامات الشهرة، عزيزي (إيمي) كيف ستصبح مشهوراً؟ برائحة كريهة، وبأسنان صفراء وسوداء، وبأصابع محروقة أو بسعال دائم؟ سوف تعلمك الأيام، هناك نقطة مهمة: أنت تحب الدراجة وتقطع أكثر من 100 كلم يومياً، وهذا يسعدني بالرغم من أنني ألاحظ الإفراط في استعمالها أحياناً، لا أعارضك، لكن لو قمت بتعاطي السجائر سوف لا تستطيع قطع هذه المسافات الطويلة وتحرم نفسك من مصدر قوة وصحة أليس كذلك يا زوجي الطيب؟ هل أتابع كلامي أو أتوقف؟

قال الأب:

- لقد فهمنا يا سعادة وكيل الجمهورية.

- أتمنى ذلك، ابتداء من اليوم سوف تكون تحت المراقبة؛ لأنني لا أريد أن أراك في النهاية ضحية من ضحايا شركات التدخين، هل فهمت ذلك؟

- نعم يا أمي، فهمت.

- أنت الذي تعشق (بالزك) احفظ ما قاله في التدخين: (التدخين يحطم الجسم، ويهدم الذكاء، وينشر الغباء بين الناس).

- بالرغم من هذه التحذيرات ذهب إيمي إلى مواعده المعتاد مع أصدقاء السوء، لاحظ فيليب أنه غائب عن الوجود بالرغم من حضوره، فاقترب منه فشرح له إيمي ما حصل مع أمه.. بالرغم من أنه لا زال مقتنعاً بالتدخين، فقد رأى الأستمر حالياً في التدريب؛ لأن أمه سوف تحوّل حياته إلى جحيم، كان يتردد هل سيء لأمه ويتمرد على سلطتها أو يخضع لأوامرها وينعم بالسلم؟ نصحه فيليب بالتروّي حتى هدوء العاصفة.. فهو خبير بذلك، إنه يعلم أن سياسة الأم سوف تفشل؛ لأن كل ممنوع مرغوب، وهذا ما سيزيد إيمي إصراراً على التدخين، قال فيليب في داخله: تعنت الأم هو أكبر حليف لي.

ثم قال لإيمي:

- اليوم قم بمراقبة زملائك وهم يدخنون وخاصة من هم أقدم منك في التدخين، اذهب إلى قضاء عطلة جميلة وقم بطمأنة والدتك أنك لا تقرب السجائر، وبعد العطلة عد لمزاولة التدخين. (نادينا) سوف يكون دائماً في انتظارك، هذه هي المرة الأخيرة التي ستكون فيها معنا كزائر فقط أو بالأحرى كمراقب، آخر مرة لأنها القاعدة، نحن لا نرغب بغير المدخنين، فكّر جيداً قبل أن تعود، إلا إذا كانت أمك هي التي تقرر مكانك.. قال فيليب ذلك ببرودته المعهودة والسيجارة تلتوي بين شفثيه.

كان إيمي حزيناً جداً لدرجة أنه أصبح يرى نفسه أصغر من حجمه بين هؤلاء الكبار الذين يتدربون بمقهى المعجزات، كيف لا يشارك هؤلاء في دورة كهذه، دورة صقل المواهب ليصبح من كبار المدخنين، حتى الصبي ذو العشر سنوات أصبح خبيراً في التدخين، ها هو يمارس هوايته المفضلة: صنع دائرات بالتدخين مثل الممثل الشهير (جاك نيكولسون)، بعض الأصدقاء أصبح يتصرف كأنه (فيلسوف السجائر) ما هذه الأناقة في حمل السيجارة؟

وما هي هذه الخفة في استخدام الولاعة والتلاعب بالدخان؟

كلهم أصبحوا يتذوقون السجائر بلذة بالرغم من نوبة السعال التي لا تفارقهم. بعض المتحمسين منهم أصبحوا يتجرعون السيجارة عن آخرها على وشك التهام الفلتر معها، يشعر هؤلاء أنهم لا يريدون التخلص من السجائر أبداً، بعد الحصاة التدريجية يختم المدخنون سهرتهم باحتساء القهوة أو بشرب البيرة أو تعاطي الكحول أحياناً، والنهاية سوف تكون سعيدة كما نرى، سوف يكونون كلهم سعداء ما عدا إيمي، باللعجب! قزم طوله 6 سم مصنوع من مواد طبيعية يحتوي على العديد من الأسرار، كيف يتم اكتشاف الأسرار دون تدخين؟ قرر إيمي أن يتمرد على سلطة أمه، لها الحق أن تعيش حياتها، لكن له الحق أيضاً في العيش كما يحلو له.

فهو يرى نفسه مثل الثور الذي يجول ويجول بين قاتليه؛ لكي يتجنب ضرباتهم، ما عليه إلا المراوغة أو الموت. اقتنع أن فيليب قدّم له ما يكفي من النصائح، العطلة أولاً وبعدها العودة إلى النادي أحبّ من أحبّ وكره من كره، بمنّ فيهم أمه.

خطط كما يأتي:

- سوف أبدأ بمضايقتها بالتدخين.

أما بخصوص والده، فسوف يجد حلاً معه، هذا موضوع يحل بين رجلين. فهو لا يريد أن يشبه والده لكنه يحبه كثيراً؛ لأنه أب عادل تحمل أمّه وقسوتها خلال أكثر من خمس عشرة سنة.

كانت النتائج المدرسية هذه السنة 1993 متواضعة جداً لا تلفت النظر ولا تجلب الجماهير.. لكنه نجح للانتقال إلى الفصل الأعلى في شعبية سهلة، كان يعرف أن وابلأ من التوبيخ القاسي ينتظره بالبيت، لكن أفراح آخر السنة الدارسية سوف تسي أمه الكلام في السجائر.

نتائج أخته كالعادة كانت ممتازة، ممتازة في كل المواد. لا مقارنة بينها وبينه، مناقشة النتائج تمت في أثناء غياب الأب، إذ قامت الأم بتهنئة ابنتها وانهاالت على



ابنها بالتوبيخ العنيف، كان إيمي يستمع ولا يجيب، كالعادة استعرضت والدته المواد مادة مادة، وأطالت عند المواد الضعيفة، كانت توبخه عند استعراض المواد الضعيفة ولا تشجعه على العلامات المقبولة أو حتى الجيدة، بالرغم من قلتها، واحدة فقط، كانت والدته تستعرض المواد مادة مادة وتذكره أن علاماته لا تشرفه ولا تشرفها كأم وكأستاذة ولا تشرف اسمها.. كانت تمطره بالبراهين المعبرة للتعبير عن سخطها وعدم رضاها.

- أمي (أنت هستيرية) لا تهتمين إلا بانتقادي وحرماني، كفى إهانة لي:

قام يصك باب قاعة الجلوس خلفها وانصرف. لحقته أمه حتى باب غرفته.. أغلق الباب أيضاً في وجهها حتى سال الدم من أنفها، هاجت الأم لعدم اكرتاث ولدها بها، فقد أغلق غرفته والتزم الصمت، ثم فتح جهاز الموسيقى ورفع صوته إلى أعلى لكي لا يسمع صراخها.

رجع الأب إلى البيت سعيداً كالمعتاد؛ لأنه حصل على إجازة لمدة أربعة أسابيع، أربعة أسابيع ليرتاح وينعم بالحياة بين أفراد عائلته، لتعويضهم عن غياباته المتكررة، فتفاجأ بوجود زوجته في حالة سيئة. تفاجأ أيضاً بالحصانة التي فرضها ولده على غرفته، بعد استفساره عن الموضوع لدى زوجته قام بمواساتها وذهب إلى غرفة ولده لمفاوضته ومحاولة مصالحته مع والدته. قبل ولده وفتح له الباب، وشرح له ما حصل، أفنعه والده بطريقته الخاصة أنه يتفهمه، وسوف يعمل كل ما في وسعه لإرجاع المياه إلى مجاريها... لأن ذلك ضروري قبل المغادرة إلى البحر لقضاء العطلة الصيفية هناك، حاول المتنازعان الاقتراب من بعضهما دون مقدمات. إذا كانت المصالحة قد تمت فعلاً فالجريح لازال جريحاً، أحس الابن أنه أهين في كرامته، بالرغم من كل ما يكنه لأمه من احترام، وشعر أن هذه الظاهرة غريبة عليه.

في الصباح الباكر سافرت العائلة كلها. سافرت للتمتع بالعطلة مثلها مثل الملايين من الناس، بقي إيمي طول الرحلة ملتزماً الصمت دون أن يتفوه بكلمة واحدة بالرغم من مصالحة أمس.

- هذه علامة نضجه عقلياً .

كانت الرحلة طويلة ومملة، وكانت تتخللها كل ساعتين راحة إجبارية من شرطة المرور لضمان سلامتهم. كان الأب يفتتم هذه الفرصة ليختفي ويجتمع بمعشوقته الثانية لإشباع رغبته، وكان من حين إلى آخر يخترع أي عطل، ليختفي من جديد في الظلام وينفرد بمعشوقته الوفية... وكان يقول:

نتوقف من أجل سلامتنا، ومن أجل راحة الأطفال.

وترد الأم قائلة بارتياح وسخرية:

طبعاً طبعاً يا عزيزي.

وصلت العائلة إلى المكان المقصود عند الساعة الثامنة ليلاً، كان البيت في انتظارهم، ياله من بيت جميل، ومريح! فهو يقع داخل سكن عتيق كبير، سكن تاريخي؛ فالباب الخارجي يشهد على ذلك. فهو مؤرخ بتاريخ 1774. كانت الساحة التي تحيط بالبيت كبيرة جداً؛ سوف يتمتع الأولاد باللعب والركض فيها، كانت بيوت الحمام أيضاً شاهدة على التاريخ، فهي مؤرخة بتاريخ 1597، وهي أيضاً حاضرة لتذكر من يراها بالماضي البعيد، المزرعة المجاورة أيضاً، قديمة قدم التاريخ، أما الإصطبلات فهي محاطة بمخازن النبيذ، والطبيعة هي جميلة (حتى إن الأطفال أصبحوا متخوفين من الأم التي قد تفتتم الفرصة؛ لتعطيهم دروساً في العلوم الطبيعية).

حطّ الجميع الرّحال، وبعد ساعة حضر الأكل، صاحبة البيت هي التي أعدت لهم الطعام، قدمت أطيب ما عندها من المواد الطبيعية، كان النبيذ حاضراً فوق الطاولة، والماء أيضاً، في المساء خرجت الوالدة؛ لتتمتع بجمال السّماء الصافية، قامت بإعطاء شرح مفصل على ما تشاهده، كل واحد منا أخذ يبحث عن (الدبة الكبيرة) و(الدبة الصغيرة) و(أندروميد) النجمة القطبية وأشياء أخرى.

شاهد الجميع كيساً مملوءاً بالرمل، فذكروهم ذلك بالشاطئ القريب، فاستسلم الجميع وانصرفوا عن مشاهدة النجوم.

استيقظ إيمي في الصباح ومزاجه أفضل، بما أنه يريد أن يشارك الآخرين في الألعاب الخماسية؛ فقد لان خاطره وأصبح يبحث عن المصالحة، لقد علمنا التاريخ أن كل الحروب لها نهاية.

اتجه الجميع إلى محطة الاستجمام القريبة من البيت، طلب الأولاد الذهاب إلى الشاطئ، للعب، بينما الأم أخذت ليتسيا وذهبت لاكتشاف المنطقة. أخذ الأب والابن يلعبان الكرة، كرة غريبة لم نر مثلها حتى في الألعاب الأولمبية، تعب الأب وطلب التوقف؛ لأنه قد انقطع نَفْسُهُ، فذهب إلى المخيم واستراح قليلاً ثم فتح شنطة زوجته وابتعد، عرف ولده عن أي شيء يبحث، راقبه عن بعد وشاهده يدخل كالعادة، ففرح من أجله لوفائه لمعشوقته، ووفاء معشوقته له، ولكن لماذا يستمر في التستر؟ هذا نوع من النفاق. بمرور الأيام أصبح لا يبتعد كثيراً للتدخين، بدأ التمويه يختفي شيئاً فشيئاً، كأن الأب يريد أن يدخل أولاده دون أي إحراج، لكن الأم لا تزال ساهرة، فقامت بإيقافه عند حده وانتهى الأمر.

بعد أسبوع تشبّع الجميع بهواء البحر، وتعرف إيمي على عدد من الأصدقاء والصديقات الذين طلبوا منه الخروج ومرافقتهم للسهر معهم، لبى الدعوة وقضى الليلة معهم في قاعة ألعاب تعج بالمدخنين والمدخنات، دهش إيمي مما رآه، هناك رامٍ يقذفهم بالكوكا والسجائر، قبل المشروبات لكنه رفض السجائر، رفضها، بالرغم من أنه يرغبها ولكنه يفكر في أبعد من ذلك؛ لأن أمه سوف تشم رائحة السجائر وتقوم باستجوابه من جديد، أما إذا شمّت الرائحة على ملابسه وشعره، فيمكنه إقناعها أن ذلك من الأماكن التي تعج بالمدخنين. هذا صحيح ومقبول؛ لأنه الواقع، إذا لم تصدقه فيمكنها فتح فمه، لتتأكد من رائحته، وغداً سوف يبدأ يوم جديد.

رجع إلى البيت في الوقت الموعود، شكرته أمه على وفائه وامتناله للأوامر، وحسن تصرفه، فشرح لها ما فعل في السهرة مع أصدقائه، وأجاب عن كل أسئلة

أمه حول هؤلاء الأصدقاء وعن رائحة ملابسه الكريهة. كانت إجاباته الفورية والعموية مصدر إقناع لأمه.

في صباح الغد أشرقت الشمس؛ لتدعوهم إلى الحضور إلى الشاطئ باكراً؛ كي يتمتعوا بأشعتها قبل الرحيل؛ لأنها كانت تعلم أن الطقس سيتغير في منتصف النهار، وقد حدث ذلك فعلاً بعد أن داهمتهم السحب والمطر فيما بعد.. التحق إيمي بأصدقائه بينما الأب اقترح على من تبقى من العائلة مزاولة الرياضة في قاعة مفلقة أو الخروج لزيارة بعض الأماكن الأثرية، قبل الأولاد الفكرة، وذهب كل واحد منهم لمزاوله هوايته.

قالت الأم:

- أما نحن فسوف نخرج لشراء بعض الأغراض.

ذهب الأب إلى قاعة قريبة لمزاوله الرياضة وزيارة المتحف فيما بعد.

أما إيمي وأصدقائه، فقد ذهبوا إلى القاعة نفسها التي سهرروا فيها البارحة، وجد إيمي ضالته في لعبة السهم فلعبها بشغف، في هذه الأثناء دعتة إحدى الحسانوات التي تبلغ من العمر ست عشرة سنة لتناول القهوة، قبل الدعوة للتجربة، بل للتدخين هذه المرة لإثبات وجوده أمام أصدقائه.

حصل ذلك في 12 يولييه 1993م، فانتابه سعال خفيف وأحس بالغثيان، ودمعت عيناه قليلاً فمسحها واستمرّ في تجربته، فسعل من جديد وأحس هذه المرة بشيء من اللذة والصحوة، أنهى السيجارة للتخلص من ضحك صديقه اليوم جولي، وتناول أخرى بعد نصف ساعة، وبمرور الساعات استمر في تعلّمه هذه المرة بيسر حتى أصبح ملك التدخين. سوف يتمكن أخيراً من فك لغز السجائر ويفشي سرّها، نصف الأصدقاء يدخنون، صديقه جولي أيضاً تدخن وكذلك صديقه الذي دعا، النصف الآخر لا يدخن ولا يعرف عنه شيئاً، صديق آخر بدأ حديثاً مثله، يسعل ويسعل حتى أحس بموسيقا داخل أذنيه:

- كل واحد يختار الهواء الذي يريده، وأنا اخترت هواء البحر ولا أحب الهواء الملوّث، لنخرج.

كانت هذه آخر كلمات تلفظ بها أحد أصدقائه.

لازال المطر بالخارج يعاند الجميع، وبقي كذلك كل أيام الأسبوع، فقرر الأبوان نسيان الشاطئ مؤقتاً والتمتع بزيارة الآثار الرومانية الكثيرة الانتشار، قبل بدء هذه الزيارات شرحت الأم للأسرة بكاملها درساً في التاريخ حول الفن المعماري الديني في القرن الحادي عشر والثاني عشر، يا ترى هل تريد أن يصبحوا كلهم خبراء في هذا النوع من الفن؟ حاولت دون جدوى لفت اهتمامهم لدور الكنيسة، إذ كان لها آنذاك دور كبير في الحياة الاجتماعية في ذلك الوقت، فهي: مركز عبادة، ومأوى للناس ومطعم للفقراء، وبنك وسوق، وكانت الأم تستعين بالصور لإثبات ما تقول، وأخيراً ختمت الدرس بالتحدث عن أسهم في بناء التاريخ، وأصرت على تواضعهم، كانت الأم تلح على هذا الجانب الإنساني الذي كان يتحلى به هؤلاء الفنانون الذين كانوا يتعاطون الفن من أجل الفن، ويتمتعون بالتفاني في العمل والحس الفني الراقى، بالإضافة إلى الصدق والإخلاص. بعد ذلك أخذت الأم ورقة وبدأت تشرح لهم بعض خفايا هذا الفن الجميل، مثل: القبة والسقف والواجهة والمقاطع والصحون والأسقف الهرمية.

بعد شرح مفصل عن هذا الفن العريق والجميل أرادت التأكيد على الواقع، لكنها سرعان ما طلبت منهم المغادرة إلى أماكن أخرى تستحق الزيارة.

قالت لهم لتهدئتهم:

تبقى لنا ستون كلم فقط وتنتهي الزيارة.

انطلقت العائلة لاكتشاف الريف الجميل، وما يحتوي عليه من أسرار طبيعية وتاريخية، كان كل واحد منهم يتخيل أولئك الذين يأتون من بعيد مشياً على الأقدام، أو أولئك الذين يأتون على الخيول لزيارة هذه الأماكن المقدسة، سعياً وراء المعرفة أو

التقرب من الجنة، آخر المطاف كانت زيارة كنيسة (طالموت) كنيسة جميلة دمرتها السنوات بمساعدة البحر النائر، كانت هذه الكنيسة في السابق ملجأ للزائرين الذين يريدون الركوب في الباخرة للالتحاق بالميدوك. بقايا الدمار الذي خلفته السنون:

صور ملائكة نُقِشت على الحجر، وبهلوانات، وأسود، وتين، والفارس الشهير (سان جورج) الذي أنقذ ابنة ملك ليبيا، كانت الأم تشرح كل هذا أمام اهتمام الأولاد المتزايد، حتى المدخن الجديد كان يشعر بالسعادة وهو يتابع شرح الوالدة المفصل حول هذه الكنيسة العظيمة التي لا تزال صامدة بالرغم من قوة الدمار والانهيال شبه الكامل.. لم يندم إيمي على ترك أصدقائه ذلك اليوم والتفرغ للتاريخ والحضارة.

جلس الجميع على أريكة مصنوعة من حجر تحت ظل شجرة كبيرة خارج الكنيسة، وأخذت الأم تكلمهم عن زيارة الغد. كان الهواء يتلاعب بأوراق الأشجار المجاورة، ناشراً خلفه رائحة الأزهار المنتشرة في المروج المجاورة، كان الجميع مرتاحين لهذه الزيارة والاستفادة من التاريخ القديم، لكن زيارة الغد التي تخطط لها الأم قد تعكّر صفوهم لقربها من زيارتهم هذه، نطق الأب قائلاً:

- هذه فكرة جميلة، لكن أقترح أن تتم هذه الزيارة الأسبوع القادم.

وافق الجميع على هذا الاقتراح بفرح وسرور وانتهت الرحلة.

رجع إيمي إلى معشوقته الجديدة واشترى أول علبه سجائر؛ ليتابع تعلمه واكتشاف أسرار المعشوقة الخفية. اشترى النوعية نفسها التي يدخلها أصدقاؤه، وهي نفسها التي يدخلها والده، هي السجائر نفسها التي يدخلها رعاة البقر، هي السجائر نفسها التي رسمت على اللوحات وعلى الجاكيت الذي لازال يحلم بشرائه. حتى الكشك الذي اشترى منه السجائر تعتليه لوحة دعائية تروج لهذه السيجارة العظيمة. السؤال المطروح هو: أي علبه يختار؟ إنه يستطيع شراء علبه لعشرين سيجارة، لكنه سيكتفي بعلبة العشرة فقط في البداية؛ لتلبية حاجته وحاجة بعض

الأصدقاء، كانت السجائر تباع على الرصيف مع الحلوى، طلب إيمي من البائع علبة عشر سجائر، لكن البائع أشعره بنفاد هذه العلب واقترح عليه البيع بالواحدة، البائع يفعل أي شيء لإرضاء زبائنه، اشترى إيمي خمس سجائر، وانصرف، لكنه لاحظ أن السعر بالواحدة غير مناسب وليس من صالحه كله، قال في نفسه من يجب لا يلتفت إلى التكلفة؟ كيف يمكن له أن يتصور أن هذا البائع المحترم يشارك في الجريمة المنظمة؟ مثله مثل غيره من البائعين، فهو يسهم في قتل ضحيتين سنوياً.

بكل هدوء ودون تعمد بدأ التدخين بقوة، بزيادة السجائر يومياً. بعد 12 يوماً من تعرفه على جولي وبدايته السيئة مع السجائر أصبح يدخن عشر سجائر في اليوم، شكر المصنع؛ لأنه وفر عليه كثيراً باختراع علبة العشر سجائر بدل العشرين والخمس والعشرين. سرعان ما اكتشف جهاز توزيع آلي لا يبيع إلا علب العشر سجائر، سوف يعفيه هذا الجهاز من زيارته المتكررة إلى بائع السجائر؛ لأن هذه الزيارات عاقبتها سيئة.

- لقد ولّى زمن الطفولة. التدخين من علامة الرجولة، سوف أدخن مثل ما يدخن جيمس بوند، ربما قد تخرج جولي من الماء مثل ما يحصل في الأفلام، سوف أدخن مثل أبي الذي يختلف تماماً عن أمي، سوف أتحدى كل ممنوعاتها، أنا سعيد بقراري، وسعيد أكثر؛ لأنني تعرفت على هؤلاء الأصدقاء، كلهم طيبون ويختلفون عن أصدقاء السوء بنادي (كلوبان كلوبان) أصدقائي هنا شبان مثلي بسطاء، أصدقاء حقيقيون أغلبهم يدخن مثل كل الناس.

في الصباح لا أحتاج إلى سجائر؛ لأتجنب المشكلات مع أمي، يمكنني الامتناع عن التدخين يوماً كاملاً دون أن أشعر بأي شيء، لقد صدق فيليب عندما قال: إنه يمكن الكف عن التدخين في أي وقت.

قام إيمي بالتجربة، كانت السماء ذلك اليوم لا تبشر بالخير، بعض الغيوم قدمت لتعكر الجو وتغير برنامجه اليومي. يجب التخلي عن الأصدقاء هذا اليوم، أخذت الأم تتخلى شيئاً فشيئاً عن مراقبة ولدها، بعد أن تأكدت من أنه لا يدخن.

كانت أخته في هذه الأثناء تلعب على الشاطئ، تقوم بتصنيع دكان من رمل، وتبيع فيه الصدفيات التي تجرفها الأمواج وتلقي بها على شاطئ البحر، أو بعض الزهور التي تقوم بصنعها من أوراق ملونة.

كانت الأم تراقب ابنتها بسعادة، أما الأب فكان معجباً بالمهنة التي اختارتها ابنته؛ لأن هذا يدل على موهبتها التجارية، في يوم من الأيام رجعت البنت من الشاطئ فرحة؛ لأنها حصلت بالمجان على قبعة تروج للسجائر.







## الفصل 4

«أشدوز» شخص من الوزن الثقيل الذي لا يرحم ولا يشفق، فهو المجرم المتخصص في العمليات القذرة، اسمه الحقيقي (بنزوبيرين) أو باختصار (بنزو)، فهو أحد مكونات الـ (4000) مادة غير المراقبة التي تدخل في صناعة السجائر، صحيح أنها دون مراقبة، لكن مفعولها المدمر قوي جداً، كل مادة لها خصوصياتها، وتتميز كل واحدة بسمومها القاتلة، أكثر من أربعين منها معروفة بالسرطانية، منذ أربعين سنة، لكن شركات صناعة السجائر عرفت كيف تتستر على هذه المواد المسرطنة. (بنزو) هو أحد هذه المواد المسرطنة الخطيرة.

أما أول أكسيد الكريون، فهو أيضاً من الصنف المسرطن، يتسلل إلى الهيموغلوبين؛ ليفتك بالبنية التحتية للأوعية الدموية، ينتج عن ذلك التهاب حاد في الأوردة والأعضاء السفلى، ويسمى هذا الالتهاب (بمرض الواجهة) لأن المريض يفقد قوته، ولا يستطيع المشي فتستهويه الواجهات الزجاجية فيتوجه إليها، من الأمراض الشائعة الأخرى التي يتسبب فيها (أول أكسيد الكريون) النزيف الدماغي، وأمراض الشرايين والسكتة القلبية.

هناك مجموعة من المواد اسمها (NOX) وأكسيد النتروجين، هي مضرّة بالجسم أيضاً ومسببة لالتهاب الأغشية التنفسية والتهاب الملتحمة بالعين، تقوم هذه المواد أيضاً بتغيير لون البشرة والأسنان إلى اللون الأصفر.

أما الأمونيا، فمشهود لها على أنها منظف قوي للخزائن القديمة ومزيل للدهون والشحوم، وهي تباع عند أي محل للعقاقير المختلفة، وغالباً ما كُتبت العبارات الآتية على زجاجات الأمونيا: (مهيج) حارق، إذا تمكن من الدخول بعمق في جسم أحدث به تورمات، خاصة بخلايا الرئتين لتسهيل عملية تسرب النيكوتين إلى أنحاء الجسم كافة.

مادة البيريدين من المواد المضرّة أيضاً وتسبب أمراضاً نفسية وعضوية، مثل الغضب والأرق والدوران والغثيان، والاستفراغ.

مادة النفثيلامين (Naphtylamine) من المواد الفاعلة أيضاً؛ فهي تجرّب حظها مثل غيرها من المواد المضرّة، إذ إنها تشتهر بالتسبب بسرطان المسالك البولية والمثانة، وبورم الخصية.

الهدروكينين (Hydroquinine) والفياكلول (Guaiacol) والفرمول ومادة الفورلدهيد ومادة الإيثان كلها مواد مضرّة تسبب الحساسية والتعب، وتقرّز الدموع وتغير حاسة التذوق.

أما الأحماض، مثل حمص الأستون، وحمص الفرمول وحمص البنزين، فهي من المسببات لحساسية الأنف، والحلق، والرئتين.

حمص السيانيد هو الآخر من فصيلة هؤلاء القتلة، لقد استخدمه هتلر بنجاح في مخيمات المساجين، دوره إيقاف عمل الأنزيمات الخاصة بالتنفس وإحداث تقرحات بالغة بالرئتين.

من بين المشتقات بنزو مولات خفية تساعد المواد الآتية على أداء وظيفتها، مادة الأستون تستخدم كثيراً في تنظيف الدهانات، وهي مادة مضادة للحشرات تحتوي على مادة النفثالين ومادة الميثانول المستخدمة في دفع الصواريخ ومواد أخرى مثل الكادميوم الموجود ببطاريات السيارات وصابون الصولوبين وغاز البوتان المستخدم بولاعات السجائر، ومواد مشعة مثل البلينيوم 210 ومجموعة من المبيدات الحشرية من بينها مادة (دي دي تي) ومبيدات أعشاب... إلخ.

يا ليت إيمي يعرف كيف تتسلل هذه المواد إلى جسمه، وكم هي السموم السرطانية التي تزرعها فيه!

مادة النتروزامين تتحالف مع البنزو لإنتاج مادة القطران التي تسبب سرطان المسالك البولية، وسرطان الرئة، وسرطان الكبد، أما بنزو، فله اختصاصه الخاص. منذ 1956 عرف مصنّعو قدرته التدميرية، لقد التزموا الصمت وتركوه يعمل ويدمر، ويدمر أحسن تدمير.

أما بعض زملاء بنزو فيوجدون على شكل غازي يتقلون كما يشاؤون ولا يحتاجون إلى من يساعدهم في تنقلاتهم، أما بنزو والآخرين، فيحتاجون إلى المساعدة في تنقلاتهم، الحبيبات تقوم بهذا الدور، فعندما يشعل إيمي سيجارة يحتاج بنزو كي ينتقل إلى أربع أو خمس مصات لإنتاج كمية من الدخان تتراوح بين 400 إلى 9 ملل من الدخان، كل ملل واحد من هذا الدخان يحتوي على 10 مليارات من الحبيبات الناقلة، والسيجارة الواحدة تنتج من 4000 إلى 9000 مليار من هذه الحبيبات التي تسمح لبنزو وغيره بغزو جسم إيمي.

مهما كان عدد الغزاة فحبيبات التنقل متوافرة وكثيرة، عدو منها يخرج مع الدخان؛ ليسيء لغير المدخنين، وهكذا تتسلل كثير من هذه الحبيبات لتنتشر في الجو، كان إيمي ينعم بهذه الحبيبات أكثر من غيره كمّاً ونوعاً، التدخين السلبي مضر خمسة أضعاف من التدخين نفسه؛ لأن الحبيبات الناتجة عنه صغيرة جداً قياساً بها يتراوح بين 10 ونصف المكرون، لها دوران اثنان، أولاً: نقل المواد المسرطنة وغير المسرطنة إلى خلايا الجسم وتضييق الخناق على نظام التطهير فيه، هذا النظام الذي يتولى عملية إزالة التلوث والتخلص من الميكروبات، أما بقية الحبيبات فتتجمع داخل الأنف والدماغ والبلعوم، يستطيع إيمي أن يتخلص من 80% منها لكن البقية هي الأقوى، فتتمركز في داخل الرئتين وتستقر في الشريان الرئوي خاصة.

منذ اتخذ التدخين صاحباً أي في تجربته الأولى بتاريخ 9 مايو 1991م، حين جرب سيجارته الأولى بتاريخ 12 يولييه 1993م تعرف بنزو على عالم غريب، عالم

أصغر وحدة حية، أي الخلية، التي تحاول مثل كل عضو في جسم الإنسان أن يعيش في توازن، لكن دور بنزو هو الإخلال بهذا التوازن، فهو يعرف أن إيمي يتكون من مليون مليار خلية مقسمة إلى مئتي مجموعة: الرئتين، والكبد، والعظام، والمثانة.. دور بنزو محدود. دوره هدم الرئتين، فهو يعرف أن كل الخلايا التي تتكون منها الرئتان تخضع إلى نظام معين، هناك من يعتني بإصلاح الخلايا الفاسدة، وهناك من يقدم لها الغذاء، وهناك من يقوم بعملية توازن الخلايا، وهناك من يقوم بالتخلص من النفايات، وهناك آخرون وآخرون يتخلصون من الروائح غير المرغوبة في الوقت المناسب، وهناك شرطة أيضاً تسهر على نمو كل خلية من خلايا إيمي وعلى تكاثرها وموتها بطريقة طبيعية ومنظمة مثلها مثل أي خلية أخرى، هذا نظرياً، لكن بنزو لا يصدق هذه النظرية، ويقارن مهمته بالمكتبة العائلية أو بالبيت، يبدأ مهمته بالتمسك بالجدار الخارجي، هذا ما يفعله داخل جسم إيمي، بعد ذلك يبدأ بإزالة الطلاء الخارجي (أي الغشاء الرئوي) ثم يخترق الخلايا المخاطية، وبعد ذلك يعرف أن مهمته ستصبح سهلة؛ لأنه سيخترق المادة الحبيبية للجدار (أي الغشاء القاعدي للرئة)، ثم خلايا العضلات (الفايبرو بلاست) الخاصة بالخلايا التي تسهم في بناء الألياف، وأخيراً يقوم بالتحكم في مجرى السوائل مثل: (الدم والسائل المكون للبلازما والكريات البيضاء).

مهَّد بنزو طريقة داخل جسم إيمي منذ 12 يوليو 1993، يدخل دائماً من الطريق نفسه، ويعبر طريقه عبر البصاق ثم إلى البلعوم، وبعده إلى المعدة، ثم يتسلل إلى الجهاز التنفسي، مهما كان الطريق الذي سلكه مع بقية المكونات للسجائر سيصل إلى الدم، بإمكانه المرور إلى المسالك البولية لإصابة المثانة بالسرطان، لكنها ليست مهمته؛ لأن طريقه المفضل يمر عبر البلعوم؛ ليصل إلى القصبات الرئوية، شيئاً فشيئاً تتقلص هذه القصبات لتصبح صغيرة وتنتهي بجيوب أو فتحات، هناك تقريباً 200 مليون فتحة تتكفل بإخراج ثاني أكسيد الكربون وامتصاص الأكسجين من الخلايا.

سوف يغزو بنزو كل الخلايا المكونة للنسيج الداخلي لجسم إيمي، وشيئاً فشيئاً يتسلل إلى كل أنحاء الجسم، هذا هو عمله، يعمل ببطء لكنه دائم الحركة، يكفيه القليل من الشجاعة والصبر لتحقيق الهدف المنشود، هدفه الاستيلاء على جزء من 100 متر مربع من الخلايا المكونة للرئتين، ثم إيقاع خلل في وظائف هذه الخلايا وتدميرها، (الوحدة تولد القوة) بنزو موجود في كل جرعة من الدخان يتنقل عبر مليارات الحبيبات في أي وقت من اليوم، وتساعده في إنجاز مهمة الأمونيا ومواد أخرى تكفلت بمساعدته في التنقل بسهولة عبر ممرات يمهدونها له.

كان بنزو لا يتمتع بأي نشاط قبل دعوة إيمي له أول مرة، لكنه الآن أصبح يتحول إلى مادة سامة بعد تعرضه لعمليات أنزيمية.

صناعة السجائر تعرف أن بنزو غير ضار قبل عملية التفاعل؛ لذا تستغل ذلك في المحاكم لتبرئة نفسها من التهم الموجهة لها من قبل محاربي السجائر، كما تدعي أن المواد التي تستخدمها ليست مواد مسرطنة، لكنها يمكن أن تصبح مسرطنة بسبب أنزيمات المدخن، من هذه الناحية سوف لا ينجو إيمي من شرها؛ لأنه من جهة له استعداد جيني قوي يسمح له بإنتاج الأنزيمات بكثرة، ومن جهة ثانية بنزو سوف يتمسك به أكثر من غيره لمتعه بهذه الميزة، لقد أصبح بنزو معروفاً بقوة سمومه حتى صار رفاقه الأربع آلاف ينعتونه (بالسام الجيني)، لكن بنزو من النوع الذي لا يكثر، بل على العكس؛ فهو فخور بذلك لأن هدفه أصلاً هو الوصول إلى جينات المدخن ومن ثم تدميرها، لكن كيف يدمرها؟ ينشر سمه في خلية واحدة، وهي تتكفل بإنجاز المهمة، لكن الكبد والكليتين يسهران على سلامة الجسم، يقاومانه ثلاثة أشهر ويتخلصان من سمومه بواسطة مادة الصفراء التي ينتجها الكبد، وعبر البول تطرح خارج الجسم، ثلاثة أشهر وبنزو يحاول إيجاد خلية يفتك بها لكنه يعجز.

في 18 أكتوبر 1993م وصل بنزو إلى الغلاف الخارجي للرئتين، هذا الغلاف العازل الذي يسمح في الوقت نفسه بالاتصالات الخارجية، بعد أيام وجد بنزو ما

يحتاجه، لقد أمسك بخلية من خلايا المخاط الرئوي، بعد دخوله إلى الرئة أحس بنزو بالدوار: ما رآه بداخل الرئة يشبه دائرة إلكترونية، هو عبارة عن حاسب آلي ضخم ومركز هاتف متشعب الأسلاك.

شاهد أجزاء واضحة: (النواة، وهو الجزء البارز، فيه تتمركز جينات الخلية التي ستقوم بإنجاز المهمة، أخذ بنزو يتأمل في الميتوكوندريا التي تحتوي على الأنزيمات الخاصة بأكسدة المواد الغذائية، اكتشف أيضاً أنفاق التخزين والإمداد بالطاقة، بعد ذلك تعرف على الريبوزوم التي تقوم بعملية التركيب الضوئي للبروتينات؛ وهي عملية حيوية للخلية؛ لأن هذه البروتينات ضرورية لنموها، وإصلاح ما يتلف منها وتأمين اتصالاتها، أما الجزء الأخير الذي اكتشفه بنزو، فهو مركز معالجة النفايات المسمى جهاز جولجي.

كاد بنزو يغمى عليه من عظمة ما شاهده، لكنه لم يكثرث من ذلك؛ لأن فرسيته سهلة المنال بالرغم من ضخامة مساحتها: مئة متر مربع ليست بالمساحة الهائلة، كيف يفزوه هذه المساحة دون مساعدة من (إيمي)، يجب عليه أن يدخن كثيراً؛ لسمح له بالنفوذ يومياً، كلما دخن كان ذلك أفضل، فهو كالسيارة التي تعبر الخط السريع في الاتجاهين عشرين مرة في اليوم، العملية ستكون سهلة؛ لأن إيمي له من العمر 14 سنة، في هذا العمر الجسم في أشد مرحلة من تكوينه، له سرعة فائقة في تكوين وإعادة تكوين الخلايا، هذا ما يزيد من احتمال نجاح بنزو في مهمته المدمرة.

إلى الآن اكتفى بنزو بالدخول إلى الرئة والوصول إلى الخلية المطلوبة دون عمل أي شيء، لازال يراقب النواة عن بعد... بعد أيام اقتحم النواة من خلال إحدى المسام المخصصة للاتصال بالسيتوبلازم، فوجد نفسه محشوراً داخل متعرجات مكونة من شعيرات دقيقة ومحبية، تشبه بلد الضباب، لكنها سهلة العبور.

بعد أن دخل في النواة أخذ يزاحم من سبقه من الزملاء، مسلماً على هذا وذلك، تعرف على النوية ثم على الكروماتين، واستمر في اقتحام الضباب، واكتشف

أن تلك الشعيرات الدقيقة من مخلوقات الأحلام سوف يقع في حبها بسهولة، كيف لا يقع في حبها، وهي بهذا الشكل اللولبي الجميل، بعد إجراء تحريات أولية عرف أنها تحب أي شيء (حامض حلو): بمعنى آخر حلو حامض، تبدو بنيتها قوية: شكلها يشبه شكل السلم، تحتوي على السكريات وحمض الكبريت والأذنين، والثيمين السيتوزين، والفوانين.

تساءل بنزو قائلاً: وسائل الاتصالات لا تتجاوز الأربعة أحرف، أراد التأكد من صلابة المجموعة، فلاحظ أن هذه المجموعة تتماسك بواسطة قوة كهربائية.

والمجموعة التي تشبه السلم تكوّن ما يسمى النويدات، له ترتيب معين غير قابل للتغير ولا مثل له، لهذا فهو سهل الاقتحام، لكن سرعان ما غير بنزو رأيه عندما اكتشف أن ألفاً أو ألفين من هذه النويدات تكوّن جيناً واحداً، والجين طبعاً هو المسؤول عن عملية الوراثة، فهو عبارة عن بنك للمعلومات.. وهذا هو ما يبحث عنه لإنجاز مهمته.

بعد إجراء عملية حسابية بسيطة اكتشف أن المصنّع لم يخبره أن إيمي يمتلك 3 مليارات نويدة، وجد بنزو نفسه أمام بنك المعلومات الذي يتولى عمليات الصيانة وعمليات ترتيب وإعادة ترتيب المعلومات داخل الجينات، هذا ما يسمى بـ (DNA).

لاحظ أن هناك 30000 من الجينات المتمركزة فوق الكروموزوم، هذه الجينات هي المسؤولة عن العوامل الوراثية وتصنيع البروتينات الضرورية لاستمرارية الحياة، كل هذا مكتوب بالحروف الأربعة السالفة الذكر، عمليات التخريب التي سيقوم بها بنزو سوف لا تتم بسهولة.

فهو داخل المصنع، ولكنه مصنع معقد ومحصن ومراقب مراقبة دقيقة، بعد أيام لاحظ أن هذه المراقبة هي مراقبة خارجية وداخلية، الخارجية تتولاها عوامل النمو، والداخلية تتولاها الجينات، لقد لاحظ أن عوامل النمو ليست بالسهلة، وقد تواجهه بعنف وتعرض سبيلة لإنجاز مهمته، لاحظ أيضاً أن وضعه سيئ ويدعو للقلق،



فالخلية بعد أن تتكاثر تفقد قوتها وتموت تدريجياً، تموت يومياً 60 مليون خلية بعد أن تقوم بإنتاج 60 مليون خلية جديدة، خلايا الرئة التي جاء بنزو من أجلها لا يتجاوز عمرها ثلاثة أشهر، فهي تموت عند بلوغ هذا العمر القصير، وهذا ما يسهل ويصعب من مهمة بنزو، سوف يقوم بإنجاز مهمته للقضاء على أجيال كثيرة، كما أنه سيقوم بإنجاز مهمته خلال عملية التكاثر، 60 مليون نسخة يومياً لا يمكن الإيقاع بها بسهولة ودون أغلاط.

هذا العدد الضخم لا يخيفه، ولا يعيق عملية التدمير والتخريب والقتل في أثناء عملية انشطار الخلايا، سوف ينجح في مهمته حتى لو كلفه ذلك سنين من عمره، هذا العهد من بنزو على نفسه.

بنزو يعرف أنه ليس الوحيد الذي يقوم بهذا الإنجاز، فالعديد من رفقائه يقومون بالمهمة نفسها حول العالم، بالرغم من ذلك، فهو غير مطمئن مئة بالمئة؛ لأنه يعرف أن احتمال الإصابة بسرطان الرئة لا يتماشى طردياً مع عدد السجائر المدخنة، بل مع مربع هذا العدد. بالرغم من ذلك فهو متأكد من نجاحه، عامل الوقت هو المهم، فالوقت يعمل لصالحه، المهم أن يستمر إيمي في التدخين يومياً وبالكمية نفسها كل يوم.

بمرور الوقت سوف يكون كل شيء سهلاً، كان بنزو يسأل نفسه: كيف سيتمكن من إيجاد فريسته، وكيف يدمر نظامها المعقد؟ وفجأة رأى ما يبحث عنه، جيناً اسمه بي 53 المسؤول عن أي تغيرات في (DNA) المورثات.



# الفصل 5

المادتان (L - N) من المواد الخطيرة التي تدخل في تركيبه السجائر، كل واحدة لها دور معين في اختيار الضحايا، ضحايا التدخين، ضحايا (بروموريم). المادة الأولى تدمر نفسية الشباب وتوقعهم في شراكها، أما الحرف الثاني الذي يدل على النيكوتين فهو لا يعمل وحده، بل يساعده في مهمته من 600 إلى 1400 شريك يختارون بعناية لتطوير تلك الشراك بعمليات كيميائية متطورة، بعد تطوير الشراك يعاد نصبها ويقوم (L) بمراقبتها للاحتفاظ بفاعليتها، من قبل كان الضحايا يتباهون بمواجهتهم، أما اليوم فقد تغير كل شيء؛ لأن كل شيء له نهاية كما يقولون، فالسجائر أصبحت فتاكة أكثر من قبل؛ ضحايا التدخين في تزايد مستمر وخاصة بين الشباب، بلغ عدد الموتى في القرن الأخير 100 مليون ضحية في العالم، ضحايا التدخين من كل الفئات ومن كل الأعمار، أغلبهم يموتون بعد معاناة وفقر وعذاب، إنهم يموتون تاركين العذاب لأهلهم وذويهم.

إيمي ضحية مفضلة للنيكوتين؛ ليس لأنه ينتمي إلى مجتمع ميسور أو للمستوى الثقافي له أو لوالديه، وحتى الآثار التي تركها موت أم أحد زملائه لم يكن لها أي تأثير في اختياره كضحية. لكن بعد التحريات ثبت أن أباه يتعاطى التدخين بشراهة، وأنه يدخن خفية؛ حتى لا يلفت انتباه الأم المناضلة ضد التدخين، وهذا من العوامل المفيدة؛ لأن كل ممنوع مرغوب وذاك هو الفخ الذي سيقع فيه ابنه إيمي.

آدباتريس من جهة والنيكوتين من جهة أخرى، بالإضافة إلى العوامل الأخرى، كلها تكافقت لإيقاع إيمي في الفخ الذي نُصب له، وقع فعلاً في شباكهم لتقليد الكبار، أراد تقليد رعاة البقر وللحصول على حياة صحية وسعيدة والانتماء إلى طبقة راقية، ذلك هو الطعم الذي جذب إيمي إلى الفخ القاتل، بمرور الوقت يشعر الضحايا بالسعادة والهدوء والبرودة، كان إيمي في عنفوان شبابه؛ لذا كان يشعر بالقوة والرجولة، وكونه يريد إثبات وجوده تمسك أكثر فأكثر بالحرية والاستقلالية.

كان إيمي يبدو لأعدائه شخصاً طيباً ومكافحاً، يتسم بالجدية وعمق التفكير.

صحيح هو طيبٌ لكنه صعب المنال، وفي النهاية سوف يقع في الشباك، إيمي أصر أخيراً على الانتماء إلى عالم الكبار، وربما الدخول في عالم العمل أيضاً، كان ينظر إلى كل ضحايا السجائر على أنهم أشخاص متحضرون يتمتعون بالإبداع والرومانسية، فهو يعد أن كل هؤلاء ينتمون إلى الطبقة العليا، وهذه هي غلطة الشاطر التي ستقوده إلى الهلاك.

الاسم الحقيقي للسيدة نيكوتين هو (Cedicehachequatorzende) اسم يصعب نطقه؛ فهي كلمة أصلها من أمريكا الوسطى، تطورت شيئاً فشيئاً؛ لتصبح مستخدمة في عالم الجينات، فهي مادة كريمة قاتلة للطفيليات، لقد عرفوا خطورتها منذ زمن بعيد، وعرفوا أنها أمرٌ من العلقم. حتى أصفر قملة تعرف أنها سامة وقاتلة؛ لذا كان إيمي غيباً، بل أغيب من هذه القملة الصغيرة.

النيكوتين من المواد السامة والمهيجة، تتمتع بجاذبية كبيرة، لكنها منافقة وخبيثة، فهي كالحاضر الغائب، تخدرك وتشعرك بالراحة والهدوء، تدخلك عالم الخيال وتشعرك بأحاسيس متناقضة في لحظة قصيرة من الزمن، بإمكانها القتل أيضاً، بتزويد فريستها بـ(40 ملغ) من السم؛ لتلحقه بضحايا (آد باتريس) المنتشرين حول العالم، ومن ميزاتاتها أنها كثيرة الحذر: كم من شخص لا يعرف أنه يتجرع كمية كافية من سمومها بمجرد تدخين 6 أو 10 و20 سيجارة، فهي تسهر على ألا يشعر

هؤلاء بخطرورها فيهجرونها، فهي تحاول أن تتسلل إليهم تدريجياً بتسريب القليل من سمومها دفعة واحدة، لكنها عندما يحين الوقت لا تبخل عليهم وتزودهم بما يكفي لقتلهم، فهي تختفي في أجسامهم بعد ساعتين من دخولها، فيشعر المدخن بحاجته إليها من جديد، فتتجدد علاقته بها عدة مرات في اليوم، وهذه هي غاية آد باتريس وشركائه.

إنها خادعة وماكرة، تتسلل إلى جسم المدخن عبر فتحة صغيرة بمفتاح مزور، مثلها مثل اللصوص، لقد تعب إيمي مثله مثل غيره من مكائدها وتسربت سمومها إلى الخلايا بواسطة أعصاب متخصصة في الإرسال وأخرى متخصصة في الاستقبال.

السيدة نيكوتين تتمتع بموهبة صيدلانية كبيرة تسمح لها أن تحل محل أعصاب الإرسال؛ لتتمركز في العضلات وفي الجهاز العصبي للقلب والأوعية الدموية والقصبات، وفي العديد من المناطق بالمخ... لا يحدث هذا إلا في عشر ثوان فقط، يا له من إنجاز عظيم! تعجز عن تنفيذ الصناعة الصيدلانية الكبرى، بعد تمركزها في الأماكن الحساسة تحكم قبضتها على أعصاب الاستقبال، فيصبح إيمي يدخن أكثر فأكثر، بعد تجربته الثانية أحس إيمي بزيادة أعصاب الاستقبال لديه، محدثة تغييرات مهمة في المخ، والنتيجة الأولى هي تبعيته للنيكوتين.

هنا دار الحوار الآتي بين النيكوتين وأحد رفقاءها الذي قال:

- لقد وصلت إلى حيث تريد، لكنك سوف تزولين.

- لا تتسرع؛ لأن إيمي الآن بحاجة إليك؛ لأنه لم يقع بعد في شباكك، ولأنه لم يقتنع بعد بحيلك.

كل واحد منا يقوم بعمله، أنت تتولى الجانب العضوي، وأنا أتولى الجانب النفسي والسلوك العام، والجانب العاطفي الذي يربطه بالسجائر.

بعد تعلمه أصبح إيمي أو (أنت) كما يحلو للجميع تسميته يشعر بنكهة خاصة

ويتلذذ التدخين، أحكمت النيكوتين قبضتها عليه فخفضت من الضغط العصبي عليه وزادت من يقظته، فعن قريب سوف تسيطر على تركيزه في الدراسة، وعلى ذاكرته في المدى القريب، شعر (أنت) بزيادة سرعة التنفيذ في الدراسة دون زيادة أغلاطه، لاحظ أن شهيته أيضاً انخفضت، في هذه الأثناء كان رفيق النيكوتين يضحك؛ لأنه يعرف ما حدث لإيمي، كل ما حدث له هو نتيجة تأثير مخ (أنت) بأول أكسيد الكربون الذي انتشر بغزارة في المخ، إنه يشبه الانتحار. أكسيد الكربون مشهور في عالم الإجرام، إنه يقتل العشرات سنوياً، أدمن (أنت) على النيكوتين وأصبح سعيداً، والنيكوتين أيضاً أستأنست لتسللها إليه وأصبحت سعيدة مثله.

سوف يستوعب في المستقبل آثار النيكوتين بعد أن شعر أنها قد خففت شعوره بالقلق، هذا هو عملها وهذه هي غايتها: إراحته نفسياً وإشعاره بالسعادة، فهو لا يشعر أن مفعولها مثل مفعول الأدرنالين الذي يرفع الضغط ويزيد من سرعة النبضات ويضيق في المسام الجلدية؛ مما يقلل من درجة حرارة الجلد، ويقلل من تدفق الدم في الوريد التاجي، وتراكم الصفائح مما يسبب جلطة في الدماغ وتسارعاً في التنفس واضطرابات كبيرة في المخ.

عمل النيكوتين لا يقتصر على الكبار فقط، فهو ينتشر في الشباب بسرعة وخاصة الأطفال؛ فالأطفال يتنفسون بسرعة أكثر من الكبار؛ لذا فهم عرضة أكثر لأضرار النيكوتين؛ لأنهم يتنفسون بسهولة وبسرعة، فهم أحسن من تطبيق عليهم المعادلة:

هواء أكثر = سم أكثر = إدمان أكثر. يعد النيكوتين في عالم الأطفال أحسن مادة مخدرة للتخلص من عدم الرضى عن النفس، والجراح والحرمان الذي يعاني منه أغلب الأطفال.

عرفت النيكوتين أن (أنت) أصبح مدمناً، بالرغم من أنه يدخن أكثر من 6 سجائر في اليوم، فهو لا يشعر أنه من اليوم فصاعداً بدأ يفقد حريته، لقد فقدتها.

منذ أن استمع لادعاءات صديقه الذي أقنعه بأنه يستطيع الكف عن التدخين في أي لحظة شاء، بعدها أصبح يدخن أكثر ورغبته في التدخين تزداد يوماً بعد يوم.

تمكنت منه النيكوتين وأتباعها أكثر فأكثر، أكثر من 14 مادة تكالبت عليه، كيف يمكنه الإفلات من قبضتها؟ أصبح (أنت) مرتبطاً بها جسدياً ونفسياً. حتى إنه صار يعتقد بجأته الدائمة إليها، خاصة عندما يتعرض للقلق أو الأرق، فهو لا يشعر بالراحة إلا بعد أخذ قسط من النيكوتين كما يشاء، أما الآن فأصبحت هي التي تتحكم فيه كما تشاء.

فهي التي تخلق المشكلات، وهي التي تحلها، لقد ضحك عليه بالأمس وهي تضحك عليه اليوم، تتسبب له في القلق والأرق، فيلجأ إليها ويجد الراحة عندها، وكلما لجأ إليها انبسط آد باتريس؛ لأنه سيكسب أكثر.

النيكوتين وحلفاؤها يعملون في الخفاء وبعمق، فهم يحاولون إقناع (أنت) أن الضحك يخلصه من القلق.. لكن القلق هو نتيجة عدم اهتمام الإنسان بشيء ما، لكن (أنت) يعتقد أنه يعرف الحل؛ فبعضهم يتخلص من القلق بالخلود إلى النوم، وآخرون يلجؤون إلى الشرب، وكانت السيدة نيكوتين تعرف أنه سيعرف يوماً ما أن الضحك سيولد في النهاية القلق؛ لذا ليس له خيار آخر سواه لضمان سعادته، حتى عندما يشعر بالتشبع، فلا بد له من التدخين.

لهذا؛ ولأسباب أخرى اقتنع (أنت) أنه لا بد من متابعة التدخين، فلماذا يفكر في الكف عنه؟ هذا مستحيل؛ لأن مفعول النيكوتين وحلفائها أصبح لا يفارقه، كما أصبح هو لا يستطيع فراقها. لقد أصبحت السيجارة ضرورية لحياته، حتى صار يعتقد أنها مصدر أي متعة في حياته، فهي تقدم له مساعدات كبيرة لا يعرفها من لا يدخن، فهي أداة الوصل بينه وبين غيره، وعازل يقف بينه وبين أعدائه.

عندما يفقدها (أنت) يفقد كل شيء: يفقد أعصابه، يفقد صبره، يفقد الشعور بالإحساس، يفقد التركيز ويزداد توتره ويفقد ثقته في نفسه.. وبمجرد أن يلجأ إليها

تعود إليه حياته الطبيعية، يرجع إلى حيث كان، يا لها من ساحرة هذه النيكوتين! عندما تغيب تزداد رغبته لرؤيتها، وعندما يعود إليها يشعر بالعبودية لها، لكنه يشعر بالسعادة أيضاً إذ إنه يرفض اتهامها بايذائه؛ لأنها تقدم له المساعدة كلما لجأ إليها، لقد وصل إلى مرحلة لا تراجع، ولا رجعة عنها، الخبيثة نيكوتين وحلهاؤها أصبحوا يساعدونه على الحياة وصاروا يشكلون له مصدر السعادة، كلما حاول (أنت) التهرب منها تضايقت؛ لكنه سرعان ما يرجع إليها ويرتمي في أحضانها؛ لأن 50% من الشباب يتعاطونها ولا يستطيعون التخلص من غطرتها.

كان (أنت) تعاني كثيراً من المعاملة السيئة التي يلقاها من المحاربين للتدخين، فهم يرفضون تصرفه ولا يقبلون أن يعرضهم لمضار التدخين السلبي من جراء تدخينه، فبعضهم حزين عليه، وآخرون يكونون له الكره؛ لأنه رمى بنفسه في أحضان النيكوتين، في الأول كان يودّ الانتماء إلى مجموعة (كلوبان كلوبان) لكن سرعان ما أصبح محارباً ومرفوضاً من الكثيرين، مرفوضاً بعد أن كان يتصف بصفات القائد. أصبح يعي أن الكثير من رفقاءه بالمدرسة استطاعوا أن يقولوا: (لا) للتدخين، لقد انتهى عهد التدخين و(موضة) التدخين، هكذا يتساءل (أنت) متحسراً على رفض الآخرين لوجوده.

هناك حملات كثيرة ضد التدخين، حملات توعية للتحذير من مخاطره ومضاره، بعد ثلاثين سنة كان (أنت) لا ينتبه إلى مضاره الحقيقية؛ فكان لا يلتفت إلا إلى رائحته الكريهة فقط، رائحة ملابسه، رائحة شعره وتلون أصابعه باللون الأصفر.

قرأ مقالاً عنوانه: (إنه يدخن، انتبهوا، إنه خطر) تأثر بعد ذلك كثيراً، ولكن...

قرأ في إحدى الجرائد مقالاً خاصاً بالتدخين وتأثيره السلبي على العلاقة الجنسية، فهو يتسبب في القذف السريع الذي يعاني منه الكثيرون؛ لذا فهو مهدد أيضاً، 60% ممن يدخنون يعانون من مشكلات في علاقتهم الجنسية، أكثر من 40%

الذين لا يدخنون، لكن الغريب أن 80% من المدخنين يفضلون التدخين على العلاقة الجنسية، كان (أنت) خائفاً من مقابلة فلورانس...

كان أحد الأغبياء، قد نعته بالمجنون، المجنون الذي يضرب يديه بمطرقة... هذا ما حصل له فعلاً، فلم يشعر بذلك إلا بعد أن توقفت المطرقة عن ضرب يديه، كان (أنت) تعاني من حين إلى آخر من ألم في الصدر، وألم في الساقين وألم شديد في الرأس كما كان يعاني أبوه من قبل، ولكي يتخلص من ذلك كان لابد من اللجوء إلى النيكوتين لتخليصه منها وإدخال السعادة في نفسه.

فهي العلاج السحري لكل همومه وآلامه مهما بلغت قوتها وخطورتها، ليس هناك من هو أفضل وأوفى منها! إنها ودية فعلاً، في أي زمان وفي أي مكان، فهي دائماً على استعداد لمرافقته إلى أي مكان والوقوف معه في محنته وفرحته؛ لذا لا يتصور (أنت) العيش دون سجائر، لكن ذلك لا يمنعه من التساؤل، وفي الوقت نفسه لا يريد الاعتراف بحالة الضعف هذه، فهو لا يريد الاعتراف بفشله في التصدي إلى برومورتيتم وعدم التدخين.

فأحياناً يلوم نفسه وينعت نفسه بالفبي.

يشعر (أنت) أحياناً كأنه مسحور ومكبل لا يستطيع الحركة، فأحياناً يبحث عن أي عذر يمكّنه من الخروج للتدخين، وهذا أكبر دليل على ضعفه، يشعر أحياناً أخرى بألم شديد في أسفل البطن كأنه يقول له: كل شيء له نهاية حتى الجميلة منها. كان من المفروض أن ينتبه لذلك النداء، لعله جاء ليبلغ انتباهه إلى بداية مرضه، لكن (أنت) لم يستمع له؛ لأنه أصبح مكبلاً بسلاسل العبودية؛ ينفذ ما تطلب منه السيدة نيكوتين فقط، بالأمس كان السيد أما اليوم فأصبح العبد، كان أحياناً يتساءل: هل أنا صاحب القرار في حياتي؟ هل أنا صاحب القرار في مصيري؟ هل أنا بحاجة ماسة إلى التدخين؟ هل أجد في ذلك متعة؟ وما هي المتعة؟ هل أصبحت فعلاً مثل الخروف الذي يجرد من صوفه يومياً؟ هل حكم عليّ بالإعدام مثل من يتناول



الهيرويين أو الكوكايين؟ هل أنا مدمن؟ فهو يعرف أنه ليس مدمن مخدرات، لكنه مدمن سجائر.

إثر هذه التساؤلات شعرت النيكوتين بالخوف لكنها سرعان ما تراجعت لمحاولة السيطرة على (أنت) وإرغامه على متابعة التمسك بها، إنها تعرف أنها تغفلت في أعماقه، حتى أصبح لا يتخلى عنها 16 ساعة في اليوم، الثمانية ساعات المتبقية تغطي نومه المضطرب وتسمح له باسترجاع قواه.

السجائر تكلفه الكثير، خلال سنة يصرف ما يعادل تكلفة أسبوع تزجج في إحدى محطات التزلج الفاخرة، خلال (5) سنوات يكلفه ثمن أجمل دراجة نارية، دراجة أحلامه، وخلال (10) سنوات يكلفه ثمن سيارة جميلة، وخلال (30) سنة يكلفه ثمن بيت.

فكر (أنت) كم سيكلفه علاجه؟ قارن عملية العلاج بلعبة (الروليت) الروسية ذات الثلاث احتمالات، اثنان يموتان قبل نهاية العلاج، ويفتت واحد من الموت.



# 6 الفصل

(بنزو) يحوم دائماً حول المورثات الموجودة بالكروموزوم للدخول إليها طبعاً، فهو يعرف نقاط الضعف ونقاط القوة لهذا النظام، من جهة هناك مراقبون أكفاء وميكانيكيون مهرة، ومن جهة أخرى هناك 60 مليون خلية تولد يومياً، لكن هناك العديد من الأخطاء التي ترتكب داخل هذه المورثات؛ لذا يجب استغلالها.

لكن حجمه وكتلته تعيقان دخوله، فهو لا يستطيع الدخول بالكامل، بالرغم من ذلك فإنه يستطيع استغلال فجوات وإحداث أضرار كافية لإعاقة عمل هذا النظام، لكن المراقبين يسهرون أيضاً على عدم حصول أي خلل في المورثات: أي خلل أو أي تحرك لأي من الجينات.. إذا اكتشفوا أي خلل يقومون بطلب الميكانيكيين لإصلاحه والتخلص من أي جسم غريب.. لاحظ (بنزو) أن أي خلية مخطئة تموت إذا لم يتمكن الميكانيكيون من إصلاحها، وهكذا يتبخّر حلم (بنزو) بموتها. يا له من عالم مُعادٍ بعد أن تمكن (بنزو) من الالتفاف حول إحدى الجينات، فرفضت الخلية الاستجابة لأوامره، فلاحظ أن هناك بروتينات تحاول الدفاع عن المورثات، لكنها تدهورت بسبب أنزيمات مفاجئة، في هذه اللحظة رأى النواة تشطر والميتوكوندريات تتخلص من المادة التي تحتويها والسيتوبلازما تشطر أيضاً والغشاء الخارجي يتورم والمورثات (DNA) تشطر أيضاً؛ لتشكل أجساماً متساوية ومنتظمة.

في هذه الأثناء تخرج الخلية المدمرة إلى الخارج؛ لتسمح للخلايا المسؤولة عن النفايات بالقيام بمهامها. حرية الخلايا كما نرى مقيدة مثل السائق الذي يتعلم في

سيارة قيادة بجهاز تحكم مزدوج. لاحظ بنزو أن مهمته صعبة جداً، ولكي يتمكن من إنجاز مهمته يجب عليه أن يواصل هجومه؛ لكي يحدث أضراراً كثيرة، وعليه أن يتابع تقدمه عبر الطريق المزدوج عشرين مرة في اليوم... وهذا هو ما يعيشه بنزو.

في كل طلعة أي عند ابتلاع (أنت) للدخان يكتشف (بنزو) جينات تقلل من إنتاج الخلايا: هذه الجينات تسمى الجينات المضادة لإنتاج الخلايا أو الجينات التي تضخ الأورام. لاحظ وجود (15) خلية، واحدة منها هي الخلية التي يحتاجها من النوع بي 53. في 20 نوفمبر 1993م استطاع ودون تعب أن يهاجمها ويحدث أضراراً بها، ومهاجمة جزء من المورثات يسمى الحبل 157.

أصبح الجين بي 53 جيناً مضاداً يستطيع تحويل خلية سليمة إلى خلية مسرطنة. تلذذ (بنزو) بهذا النجاح الأول، لقد استطاع أن يغير بنية الجين بي 53، استطاع أن يتمكن من (أنت) ويضع أول خلية مسرطنة داخل جسمه، إن عمله هذا يشبه المركبة الفضائية التي حطت أول مرة على القمر.

بعد أيام استطاع هذا الجين المعدل أن يفلت من قبضة المراقبين.

كان الجين بي 53 حتى هذه اللحظة متخصصاً في ضخ الأورام، أما الآن فبإمكانه إنتاج بروتين بي 53 ومراقبة انشطار الخلايا وإعطاء الأوامر بتدمير الخلايا المتضررة أو الخلايا التي لا تستطيع أداء وظائفها، لقد أصبح بي 53 عبارة عن مراقب يسهر على نزاهة الخلايا وعلى القيام بالصيانة وعلى عمليات الإمداد بالتغذية وانتحار الخلايا غير الطبيعية، لكن 53 عجز عن إنجاز مهمته.

كان بنزو يريد إنتاجاً مستمراً للخلايا السرطانية حيث إن بي 53 قد دُمّر، وفي هذه المرحلة الخلايا المتضررة لا تزال غير مدمرة، ولا تزال بحاجة إلى عوامل النمو؛ لكي تستطيع التكاثر، بنزو غير مسرور بهذه النتيجة؛ لذا بدأ يبحث عن جين مكمل يسمح للخلية بالنمو دون عوامل نمو هذا الجين اسمه سي ميك، أما هدف بنزو الثاني، فهو: سي ميك + بي 53 هذه هي المعادلة الرابعة.

في 10 فبراير 1994م استطاع بنزو تدمير سي ميك، وبهذه الطريقة استطاع أن يجعل خلية (صمّاء) أو بعبارة أخرى ليس لها أي إحساس بأي رسالة تمنع الانشطار، بما أن أي خلية طبيعية تموت بعد أن تتشطر 50 مرة، فأى خلية مذنبية تخلد ولا تموت؛ لأن نواتها أصيبت بالجنون أو أصيبت بأضرار جسيمة.

لقد حصل تغيير في الخلية، استطاع (بنزو) أن يحدث تذبذباً داخل الجين بي 53، نتج عن ذلك إنتاج بروتين جديد لتعويض البروتين الخاص بعملية الانشطار، اختلط الزيت بالخل كما يقولون: بدأت هذه الخلية تحرر جزيئات متخصصة في إحداث الاضطرابات كما يريد (بنزو)، سوف تحدث خللاً في الخلايا المجاورة.

قامت بنشر مواد قاتلة لتدمير خلايا نظام الدفاع الذاتي القريبة منها، هكذا تم إخضاع خلية مطيعة، مجتهدة ومنظمة ذات حياة محدودة وتحويلها إلى خلية خبيثة بعد إحداث خللين داخل الجينات: الخلل الأول هو تحويل جين من جين عادي إلى جين مسرطن، والخلل الثاني هو إخفاء جين متخصص في ضخ الأورام.

أصبح التحكم في عملية التكاثر مفقوداً، وكذلك التحكم في الموت المنظم للخلايا، لقد أصبحت الخلية الطيبة مذنبية منذ الهجوم الأول، وصارت مسرطنة خبيثة، كان بنزو في منتهى السعادة؛ لأنه نجح في المرحلة الأولى من مهمته. هي البداية فقط وليست النهاية، هي بداية المعركة فقط.

ما تم إنجازه خلال ستة أشهر كان يتطلب على الأقل خمس أو عشر أو عشرين سنة، كان (أنت) يشعر بالخطر ويعرفه جيداً، لكنه بقي يجوب الطرق؛ مشياً على الأقدام، عشرين مرة في اليوم، ربما سيضع في يوم من الأيام حجاباً على عينيه؛ ليثير اهتمامنا أكثر ويزيد من تشويقنا.





# الفصل 7

سنة 1995م بلغ (أنت) السادسة عشرة من العمر، قابل بالمصادفة فلورانس تلك الفتاة الجميلة التي تعرف عليها في أثناء حفل ديني وكان عمره إحدى عشرة سنة، فلورانس تبلغ من العمر الآن تسع عشرة سنة، رجع الاثنان إلى الورا، وتذكرا تلك القبلة الخفية التي تبادلها في أثناء ذلك الحفل، ضحك الاثنان من براءتهما آنذاك، كان شيئاً ما يجذب أحدهما نحو الآخر، فهي معجبة بطبعه المغامر واندفاعه وحسّه العميق وطبعه الميال إلى التمرد ورفضه للروتين؛ فهو لا يتوقف عن البحث عن كل ما هو جديد ويرتمي بعفوية في أحضان المجهول (وهي كذلك) وحتى سلوكه لا يتوافق مع الآخرين.

بالرغم من إعجابها الشديد به، فهي لا تحب إدمانه التدخين خاصة في السنتين الأخيرتين، فهي لا ترغب ذلك أبداً ولا تطبيق رائحة فمه ولا تحب لون أصابعه ولا رائحة ملابسه ولا ذبول شعره، كان (أنت) كما يسمونه يمتنع عن التدخين عند مواجهتها، لا خوفاً منها بل احتراماً لها، بما أنها عرفت بطريقة غير مباشرة أنه يدخن، فهي تلومه أيضاً بطريقة غير مباشرة وتوجه له الرسائل الآتية:

- أتعرف كنت أود أن أعلم ذلك منك شخصياً، ألا تثق بي؟

ألا تجيد القراءة؟ ألا تقرأ ما كتب على علب السجائر؟

(مضر جداً بالصحة).

هل افتقدت إلى حنان أمك في صغرك؟ إن ذلك هو أحد أسباب التدخين، إذا كان الأمر كذلك عليك بتناول مصاصة، فلا خطر في ذلك.

وفيما بعد وبعد عدة تحريات قالت له فلورانس باستهزاء: إن الأب فرويد يقول: إن التدخين يذكر صاحبه بلذة الرضعة الأولى، فالفم يدخن و(أنت) تبتلع الدخان، فالسيجارة هي ثدي أمه والدخان هو حليبها.

تواجهه فلورانس من جديد، وتقول له: إذا كان الأمر كذلك لماذا لا تجرب مصاصة كما قلت لك؟ ألا تتصور المهزلة؟ فالمهزلة لا تقتل، أتعرف أن سغموند توفي بسبب التدخين؟

تركت لك مفاجأة أخرى من فرويد أيضاً، فهو يتكلم عن السجارة في مرحلتها التمهيديّة؛ فالمدخن يحتاج دائماً إلى علبة السجائر مثله مثل الصبي الذي يحتاج إلى دميته أو دبه الصغير، الذي كان يحس بدفته عند لمسه، فهو يتذوقه ويشعر به، هل تشعر في اللاشعور أن السجارة تولد عندك الأحاسيس نفسها؟ هل السجارة أصبحت بالنسبة لك مثل الدرّع الذي يحميك من انفعلاتك وينظم قلقك؟

وقالت له فلورانس مرة:

- إنني لا أريدك أن تموت.

وقالت له مرة أخرى في إحدى رسائلها:

- أقتلك.. فالرسالة أفضل من رائحة طفّائيك: حتى ولو أخفيتها عني.

كانت ملاحظات فلورانس عكس ملاحظات أمه تقع عليه وقع الصاعقة وتمسه في صميم قلبه، فكانت تؤثر فيه وتزيده يوماً بعد يوم تعلقاً واحتراماً لمصديقه؛ فهو يرى في فلورانس الزوجة وفي السجارة العشيقة.

بالرغم من معرفته لمضار السجائر فحصّته منها تزداد يوماً بعد آخر حتى بلغت الأربع عشرة سجارة في اليوم، فهو يرى أن منافعها كثيرة بالرغم من مضرتها، فهي

أمين سره الذي لا يفارقه، فهي تصغي إليه باستمرار ولا تعاكسه أبداً كما تساعد على تجاوز محنه أيام الامتحانات مثلاً، هل يمكن لغير المدخن الشهر حتى الثانية ليلاً واعياً منتبهاً؟ فالسيجارة تسمح لصاحبها بمفرده أو مع جماعة بالتلذذ، وهو ينتظر قدوم الحافلة، وآخرون يدعون أن السجائر تعجل من قدوم الحافلة. ومن يدخل لا يتقبل من يصفه بعبيد السجارة.

(أنت) تجد فيها متعة من الناحية الاجتماعية؛ لأنها تسهل التعارف والتعرف على الآخرين وخاصة المدخنين، فهي تساعد على التعبير عن الذات وتزيد من الإحساس بالأمن، وبعض الأحيان يصفها بعوامة الإنقاذ، لهذا فلا يخرج إلا وهي في جيبه، فهي التي تعبر عن أحاسيسه في كل المناسبات، فالتدخين علمه من قبل ألا يجيب عن أي سؤال قبل أن يفكر ويبتلع أحاسيسه وانفعالاته.

منذ أكثر من سنة تطورت العلاقة العاطفية بين (أنت) وفلورانس من حسن إلى أحسن وأصبحت جدية أكثر فأكثر.

وأصبح (أنت) في وضع مزدوج؛ من جهة فهو لا يعرف ما معنى الحب؛ لأنه لازال يعتقد أن ما يشعر به نحو فلورانس هو نوع من الحب، ومن جهة أخرى فله معشوقته السجارة.

فهو يشعر أنه كلما قرب من فلورانس شعر أنه يتحتم عليه الابتعاد عن معشوقته، ومن الصعب عليه الاحتفاظ بالزوجة والمعشوقة، ومن أجل حلّ هذا اللغز الصعب قام (أنت) بحرق أربع سجائر الواحدة تلو الأخرى دون فائدة، في يناير 1996م بلغ (أنت) سبعة عشر عاماً، ومنذ سنتين فقط أصبح يتلذذ بالسجائر أكثر فأكثر، فهو يعي ماذا يفعل، والتطور الذي حصل له، فهو يعلم أنه سوف يصبح رجلاً بالسجائر أو بدونها، لقد أصبحت علاقته مع والديه متوترة أكثر فأكثر وغير منسجمة أيضاً، لقد أصبح كثير الإجابة وكثير الانفعال وكثير التحدي لوالديه اللذين لم يسلموا حتى من شتمه لهما. يفعل كل هذا للتعبير عن استقلاليته والتمرد عليهما



بالرغم من أنه لا يزال يدخن في الخفاء، فهو يبحث عن التحرر دون أن يعرض أمنه للخطر، لقد أصبح غير واضح حتى مع نفسه، حيث يعبر عن ذلك بأسلوبه الخاص وبالتحديات للآخرين، فوقاحته مع أمه تزداد أكثر فأكثر، حتى أصبحت مثل الجدار الصامد أمام الأعداء الأشداء في الظاهر أو الباطن على حد سواء، لقد تطور الوضع إلى أن أصبح لا يستطيع التعبير عن أحاسيسه وانفعالاته، بالرغم من أنه يعد نفسه القائد والمسير، فغالباً ما يلجأ (أنت) إلى الشتم لتجنّب العنف المفرط؛ فهذا التصرف جنبه الكثير من الصراعات في المدرسة، من ناحية أخرى كان يلجأ أحياناً إلى أسلوب الانطواء والصمت لعدة أيام.

منذ أكثر من سنة ازداد استهلاكه للسجائر أكثر فأكثر، وكان يعتمد الكذب لتبرير ذلك أمام أهله.

فعند عودته إلى البيت يبادر بتغيير ملابسه لإخفاء رائحة السجائر، كما يستعمل عطوراً خاصاً للتمويه ويتناول الحلوى والعلك ويستخدم بخاخاً خاصاً أو يأكل حبات من البن لإخفاء رائحة السجائر المنبعثة من فمه، والتي من الصعب التخلص منها بأحسن معاجين الأسنان، أما غرفته فكان يستعمل كل أنواع البخور لتعطيرها، ففي كثير من الأحيان كان يبادر بقلي البطاطس للتخلص من رائحة السجائر بالبيت، لكن كل شيء له نهايته، لقد افتضح أمره عندما أحرق بنطلونه، وهو يدخن ولم يستطع إخفاء ذلك.

منذ سنتين وأمه متوترة وقلقة بسبب التدخين وعدم امتناعه عن ذلك؛ فكان السجائر هي شغلها الشاغل ومن أولوياتها، فابنها لا يتجاوب معها، منذ سنتين، وهذا هو همّها الأكبر، فالآن أصبح لديها الدليل القاطع لإدمان ابنها التدخين.

فاحتراق البنطلون هو أكبر شاهد على ذلك؛ فلم تكن تتصور أبداً أن ابنها البكر مدمن سجائر، فهي تعلم أنها أخفقت في التعامل مع ابنها الذي كان يخدعها، ويكذب عليها بالرغم من أنها كانت تعامله بلطف؛ لكي يعترف لها بالحقيقة.

كانت الأم المسكينة تحثه على التمسك بالعائلة وأخلاقها في الحاضر والمستقبل، كما توصيه بالتمسك بمن يحبه والابتعاد عن معشوقته الخادعة كانت تقول له: انظر إلى ابن عمك سدريك، لقد أدرك خطورة التدخين، فتوقف عن ذلك، ألا تفهم أنه حان الوقت لتقليده؟

(أنت) يدرك أنه يتخبط في مشكلات كثيرة بسبب مضايقة أمه له وكذلك صديقه لمطالبته بالكف عن التدخين، فقد صمد حتى هذه اللحظة ولا زال صامداً وسوف يستمر في الصمود لإثبات شخصيته واستقلاليته.

كثيراً ما يقول لأمه: اتركيني أعيش حياتي كما أريد، أيتها المولعة بالأدب، اهتمي بألبيركامو (ودعيني وشأني) ليس من العيب أن أبحث عن سعادتي.

لكن الأم لا تأخذ كلامه بالجدية اللازمة لأن (غاليلي) يقول: لا يمكن أن نعلم غيرنا أي شيء، ولا يمكن أن نساعد في اكتشاف نفسه، كان بإمكانها أن تناقشه نقاشاً مفيداً.

أما الأب فالسجائر زادت من سعاله وأصبح يعرج أكثر من ذي قبل، لقد أصيب بمرض انتفاخ الرئة، لكنه أخفى ذلك وادعى أنه مصاب بالربو وهو مرض مقبول من المجتمع، فهو أيضاً لم يساعد ولده بما فيه كفاية للامتناع عن التدخين والابتعاد عن الزنا، فكان الباب مغلقاً من هذه الناحية، لكن باب المكتبة لا يصد في وجههما للجوء إليه والتدخين خلسة، ذلك هو العامل المشترك بينهما.

كان (أنت) يلجأ إلى المكتبة لتجنب تفاقم المشكلات؛ لأن ذلك ليس في صالحه، فقد قبل هذا المصير وهذا المنفى، بالرغم من أنه يتذكر أنه كان لا يطيق رائحة الدخان عندما كان في التاسعة من عمره، كان آنذاك يجب أخته البالغة من العمر أربعة عشر عاماً وأخته البالغة من العمر ثمانية أعوام، كانت تنشب بينهم صراعات سببها الغيرة من تعاطف الوالدين مع هذا أو ذاك، مهما كانت حدة الصراعات فقد كانت تخلو من العنف وسوء الأخلاق.

في أحد نهايات الأسبوع في مارس ارتفع سعر السجائر، فقرر (أنت) أن يلف السجائر بنفسه كما علمه أصدقاؤه بالمدرسة، فبعضهم اقتنى أجهزة خاصة لصنع السجائر بعد أن تلقوا نصائح من الآباء أو الأجداد، وآخرون تفننوا في صنعها على أيديهم، فكانت ذات أشكال وأنواع بعضها بفلتر وأخرى دون، مهما كان شكلها، فالكل يدخن على هواه، أحسن من عدم التدخين.

لقد أصبح كل مدخن عرضة للخطر أكثر فأكثر؛ لأن السجائر الملفوفة باليد تحتوي على مادة القطران أكثر بثلاثة أضعاف، لقد قرر (أنت) ان يلف السجائر بيده في صالون البيت تحدياً لأمه، لم يفاجأ عندما طلبت منه أمه مغادرة المجلس والذهاب إلى المكتبة لإنجاز هذا العمل القذر، غادر المجلس، وهو فخور بهذا التحدي.

أفرغ علبة التبغ الأصفر فوق الطاولة وتخلص من بعض القشبات الخشنة. كانت رائحة التبغ تشبه رائحة التين الناشف، وقام بوضع الورق المخصص للف السجائر فوق الطاولة، ثم أخذ يحشوها بالتبغ، ثم يلفها بعد أن يبيلها بلسانه، بعد ذلك يقوم بقص ما هو زائد بالمقص، وبعد أن صنع 38 سيجارة قام بتجميع النفايات فوق الطاولة، لم يحصل له الشرف في ملاحظة ألوان الفلاتر كالعادة؛ لأنها كانت دون فلتر بالطبع، كان أثر تدخين هذه السجائر فورياً؛ لأنه بعد مدة وجيزة دخل إلى الحمام للاستفراغ، فسمعت أمه؛ لأنها في تلك اللحظة بالذات أرادت دخول الحمام فسمعت الواقعة فتراجعت، رجع الأب متأخراً تلك الليلة؛ لذا تصرف الأم بمفردها تجاه الولد الطائش.

فهي تعرف بموجب خبرتها أن التصرف العفوي لا يؤدي إلى أي نتيجة؛ لذا قامت بغلاق الباب للتفكير بمفردها، فهي متأكدة أن ولدها يتعمد التحدي. ماذا يعني هذا التحدي؟ هل هي مطالبة بالاستماع إليه؟ أو مجرد اكتشاف للطرف الآخر أو الحاجة إلى العطف أو مجرد تخدير للأحاسيس؟

والسؤال المطروح هو: هل هذه السجائر المصنعة يدوياً تحتوي فقط على التبغ؟ كانت الأم ترغب في فتح الباب على ابنها وفتح قلبها له، لكن رغبتها شيء، والواقع شيء آخر، لأن ابنها الذي أنهكته السجائر قال لها إنه: (متعب شيئاً ما) وسوف يذهب لينام، كانت الساعة الرابعة بعد الظهر، كان (أنت) يرتعش ويستفرغ في آن واحد، حتى أصبح على وشك الوقوع في سكتة قلبية.

صار (أنت) لا يعي حالته السيئة جداً حتى أصبح من المستحيل عليه الخلود إلى النوم الذي هو بأمس الحاجة إليه.

بمجرد انخفاض مستوى النيكوتين في دمه يقوم (أنت) بمراجعة نفسه بخصوص التدخين، ففي حصة الفلسفة تناول سيجارة، وهو يكتب في موضوع عنوانه: (أعرض نفسي إذن أنا موجود) من كلمات (آلان فنكلرورت) قام أنت بمناقشة هذه المقولة بامتياز، مستشهداً بأمثلة من عنده، متحدياً بذلك أستاذه المدخن، وغير الموافق على خطورة التبغ.

وفي الليلة نفسها قام (أنت) بتجربة لإثبات صحة المقولة التي كتب عنها، قام يتحدى خطراً ما لإثبات وجوده، فالتحدي أصلاً موجه ضد أمه، فالسجائر هي تحدٍ لأمه وتحدي للموت في الوقت نفسه.

فهو يلعب بالنار كما يقولون، وفي لحظة ما تساءل ربما أنه أصبح يجد اللذة في إيذاء الآخرين، في آلام أمه بالذات.

بالرغم من خطورة الدخان على صحة الإنسان فـ (أنت) يجد فيه لذة كبيرة، إنه يشعر بذلك جسدياً، فتذوقه متعة، ومروره بالبلعوم متعة، بالرغم من أنه يتسبب في انتفاض قلبه، وبعد هذه المتعة العابرة خلد إلى النوم الساعة الثالثة صباحاً.

إن الكمية الزائدة من السجائر التي تناولها اليوم جعلته يفكر لأول مرة في التوقف عن التدخين، للتأكد مما قاله له صديقه فيليب إنه يستطيع التوقف في أي لحظة.

كانت التجربة صعبة جداً لم يتعكر مزاجه من قبل، مثلما تعكّر هذه المرة، لقد أصبح عصبياً أكثر من اللازم، كل جسمه يرتعش من شدة توتره، حتى أصبح معادياً للجميع، لقد فقد حتى توازنه، كان يتعذب في الفصل منتظراً الجرس؛ ليخلصه من عذابه، وقد حدث ذلك فعلاً في الساعة الثانية عشرة ظهراً، فقام صديق رحيم بمواساته، بعد هذه المحاولة الفاشلة للامتناع عن التدخين والعذاب الذي ترتب عنه قرر (أنت) أنه لا يعيد هذه التجربة أبداً؛ لأن التدخين له أثر إيجابي على أحاسيسه؛ لذا يجب أن يستمر في التدخين، وفي المساء رجع يفكر في ذلك من جديد؛ لأن الشك راوده في النهار، هل كذب عليه صديقه فيليب؟ أو هل تحتوي كل علبة سجائر على أغلال خفية محكمة وفاعلة؟ هل فعلاً يمكنه التوقف عن التدخين كما قيل له؟ فهو يرفض الفكرة أصلاً وغير مصدق أن صديقه أوقعه في فخ محكم، يا له من غبي! إذا لم يستطع التوقف اليوم فالسبب واضح وبسيط، لقد أصبح مدمناً من كثرة التدخين إضافة إلى ذلك فالتوقيت غير مناسب؛ لأن الاختبارات النهائية ستبدأ الأسبوع المقبل، تأكد من أن تجربته خاسرة؛ لذا يجب نسيانها، وهكذا كان.

لا يزال يشك فيما قاله له فيليب؛ لذا قرر إعادة التجربة في العطلة القادمة بطريقة ذكية. فقام بإعداد خطة لطمأننة نفسه، والخطة تتلخص في الآتي، أولاً: عدم تدخين السجارة حتى نهايتها، ثانياً: عدم تدخين السجائر المصنوعة باليد والرجوع إلى السجائر التقليدية؛ لأنها تحتوي على فلتر يخفف من قوة مادة القطران، فهو يريد تخفيض الكمية الحالية، وهي أربعون سجارة في اليوم إلى عشر سجائر، المرحلة الثانية يعوّض كل ثلاث من السجائر بسجارة واحدة، ثم يعوّض السجارة بمصاصة أو مصتين فقط ثم يكف نهائياً عن التدخين، كل هذا واضح، لكن لماذا لم يوضح له ذلك صديقه فيليب ولا صديقه موريس؟

بدأ (أنت) تجربته الجديدة؛ ليرى مفعولها؛ لأن قائداً مثله يجب أن يكون مثل راعي البقر الذي يعيش تجاربه عبر الطبيعة، يجب أن يكون متطوراً مثل جيمس بوند، ومركزاً مثل ميغري رجل المخابرات الشهير، وقوي البنية مثل سيلفستر

ستالون، ومتفوقاً مثل فيلنوف وشوماخر؛ لكي يتفوق على وحدته وتسلط أمه التي لم تحاول فهمه، فحتى أبوه تخلى عنه، فأمه لم تحاول أبداً أن تقنعه بعدم التدخين بصفة إيجابية، لم تحاول أبداً أن تثبت له أن إصبعه السادس لا يزيد شيئاً إلى شخصيته، فهو لا يرى في ضغط أمه عليه إلا نوعاً من التشجيع، أما أبوه فكان يخفي أسرار التدخين، ولا يبوح بها إلى أحد، فالمشكلات الصحية التي يتبخط فيها والده لم تزده جرأة لمساعدة غيره من التخلص من آفة التدخين، فالقاسم المشترك بينه وبين أبيه هو شعره الذابل ذو الرائحة الكريهة، بالإضافة إلى رائحة فمه التي تشبه رائحة الطفاية، ناهيك عن سوء طالعته، نظراً لحاله هذه وبغض النظر عن تدخلات أمه، فهو يدخن أكثر من اللازم، ووضعه سيئ ويدعو إلى الشفقة خاصة وأنه لا يحتاج إلى أكثر من أربع سجائر في اليوم، اثنتان بعد الغداء واثنتان في السهرة، كان (أنت) متأكداً من تحقيق برنامج التنازلي مثل ما كان متأكداً من الأسباب التي دعت به إلى التدخين وهو صغير.

لقد اتخذ قراره ولا رجعة فيه، بعد أن تناول سيجارتين متتاليتين قرر الإمعان في التفكير في مشكلة مهمة للغاية، ألا وهي اختباره، في صباح الغد استلم رسالة، رسالة غريبة جداً.



# الفصل 8

استلم (أنت) هذه الرسالة في 27 مايو 1996م، رسالة غريبة كما قلنا؛ لأنها لا تحتوي على شيء يذكر فتحها، فكان بداخلها ورقة مطوية على أربع طويات، فتحها أيضاً فوجد بها حروفاً مقتطعة من الجرائد تكفي لكتابة اسمه فقط، في أسفل الصفحة كتب (يتبع).

خلال لحظات حاول التعرف على صاحب هذه المزحة أو مرسل هذه الرسالة الذي أنفق قيمة طابع بريد على هذه المهزلة. ليس من السهل التعرف عليه؛ لذا قرر أن ينسى هذا العارض وألا يتأثر به أكثر من ثانية فقام بلف الرسالة بيده مثل الكرة ورمى بها في القمامة، حتى لا يفكر فيها أبداً.

كان عمره 17 عاماً، في هذه السنة سيرافق أهله لآخر مرة في العطلة الصيفية، لقد قرر أنه عندما يبلغ سن الرشد سوف يشتغل شهراً في السنة؛ لينفق راتبه على عطلته الصيفية، ليس بمفرده بالطبع لقد وافق أهله على طلبه هذا؛ تلبية لرغبته في الاستقلالية في نهاية المراهقة.

في شهر يونيو تم ترقية والده إلى مدير تجاري، فهذا دليل على أن العطلة هذه السنة ستكون فاخرة، في اليوم الثاني من يوليو 1996م استلم (أنت) رسالة كان في انتظارها، فكانت بشرى سارة على أن العطلة سوف تكون جميلة وكانت جميلة بالفعل، فالعائلة بالكامل استمتعت باكتشاف الحيوانات والنباتات البرية الجميلة، بالإضافة إلى مفاجآت سارة ورائعة.



زادت معاناة الوالد هذه السنة، فأصبح يمشي بصعوبة بالرغم من أنه لا يريد إظهار ذلك، عندما يلومه أحد على ذلك يقول مازحاً: (سوف أقوم بمراجعة الطبيب عند العودة). خلال هذه النزعات البرية كان يتألم ويكاد يفقد رثته أحياناً، وكان يقول خفية لولده: شكراً على المساعدة، هكذا يجب أن تتصرف ولا تشكو أمرك للآخرين، كان الأب يتألم سراً؛ حتى يبدو في نظرهم كبيراً وأهلاً لمنصب المدير التجاري.

لعب الحظ دوراً مهماً في تقرب فلورانس من صديقها (أنت) فهي توجد هذه الأيام في المنطقة نفسها على رأس مجموعة من الشباب للتفسيح أيضاً، فكان من الطبيعي أن تتعرف بهذه المناسبة على كل العائلة، لقد استطاعت أن تغلب على كل الصعوبات التي واجهتها من طرف الأهل.. أصبحت تتردد عليهم أكثر فأكثر، بالرغم من ارتباطات العائلة، لم يفكر أحد في إظهار أي اعتراض على وجودها باستمرار بينهم، فالأم ترى فيها الزوجة المثالية لابنها، فهي لطيفة المجلس ومتحمسة للغاية وتمتاز بالصحة والحيوية، إضافة إلى كل هذا فهي لا تدخن، فالكل لاحظ أن (أنت) تحاول تخفيض حصته من السجائر كلما وجدت فلورانس بالعائلة، يختفي من حين إلى آخر مثل أبيه، ليدخن سيجارة في المكتبة.

في أحد الأيام ذهبت فلورانس بصحبة الأم لصيد السمك في النهر للتعرف أكثر فأكثر على بعضهما، فكان الامتحان جيداً، لقد تعرفت الأم على العائلة وعلى تربيتها ودراستها ووظيفتها في المستقبل، وكيف تقضي أوقات فراغها، وقيمها وأخلاقها ومشروعاتها المستقبلية.

لقد اجتازت فلورانس الاختبار بامتياز، وجدت الأم في فلورانس جوهره يمكن أن تروّض في المستقبل العنف الزائد للشباب المدمن على التدخين، ذلك الشاب الذي يتخلص شيئاً فشيئاً من سيطرة والديه عليه، لازال المشوار طويلاً؛ لأن الابن يبلغ من العمر سبعة عشر عاماً.

لقد تبادلت الأم وفلورانس الأحاديث والآراء وكل المعلومات حول التدخين، وزادهم هذا الموضوع قريباً من بعضهما؛ لأن الموضوع يمسهما واستغنيا، من تصرف الرجلين بخصوص التبغ وكيف سيطرت السجائر على حياتهما وعلى كيانهما؟ كيف لا يشعر الرجلان بمسؤوليتهما في تدمير جسدهما وتبذير مالهما من أجل ذلك؟ كيف لا يفكران أنهما ضحية لمصانع التبغ؟ استنتجت فلورانس من تصرفهما أنهما لا يشعران بالضعف كي ينال التبغ منهما، كما لا يشعران بالقوة حياله؛ لأن بنيتهما القوية هي التي سمحت لهما بالصمود حتى هذه اللحظة أمام هذه الكمية الهائلة من السموم، لا العائلة ولا المجتمع استطاع أن يؤثر فيهما، استنتجت الأم وفلورانس أن التدخين لا يؤثر على صحة الزوج والابن فقط، بل يؤثر فيهما أيضاً، وأضافت الأم، قائلة بكل خجل: إن زوجها لا يستطيع دراسة أي ملف، دون أن يتناول كمية هائلة من السجائر؛ لأن كل تحركاته بالشركة مرتبطة بهذه الكمية الضرورية من السجائر.

فالزوج ممثل بارع، فتارة يبدو قوياً يتمتع بنشاط كبير وتارة متطور جداً وأخرى غائب عن الوجود تماماً.. ردت عليها فلورانس بدكاء:

- هذا مثل السينما تماماً.

- ردت الأم: لم أقم بالمقارنة بعد، ولكن يبدو لي أن رأيك صائب وأنت قريبة من الواقع.

- قالت فلورانس من جديد: لقد قمت مرة باستفزازها، فقلت له وكتبت له أنه يدخن لتعويض أصبعه الذي كان يمصه وهو صغير، ولكنه لم يكثر ولم يُصدم، فهذا هو رأي علم النفس، فلم أفلح أيضاً.

- لما وصفت له السجارة بالمصاصة التي افتقدها وهو صغير والتي كانت تلبى بعض أحاسيسه المرغوبة لم يكثر من ذلك أبداً.

- أجابت الأم: أعتقد أنهما ينفردان ويختفيان خلف جدار الدخان للهروب إلى الأمام يا لهما من غيبين!

- قالت فلورانس من جديد:

- كيف لا يستطيعان العيش دون هذه الدناءة، لماذا هما بالذات؟ فنحن صامدون،  
قالت هذا، وهي تتفض من الحسرة، على كل حال لقد حذرت (أنت) أنني لا  
أتزوجه يوماً والسيجارة بين أصابعه.

- ردت الأم بفضول وحيرة: (وبعد).

- بصراحة وبكل نزاهة أعترف أنه لم يتقبل الرسالة مئة بالمئة.

- كم من الوقت يضيع في التدخين؟ ساعتان في اليوم على الأقل. كان بالإمكان  
قضاؤها في المناقشة أو مزاوله الرياضة، لعلك إن إيمي توقف عن لعب الرجبي  
لما تفرغ للسجائر، التي حرمتها من مزاوله أي رياضة.

- قالت فلورانس:

- في أثناء مزاوله الرياضة بالمدرسة يضيع وقته في التعرف على المدخنين أمثاله.

- ماذا يمكننا أن نفعل؟ لكن نحن الاثنان يمكن أن نفعل شيئاً ما.

- سوف أستمر في تحرياتي، يا ليتنا نستطيع تخليصهما الاثنتين من السجائر.

- إنك تحلمين يا فلورانس، لقد حاولت منذ عشرين سنة مع زوجي والنتيجة صفر،  
والآن لقد أصبح يسعل ويشخر ويتألم من النقرس بعد أن داهمه الشيب، فهو  
يعرف الأسباب.. ولكنه لازال يسير في الطريق نفسها، لقد توفي أبوه وأمه في  
حادث سيارة بسبب نزيف مخ والده بسبب التدخين.

لقد صار جده من جهة أمه كفيفاً بسبب التدخين أيضاً، أما جده من أبيه فقد  
مات بسرطان البلعوم بسبب السجائر أيضاً، توفي بعد أزمة بطالة كبيرة وبعد أن  
فقد صوته وتغير منظر وجهه، كل هذا بسبب التدخين، بالرغم من كل هذا، وبالرغم  
من كل محاولاتي لم يقتنع بالكف عن التدخين، التدخين فعلاً لعنة أنا خائفة عليه  
وعلى إيمي.

- أنا لا أشك في كل هذا، لكن اسمحي لي بتجربة جديدة.

- إذا كانت لك فكرة جديدة، فنفذها ..

انتهت المحادثة بوصول صيادين مدخنين.

استمرت العطلة بصفة طيبة وشيقة، ومشاركة فلورانس في هذه العطلة أسهم في إنعاشها.

أصبحت السجائر جزءاً لا يتجزء من شخصية (أنت)، لقد نسي البرنامج الذي أعده للإقلاع عن التدخين، لكنه كان لا يحسد من لا يدخن؛ لأنه لا يعرف لذة أول سيجارة، تلك السيجارة التي توقظك من فراشك بالنشاط الكافي لمواجهة الأعمال اليومية. يالهم من أغبياء يا لهن من غبيات! عندما يتفرد بصديقته السيجارة تحمية وتؤنسه، فهي تحيط به في كل مكان، يشعر بها من خلال ملابسه ومن أي شيء حوله، كان يلجأ إليها لتجنب أي صراع مع أمه أو غيرها.

لكنها تسبب له بعض المشكلات مثل نفاذ النقود، لقد ضحى بالكتب والأسطوانات وكل شيء من أجلها، كان لا يكذب ولا يحب الكذب. بعد أن أصبح يكذب على أمه وأبيه بسبب السجائر صار يكذب على فلورانس، لا يبوح لها بالحقيقة حول كمية السجائر التي يدخنها في اليوم، أمه تعرف ذلك ويتمنى ألا تخبر فلورانس بذلك؛ حتى لا تكتشف أكاذيبه، فهو يعرف أيضاً أن السجائر هي سبب توتر علاقته مع أمه، ولا يريد أن تتوتر علاقته مع فلورانس مثل ما توترت مع أمه.

عند رجوعه إلى البيت أحس أخوه (بونوا) برغبة عارمة لفتح صندوق البريد مثل العادة وتوزيع الرسائل على أصحابها، كانت هناك رسالتان لأخيه (إيمي) الأولى: دعوة من المدرسة لحضور اجتماع مخصص لمناقشة موضوع حول الدخول المدرسي، والثانية: مجهولة الهوية، انزعج (أنت) عند رؤيتها، قام بفتحها، هي الرسالة نفسها المعتادة، لقد أضاف صاحبها حرفاً على الحرفين الأولين، وهذا مضمونها:

نقد...

## يتبع

تفحص الورق، الورق نفسه دون أي جديد، الطرف عادي الكتابة مجهولة تاريخ البريد 1 يوليو 1996م، تم إرسال الرسالة من محطة القطار، وجد في هذه اللعبة لعبة حقيرة في عهد الإعلامية الحديثة.

هي لعبة قديمة دون شك.

قال الأب:

- هناك رسائل لـ (إيمي).

أجاب الابن.

- لا شيء، لا شيء إنها دعوة من المدرسة!

كان (أنت) خائفاً من الرسالة الثانية ومما سيبتعها.

قرر الاحتفاظ بهذه الرسالة الثانية؛ ليعرضها على فلورانس في أول مقابلة، عرضها عليها، فضحكت وطلبت منه انتظار الرسالة القادمة، شك (إيمي) أن تكون هي صاحبة الرسائل ثم تراجع وندم على شكه؛ لأنه في غير محله.

بدأت المدارس فتح أبوابها من جديد سنة 1996م دون مشكلات.

كان كل تلميذ يحكي لأصدقائه كيف قضى عطلة الصيف، كان إيمي يستمع لأكاذيب الأغلبية، يصمت؛ لأنه لا يزال يفكر في شكه لفلورانس. هذه السنة هي آخر سنة له في المدرسة، فهو يدرس في شعبة العلوم الدقيقة التي تتميز بوفرة مادة الكيمياء.

فهو لا يحب كثيراً العلوم الدقيقة، لكنه مرتاح فيها.

لتسليتهم ذلك اليوم طلب منهم في المدرسة إيجاد شعارات ضد التدخين، وهذا

بعض ما كتبه الطلاب:

المدخّنون: خارجون على القانون.

المدخّنون: مجموعة أشرار.

المدخّنون: ابقوا بغرف الغازات السامة، ولا تطالبونا بالدخول معكم.

القدّخين: ذهاب دون عودة إلى الجحيم.

الرثتان: إسفنجتان لامتناص القطران.

أيها المدخّن: الموت ينظر إليك بنظرة خاصة.

أيها المدخّن: يا لك من غبي!

أيها المدخّن: هل من حقدك ترك اليتامى بعد موتك؟

مصانع السجائر مصانع غبية.

الحكومة تعدّك غيبياً.

السجائر تحدث أضراراً بصحتك.

علب السجائر: علب الأكاذيب.

الخضراوات: ماذا يطلب أكلو الأعشاب غير ذلك!.





# 9 الفصل

أقسم بالله أن أحرف الحقيقة، كل الحقيقة، هذا ما قاله (بوادر) لدى توظيفه في الشركة.

مهمته: الكذب، هذا ما قاله له أحد كبار الموظفين باللاتينية، ثم تابع.

كل الناس يكذبون، لكن هناك من يجيد الكذب ويحترفه، نحن نعتمد عليك لنشر الكذب والخداع والافتراءات، والخرافات، والحقائق الكاذبة، والتزوير والغدر والسخرية.

عملك يعتمد على الآتي:

السرية والتعتيم والمعالجة.

بوادر هو أحد رجال الظل كما يقولون، شخص قدر، قدر لكنه لطيف، فهو أيضاً قدر بآتم المعنى، فهو لا يتهاون مع من يحاول اعتراض سبيل المدخين.

في سنة 1958م تم توظيفه لتكوين خلية تجمع بين الاستخبارات والقتل، تم تسمية هذه الخلية (مركز المعلومات) يا لها من كذبة كبيرة! كل المعلومات التي يجمعها بوادر هي خليط من أكاذيب وحقائق، الصحفي المدخن يجد فيها مرتعاً لكتابة أكاذيبه، بعض غير المدخنين يصدقونها أيضاً، الكثير من المثقفين الذين يأتون للتزود بالمعلومات، لا يخرجون الا بعد إجراء عملية غسل لأدمغتهم؛ لأن برومورتيتم يطلب منهم شراء بضاعته دون الدخول في تفاصيل لا تهمهم.



بعد أن تم توظيفه وجد بوادر فوق مكتبه تقريراً بخصوص بحث أجري سنة 1953م، يقول هذا البحث: (إن من تم استجوابهم يعتقدون أن التدخين يسبب سرطان الرئة). بمعنى آخر التدخين خطير ومسبب لسرطان الرئة، في سنة 1859م أصبحت هذه المقولة لا تعني أي شيء لدى الجمهور، قام بوادر بإعداد إجابة لبرومورتييم:

أنا أؤكد لكم أنه لا يوجد أي دليل على أن التدخين يسبب سرطان الرئة، أبحاثنا أثبتت العكس. كان بإمكانه الادعاء أن التدخين هو وصفة طبية ينصح بها الأطباء مرضاهم للمعالجة، فالدعاية تقول هكذا.

بعد هذا كف بوادر عن التدخين بصعوبة بالغة، لكنه توقف، فهو شجاع وليس بمقدام، كان يواجه الصحافة، هكذا:

لقد كنت أدخن ولكن لظروف معينة توقفت عن التدخين، بعد أبحاث أجريت في بريطانيا بموافقة 40.000 طبيب ثم أبحاث أخرى أجريت سنة 1964م ثار الرأي العام وطالب بإحراق كل مصانع السجائر، جاء دور بوادر ليملاً الساحة بأكاذيبه للتصدي إلى هذه الحملة الكاذبة التي تقول:

إن الالتهاب الرئوي المزمن ما هو إلا سرطان الرئة وسرطان الجهاز التنفسي.

هذا ما أثبته آخر الإحصائيات. مكتبة الرحي أحمد

ادعى بوادر أن الإحصائيات كلها كذب ونفاق واستشهد ببعض المشاهير القدامى الذين كانوا يدخنون أمثال: سغموند فرويد، وبول برونير، ودنات كنغ كول، وبيت دايفيس، وسامي دايفس جونيور، ويان فليمنغ، وفرانك سيناترا، وجورج هاريسون، وجاك بريل، وميلينا ميركوري، وليه رابان، وجيلبير بيكو، ووالت ديزناي، ويودي مادجيو.. كل هؤلاء الممثلين والفنانين والسياسين ذهبوا في مهب الريح، فبعضهم مات بسبب سكتة قلبية، وبعضهم مات بسرطان مجهول... إلخ.

ثم قال:

- العديد من المدخنين يموتون دون سرطان ولاسكتة قلبية، لكن الكثير يموتون بالالتهاب الرئوي المزمن. كان بوادر يقاتل بكل الوسائل وكل الأكاذيب لإثبات عكس ما تدعيه الدراسة البريطانية بعد أي حملة مضادة للسجائر كان يواجههم، هكذا:

- كان جدي يدخن مثل رجال الإطفاء حتى التسعين من عمره ومات بسبب الشيخوخة.

في تلك المدة كان أعداء التدخين قليلين وغير منظمين ويفتقرون إلى المعلومات المؤكدة.

دور بوادر هو تكذيب كل ما يقال في الحملات المعادية والدفاع عن مصالح الشركة.

شيئاً فشيئاً بدأت الحكومات تهتم بالدراسة الإنجليزية، لكن الشركة طلبت من أنصارها الدفاع عن مصالحها بكل الوسائل.. لكن بالرغم من هذه المقاومة وبعد أربعين سنة بدأت شركات السجائر تعترف أن التدخين مضر.

بدأت تتحدث عن الخطر دون أن تذكر المتسبب. كان بوادر يتحفظ على أن هذه المعلومة لم يتم إدراجها في كتاب (جينس للأرقام القياسية).

بعد الاتهام بالسرطان جاء الاتهام الثاني: وهو العبودية للنيكوتين منذ 40 سنة كتب أحد كبار المصنّعين للسجائر: النيكوتين هي نوع طيب من المخدرات، بعد عشر سنوات قام بالملاحظة الآتية: السجائر بصفة عامة تحتوي على مادة النيكوتين، هذا المخدر القوي. وبعد عشر سنوات قال خليفته: يجب على شركتنا أن تعد نفسها بائع مخدرات لا بائع سجائر.

كان بوادر يقول لأصحاب الشركة: من يقول إن السجائر تحتوي على مواد إضافية هذا معاكس للمنطق.. هذا مناهض للسجائر ولا يعتمد على مبادئ طبية أو علمية. كان يقول أيضاً هو وأحلافه:

- المدخنون يختارون التدخين بمحض إرادتهم؛ لذا فالشركة الصانعة ليست مسؤولة عما يحدث لهم، ليس هناك أي دليل على أن النيكوتين تستعبد المدخن كما أنه ليس هناك دليل على أن السجائر تقتل.

نحن لا نتعامل إلا مع مدخنين اختاروا التدخين بحرية مطلقة.. ودورنا هو تلبية طلباتهم فقط. كان بوادر يقول لبعض مخاطبيه: إنه بإمكان الشركة فرم أوراق التبغ واستخدامها وحدها لكنها تفضل إدخال بعض التحسينات لإرضائهم نفسياً وجسدياً.

كان مركز المعلومات يزود رؤاده بما تريد الشركة فقط؛ لأن الحكومات لا تستطيع إثبات العكس. إذا وجد عالم شيئاً جديداً يأتي بحث جديد لتكذيبه؛ لأن كل ما يصدر عن الحكومات يعد تخلفاً ورجعية.

من أربعين عاماً بدأت شركة برومتريم تدخل بعض المواد الإضافية على سجائرها مثل: مونيا التي تزيد من كمية النيكوتين وتزيد من شهية المدخن.

لكن للموافقة على استخدام هذه المادة قام بوادر بالادعاء أنها تحسن من مذاق السجائر، ولم يتجرأ أحد على تكذيبه.

لذا تم إدراج الأمونيا ضمن 600 مادة أخرى تضاف إلى أوراق التبغ، كان بوادر يفتخر بكونه المتسبب في إضافة هذه المادة، هذه طبعاً لعبة من الأعباء كان يعرف أن النيكوتين توجد على شكلين: غازي وغير غازي، كان يعرف أيضاً أن كل السجائر تخضع للتحليل في مخابر من نوع ISO-3308 لا تستطيع كشف النيكوتين الغازي بل تكتشف أنواع النيكوتين الأخرى فقط.

بعد زيادة مادة النيكوتين زادت المبيعات وزاد عدد الشباب المدمنين على التدخين، وخاصة من عمره 17 سنة، فزادت المبيعات ستة أضعاف.

فهم الجميع ارتفاع المبيعات ليس بسبب تحسن التسويق، لكن لسبب آخر غير معروف.

لما بدأ الأطباء ورجال العلم يتعرفون على الحقيقة طلب بوادر من بعض العلماء إجراء بحوث كاذبة لإثبات وجود مادة الأمونيا في أوراق التبغ بالإضافة إلى مواد معدنية أخرى، ألم نقل في البداية: إن مهمته هي الكذب، تلك هي أكاذيبه حول 4000 مادة إضافية تستخدمها مصانع السجائر.

منذ 25 سنة واجهت شركات السجائر مشكلة كبيرة عندما أثبتت إحدى الدراسات أن 90% من الدخان المنبعث من السجارة الواحدة يضر غير المدخنين أكثر من المدخنين أنفسهم؛ لأن الدخان المنبعث إلى الخارج أخطر من الدخان الذي يبلعه المدخن.

طلب بوادر ترويض هؤلاء الناس الذين لا يتحملون التدخين، مدعين أن التدخين له رائحة كريهة تشوه مظهر الملايين والشعر، وتدمع العين، ويحدث أضراراً بالحلق ويحدث الغثيان ويسبب الاستفراغ والدوران ويسبب أضراراً بالأذن الداخلية.

حتى أطباء الأسنان يدعون أن 27% من تسوس الأسنان لدى الأطفال سببه التدخين السلبي.

أغلب الأطباء يشيرون إلى وجود خطر على صحة الأطفال: مثل أمراض الربو والسعال، والبصاق والتصفير في الصدر، والتهاب الرئتين، بالإضافة إلى موت الجنين المفاجئ، والتهاب الصدر والحساسية وغير ذلك.

بوادر يعرف كل ذلك، كما يعرف أن 25% منهم قد يواجهون سرطان الرئة و25% قد يواجهون مشكلات في القلب، والمتبقون يواجهون نريف المخ وغير ذلك من مشكلات مثل الربو والتهاب الرئتين وانتفاخ الرئة وغيرها.

أثبتت التجارب أن غير المدخن يتضرر بالدخان، سواء بوجود المدخن أو بعدم وجوده؛ لأن حبيبات الدخان تلوث الفضاء وتضر الناس؛ لذا فالأفضل منع الناس من التدخين في الأماكن العمومية، وبأسرع ما يمكن؛ لأن هذا يعد مثل عدم إغاثة شخص متضرر. مهمة بوادر هي التصدي لهذا الخبر السيئ؛ لأن منع التدخين

بالأماكن العمومية قد يوجه ضريبة قاضية للشركة، يجب ألا يعرف الناس أن التدخين السلبي مضر؛ لأن العديد من غير المدخنين يظنون أنهم في أمان، إذا تم منع الناس من التدخين في الأماكن العمودية فسوف تكون الكارثة، هناك من يحاول التقليل من التدخين، وهناك من يتوقف نهائياً.

المناهضون للتدخين يشكلون ثلثي السكان، إذا تمرد الثلث المتبقي في يوم من الأيام فسوف يبكي المستثمرون على الأيام السالفة ويتذكرون بحسرة الأرباح الطائلة التي كانوا يتلقونها... هل سيسكت بروموتيم وشركاؤه على كل ما قد يحصل؟  
بدأ بواردر بالتحضير لحملة كبيرة تشمل كل الفئات بمن فيهم الأطباء، وسماها حملة المليار ومئة ألف مدخن المحاصرين دون دفاع (اتفاقية جنيف لحقوق المدخنين).

خطة أدباتريس وشركائه هي تجنيد فريق من العلماء، والمحامين لمراجعة الأدب العلمي وإجراء دراسات حول التدخين السلبي لإثبات عكس ما يقال، لهذا الغرض تم تخصيص ميزانية كبيرة خصص جزء كبير منها للدكاترة.

المشكلة الأولى التي واجهت بواردر هي إيجاد العلماء المسموعين. بعد أن قام بإضافة الأصفار إلى الشيكات استسلم بعضهم وشارك في المؤامرة؛ لذا أطلق عليهم اسم علماء الشيكات، بعد هذا قام بمهمة قذرة، حيث سرق الكثير من الأبحاث، وخاصة تلك التي على وشك النشر، كان بعض العلماء يستعدون لإلقاء مؤتمرات صحافية للإدلاء بشهاداتهم على التدخين السلبي، لكن بواردر استطاع إقناعهم بقول العكس. خلال سنتين استطاع بواردر أن يقوم بإعداد 1150 مؤتمراً صحفياً و36 محاضرة علمية و32 مناقشة علمية و41 مناقشة سياسية و43 بحثاً علمياً وتمكن من الإعداد لـ33 بحثاً آخر، بالإضافة إلى طباعته لثلاثة كتب، هكذا جند كل الوسائل العلمية لخدمة الشركة.

استطاع الأطباء المجندون أن يؤكدوا صحة الدراسات الملققة وعزل كل من يتصدى للمدخنين وتكذيب كل التقارير والموافقة على كل التقارير المزيفة.

كانت النتائج إيجابية للغاية .

في سنة 1996م تجرأ آد باتريس على أن يقول: أكل حبة بسكويت أو شرب كوب حليب أخطر من التعرض إلى دخان السجائر.

بعد هذه الحملة المضادة التي قام بها بوادر وأتباعه تبعتها حملة تأييد كبرى، ياله من عمل جبار! حيث إن العديد من الحكومات التي كانت على وشك إصدار قوانين ضد التدخين السليبي تراجع، وأخرى خفّ اهتمامها بالدفاع عن غير المدخنين، والعديد من المؤسسات لم تحرك ساكناً، حتى المدارس تراجع، أين شيرلوك هلمز من كل هذا! ١٥١

الكثير من المدخنين انزعجوا من هذا التراجع، قاموا بمحاصرة بوادر، فأعد لهم الإجابة الآتية:

نظرية فيثاغورس تحتوي على 24 كلمة، ومبدأ أرشميدس يحتوي على 67، والوصايا العشرة تحتوي على 179. وإعلان استقلال أمريكا يحتوي على 300. أما القانون الأوروبي، فقد حدد فرصة التدخين في 24942 كلمة.

تعود بوادر على المحاكم. كثيراً ما يعرض قضايا الشركة على المحاكم، فالمال متوافر والوسائل أيضاً.

كان غالباً ما يكسب هذه القضايا وقليلاً ما يخسر بعضها.

عندما يخسر، فإنه يعد ذلك عاراً وخاصة عندما يخسر قضية ضد جمعية قامت بتسريب معلومات صحيحة بخصوص التدخين السليبي.

يقوم بوادر كل أسبوع بمراجعة كل القضايا الجارية الخاصة بالشركة؛ لأن الخطر موجود في كل مكان، ولا بد من مواجهته، لقد قررت مصانع الأدوية مرة بيع مادة النيكوتين إلى المدخنين مثلها مثل الأدوية؛ لتزيد من أرباحها، لكن شركات التبغ تصدت لذلك؛ لأنها تعدّ هذا المجال هو مجالها الخاص، فقام جوركا بتأديب هؤلاء الدخلاء، لقد كلف بوادر بإجراء دراسة توعية لإطلاع الشعب على الخطر المحدق

به، إذ يجب على الشعب معرفة ما يأتي: إن النيكوتين الجديد يسبب السكتة القلبية كما يسبب الإدمان، أما النيكوتين المستعمل في السجائر فهو لذيذ، من خلال هذه الدراسة توصل إلى النتائج الآتية:

النيكوتين الجديد يسبب الاستفراغ، والاضطرابات والغثيان، والتعرق الزائد، والمغص المعوي، وشحوبه اللون، والرعدة، واضطراب الأفكار والتشنج.

كان على وشك أن يسرب المعلومات الخاصة بالتدخين السلبي نفسها، لكنه تراجع في آخر لحظة.

لقد نشر المعلومات المذكورة أعلاه بالجرائد وخاصة الجرائد الواسعة الانتشار. انتشرت الفوضى خلال سنوات.

مهما اشتدت المعركة، فالرد على الأعداء لا بد أن يكون كالاتي:

إخفاء الحقيقة، والتستر على الخطر وأفكاره بصفة خاصة، والتمسك بالعكس حتى تخمد القضية أو تُسسى، لقد حدث حريق في أحد الملاهي بسبب إهمال أحد المدخنين الذي ترك سيجارة فوق كرسي من مادة (البوليستر)، فقام بوادر بالادعاء أمام الجميع أن المتسبب ليس السيجارة، بل مادة (البوليستر)، فتم منع هذه المادة في المقاهي والملاهي، هذا هو بوادر يحوّل القاتل إلى بريء، العديد من الحرائق يسببها التدخين، لكن بوادر ينسبها إلى غيره برشوة السلطات المعنية بشيك أو بهدية قيمة؛ فالكل في خدمته وخاصة رجال المطافي أو الخدمة المدنية كما يسمونهم في بعض الدول، في إحدى المرات وُجد شخص متفحم؛ لأنه كان يدخن في سريره فذاهمه النوم، فاحترقت الغرفة وحصل ما حصل، هنا أيضاً ليست السيجارة هي المتسبب بل إهمال المدخن، هذا هو بوادر، العديد من الحرائق تحصل بالغابات بسبب السجائر، والعديد من الناس يموتون بسببها في كل أنحاء العالم، اسألوا بوادر من المسؤول عن موت كل هؤلاء؟

كل هذا أجبر العديد من شركات التأمين على رفع سعر التأمين بسبب التدخين بصفة خاصة؛ لأن قيمة التأمين تشمل المستشفى والمرضى والموت، والغريب أن

الشركات لا تعترف بالحرائق التي تحدث في السيارات بسبب التدخين، أو بتلك التي تحصل بالمصانع بسبب التدخين أيضاً، أو حتى تلك التي تحصل بالمكاتب. مهمة بوادر تشمل الدفاع عن مصالح الشركة والدفاع عن حرية المدخن، بروموثيم يدعي أنه يدافع عن الحرية والديمقراطية في العالم، لكنه في الحقيقة لا يدافع إلا عن حرية التدخين فقط.

فهو يرى أن التدخين لا يخص إلا البالغين المسؤولين عن أنفسهم فقط، أما تدخين الأطفال فهو تصرف طائش ومؤسف لكنه تافه أيضاً.

عندما يقوم أحد رجال الإعلام بسؤاله عن التدخين، فالإجابة جاهزة: التدخين هو مشكلة الأثرياء، مع العلم أنه يعرف أن 70% من المدخنين من الفقراء، ويعرف أيضاً أن 70% من أرباح الشركة تأتي من الدول الفقيرة.

زيادة الأسعار لا يشعُر بها الأغنياء، بل الفقراء هم الذين يتحملونها، والمهريون هم الذين يستفيدون منها. فهو يعرف أيضاً كيف يخفي هذه الحقائق وخاصة تضرر الفقراء من التدخين؛ لأن ثمن اللعبة لا يؤثر في الطبقات العليا، بل يؤثر في الفقراء والعاطلين عن العمل. عند زيادة الأسعار لا مجال أمام الفقراء سوى التخلص من السجائر. كثيراً ما يصرح بوادر لرجال الإعلام: لا تحاول أن تتوقف؛ لأنك سوف تتراجع وترجع إلى التدخين في أول فرصة، لقد أثبتت الدراسات أن كل المدخنين يرجعون إلى التدخين بعد شهر من الكف عنه، فالمبدأ يقول: من دخن سوف يستمر في التدخين.

كل من يسأل بوادر عن خطورة السجائر، كان بوادر يعرف كيف يجيب؛ لأنه يحب التكلم في موضوع الأمن، فقد قام بإجراء دراسة حول الإحساس بالأمن، وفي ذلك يقول: الفلتر مثلاً مصنوع من حبوب وجزيئات من الفحم تعطي السيجارة طعماً طيباً وتقلل من إيذاء المدخن، ولكي يعطي دراسته أكثر مصداقية باختياره من يقوم بها من بين علماء مدخنين يتم انتقاؤهم بعناية. يرجع إلى الفلتر، ويقول: بهذا الفلتر



سوف تتمكنك السيجارة من رفض المواد الأخرى غير المواد الطبيعية، يذهب إلى أكثر من ذلك ويدعي أن الفلتر الجديد هو النوع الذي أوصى به الأطباء.

بعد سنوات وحول الموضوع نفسه تكلم عن مادة غير مؤذية سوف يتم إدخالها ضمن مكونات الفلتر، وهي مادة الأميانتيت، هي من المواد المؤذية والممنوعة دولياً، بالرغم من أن الكثير من العمال الذين يشرفون على صناعتها يموتون يومياً، فهو يدعي أن سجاثرهم طيبة بالفلتر أو دون فلتر، بعد إضافة مادة الأمونيا أصبح المدخن مطالباً بامتصاص الدخان بقوة؛ لأن إضافة هذه المادة تمت لعرقلة عمل مكائن الفحص التي تخضع لها السجائر لتحديد نسبة النيكوتين، جاءت هذه الإضافة؛ لتضاعف من نسبة النيكوتين من 2 إلى 6 مرات.

بروموتيم يعرف أن الفلاتر الجديدة مؤذية وخطيرة، ويعرف منذ أربعين سنة أنها مؤذية، لكنه يعرف أيضاً كيف كان يتستر على ذلك طوال هذه المدة. إنه يعرف أيضاً أن فاعلية هذه الفلاتر محدودة جداً، لكن بوادر يسهر على إخفاء هذه الحقيقة وعدم تسريبها إلى المستهلك.

لكي تحكم الشركة قبضتها على المستهلك والأرباح ركزت على المستهلكين المفضلين ألا وهم الشباب والنساء، وجاءت النتائج لتؤكد حسن الاختيار، بعض النساء الحوامل مثلاً قررن إيقاف التدخين في أثناء الحمل، هذا لا يعجب بوادر طبعاً، لكنه يعرف أن العديد منهن يرجعن إلى التدخين بعد الولادة، ويعرف أيضاً أن بعضهن يتوقفن نهائياً، الكثير من الأطباء غير المدخنين ينصحون الحوامل بالتوقف عن التدخين في أثناء الحمل وبعده؛ لأن التدخين يسبب الإجهاض والولادة قبل الوقت، وتخفيض وزن الجنين بـ 400 غرام، بالإضافة إلى الأضرار التي تحدث بعد الولادة، كالتصغير في الصدر، والتخلف العقلي والنقص في التركيز، والموت المفاجئ للمولود... إلخ، لكن الدراسات التي يتولاها بوادر تحاول إقناع زبائنه بالعكس بواسطة أكاذيب كهذه: التوقف عن التدخين يسبب سرطان عنق الرحم، بوادر يطلع على الإحصائيات الخاصة بالحوامل للإلمام بهذا الموضوع، ومن خلال هذه

الإحصائيات عرف أن 20٪ منهن لا تصدقن نصائح الأطباء، ولكنهن يصدقن ما ينصح به أطباء آخرون بالاستمرار في التدخين بموجب أربع أو خمس سجائر في اليوم، شركات السجائر أيضاً تتابع الموضوع باهتمام وتعرف أنه ليس هناك تدخين دون خطر، وخاصة لدى النساء المدخنات بالذات.

السجائر تقتل سنوياً 700.000 مدخن حول العالم بمعدل 1917 مدخناً يومياً، يقول بواردر معللاً: لقد خلصنا حكوماتهم من الكثير من المتقاعدین، ومن الكثير من الأدوية أيضاً، في الحقيقة مصانع السجائر تتسبب في قتل 13000 مدخن يومياً، في كل ست ثوان يموت شخص، تساءل بواردر في يوم من الأيام: ماذا سيحدث لو تحطمت طائرة بوينج 747 أو طائرة إيرباص أ 380 يومياً؟

كل شيء له نهاية، ففي 14 أبريل سنة 1994م اجتمع أصحاب شركات التبغ مع لجنة برلمانية لمناقشة موضوع المواد المضافة إلى السجائر، فأجمع كل المصنّعين على أن النيكوتين ليست من المواد المضافة، يا لها من كذبة كبيرة! قام أحد القضاة بمطالبة الشركات المصنّعة للسجائر بعرض ملفات المواد المضافة على اللجنة فوصفوه بالمجنون، وعرف هذا بـ (توباغو غايت) بعد هذه الفضيحة الكبرى استسلم بواردر وطالب بالتقاعد.



# الفصل 10

انتهت الثلاثة أشهر الأولى من الدراسة سنة 1996 بسلام، كان (أنت) يبذل مجهوداً كبيراً لإرضاء فلورانس سواء أحضرت أم غابت، فكانت نتائجه مشرفة. في العشرين من ديسمبر تفاجأ برسالة جديدة، استلمها (أنت) بشيء من الخوف، هل هي الرسالة الموعودة؟ لاحظ الكتابة على الظرف فعرّفها، فتحها، فوجد ورقة بيضاء كتب عليها ما يأتي بحروف كبيرة منتقاة من جريدة ما:

لقد تم ...

يتبع

ذهب بعد ذلك إلى غرفته وبحث عن الرسالة الأولى وبعد أن وجدها توجه إلى المكتبة، بعد أن دخن سيجارة وهدأ بدأ يفكر في بقية الرسالة ومغزاها دون جدوى، فهو لا يحب هذا الأسلوب وهذه العادة السيئة. قرّر بعد ذلك تسليم الرسالتين إلى والديه.

قالت الأم:

- سوف أخبر الشرطة فوراً، واتجهت إلى سماعه الهاتف.

قال الأب:

- وماذا ستفعل الشرطة، إيمي عمره 17 سنة، لا بد أنها مزحة من أحد أصدقائه،

ليس هناك أي خوف، أهنالك تهديد؟ أهنالك مطالبة بشيء؟ لا، فهي مجرد لعبة.

ردت الأم:

- من يقول لك: إنها لعبة؟ ومن يقول لك إنها لعبة من شاب عمره 17 سنة؟

- لا شيء، لا شيء! أنا أعتقد أنها لعبة من أحد الأولاد الطائشين، لنشرب كأساً على صحة هذا الولد الطائش ولا نكثرث بما سوف يحصل ولا نقع في هذه اللعبة القذرة.

بعد ذلك لجأ الأب والابن إلى المكتبة، السجائر، لم تحل المشكلة، وبقي اللفز كما هو، فقرر (أنت) ألا يزعج فلوراس بهذه الرسالة السخيفة، وتأسف على أنه أخبرها بالرسالة الأولى.

لقد وجد في كلام أبيه ما يطمئنه ويريحه.

تم ترقية والده وتنصيبه في وظيفته الجديدة في حفل كبير حضره كل أفراد العائلة، ارتفعت معنوياته وزاد افتخاره، الشركة التي يعمل فيها تباع مواد أولية ومواد ذات مواصفات خاصة.

بعد الترقية أصبح مسؤولاً عن مجموعة من الموظفين يرقي من يريد ويوجه من يريد، قبل هذه الترقية كانت مسؤوليته لا تتجاوز الزبائن، أما الآن فله مجال أوسع في ميدان العمل، منذ زمن كانت مسؤوليته لا تتجاوز النتائج الخاصة بالمبيعات وتبقى هذه المسؤولية سارية المفعول، بعد تحميله المسؤولية الجديدة أصبح يرى نفسه مهاباً من الزبائن والزملاء معاً، ارتفعت معنوياته؛ لأنه كان يفكر أن هذه الترقية سوف تعود بالخير على عائلته، وخاصة على ولده البكر الذي سوف يلتحق قريباً بالجامعة، وبعد التخرج يلتحق بسوق العمل.

كانت سنة 1997 آخر سنة لتخرج (أنت) من التعليم الثانوي، حتى الآن لم يبدِ رغبتة لا في التعليم ولا في العمل، فكان يميل أحياناً إلى العلوم وهذا ما جعل أباه

يحلّم أن يراه باحثاً علمياً في يوم من الأيام، وأما الولد فكان يحلم أن يكون بهلواناً لكن أبويه طلبا منه أن يفكر بجد في مستقبله، نظراً لتردده في اتخاذ القرار، طلبا منه إجراء بعض الاختبارات لاكتشاف مواهبه وطموحاته، قبل دون تردد، شيئاً فشيئاً أصبح يختفي وراء دخان سجائره تاركاً للأخريين مسؤولية الاختيار مكانه، لقد وجد في اقتراحات والديه الحل الأمثل لمشكلة لا يوليها أي اهتمام، لقد قرر من قبل إجراء اختبار يؤهل للتدخين من عدمه، اقتنع الأب بموافقة الابن لتحديد مصيره، فكان يرى في ابنه الكفاءة الكافية لتسيير مجموعة من الرجال باقتدار وفعالية.

في أواخر أبريل قام الأب وابنه بزيارة طبية نفسية متخصصة في التوجيه المدرسي، بعد أربع ساعات تم اتخاذ القرار المناسب ودون رجعة، من خمسة عشر معياراً تم الإجابة على أربعة عشر.

والنتيجة كانت هوايته المفضلة بائعاً، لم يقتنع الوالد بذلك؛ لأن هذه المهنة لا تتوافق وطموحاته، لكن بعد مناقشة جادة مع الدكتورة النفسية اقتنع وهدأ. وعند مغادرته العيادة خاطب ولده قائلاً:

حاول التخلص من التدخين قبل الإقبال على الوظيفة؛ لأن العديد من أرباب العمل يرفضون من يدخن على الفور، هذه ليست العادة وهي غير مقبولة طبعاً، لكن هذا هو الوضع الراهن، ليس لديك خيار آخر، قبل إعلان هذا النبأ إلى الأم، ذهب الأب والابن إلى المقهى لاحتساء ما طاب من المشروبات والتشااور حول ما سيقولانه للأم، كان المقهى من جيل الخمسينيات فيه مكان خصص للمدخنين، لجأ الاثنان إلى زاوية من هذا المكان وأخذ كل منهما يدخن بشراهة، في الجانب الآخر المخصص لغير المدخنين كتب على لوحة: (دخن أو لا تدخن، لكن حافظ على الأدب). وهذا هو رأي الابن طبعاً، بينما هما يتبادلان الحديث ظهرت دعاية متحركة لفتت انتباه الوالد كتب عليها: (حياة دون تدخين متى ستبدأ 19).

نظر كل واحد إلى الآخر وابتسم كل منهما؛ لأنهما لم يتوقعا أن يفاجأ بهذه

الدعاية الموجهة لهما بالذات، فضحكا من جديد وضحك كل من حولهما، وخاصة غير المدخنين منهم.

وفجأة فاجأهما مرسل ثان يقول:

(انصرفوا للتلوّث في مكان آخر).

المكان المخصص لغير المدخن بالمطعم هو مثل مسبح فيه مكان مخصص للتبول ومسبح ممنوع التبول.

- باللعار! كيف تم تشجيع قاصر على التدخين؟

- هل التدخين مضر إلى درجة أنه يشبه تجرع سم الفئران.

- وإذا كنت أرغب ذلك فهذا يخصني أليس كذلك؟ هذا ما قاله أحد المدخنين وهو

متمسك بما تبقى من سيجارة لاصقة في شفتيه. نهض (أنت) وقال: أيها السادة،

هل قرأتم ما كتب هنا: (حافظوا على الأدب من فضلكم، وإلا انصرفوا).

- طبعاً، من يريد أن يتسمم بمحض إرادته فهذا من حقه، هذا انتحار قال أحد الجالسين.

- بصراحة يمكنك إيجاد طريقة أفضل للانتحار سريعة وفاعلة، قال آخر.

ثم قال الأب: إنكم تستحقون الشفقة؛ لأنكم تجهلون لذة التدخين.

خرج الأب والابن بعد أن سكب الأب ما تبقى من فضلات التدخين على أحد

الكراسي، وبعد أن تجرع ما لذ وطاب من سخرية الناس.

شيئاً فشيئاً اقتنع الأب والابن أن سلامتهما كمدخنين معرضة للخطر في

الأماكن العامة، هذه إهانة للمواطنين المسهمين في تنمية المصالح الخيرية التي

تشرف عليها الدولة.

في أثناء عودتهما إلى البيت لم ينفكا عن الحديث في الموضوع نفسه، لأن هذه

أول مرة يتحدثان بكل صراحة وبكل عمق في موضوع شائك مثل هذا.

- ثم قال الأب: لقد بدأت التدخين مثلك لأقلد الكبار، وأقلد أبي وبعض الممثلين الأغبياء وأمثالهم من المطربين.. الذين وافتهم المنية بسبب شراحتهم في التدخين.

عندما نمتهن مهنة بائع سجائر لا يجبرنا أصحاب المصانع على التدخين، لكن ظروف العمل تجبرنا على ذلك، الزبائن لا يقنعهم إلا مدخن، ومن خلال الواقع طبعاً، فأحياناً نضطر إلى تدخين سيجارة لامتنصاص الخوف الذي ينتابنا قبل مقابلة زبون صعب المنال، وأحياناً نتناول سيجارة لمحو آثار الأرق الشديد وتحاشي النوم الذي يداهمنا من جراء التعب والإرهاق، أصبحت السيجارة من الضروريات، غيابها مميت ومسبب للقلق والاضطراب، فالיום وبعد هذه المدة الطويلة من التدخين أشعر أنني سجين في سجن اسمه سجائر، إنني أتمنى أن أتوقف يوماً وأتمنى أكثر فأكثر لو تتوقف أنت عن التدخين، لقد حاولت كثيراً التوقف وفي كل مرة أفسل، لقد ساندني زملائي في هذه التجربة الصعبة لكن دون جدوى، في كل مرة نتوقف ثم نعود إلى هذه العادة السيئة، فالיום أصبح التدخين لا يكتسي أي متعة مثل ما كنا نتوقع وعكس ما قلته لهؤلاء الأوباش بالمقهى قبل قليل، هي فرصتك أنت؛ لأنك في بداية مشوارك مع التدخين فيمكنك التوقف، أما أنا فمن الصعب أن أتوقف، هل لاحظت في أثناء العطلة الأخيرة كم كنت متعباً؟ فأي مجهود كان له وقع الجبل عليّ، اثنتان وأربعون سنة من العمر حطمتها السجائر. في عنفوان الرجولة أصبحت ألثت كشيخ منته غير قادر على المشي مثل من يبادلني العمر نفسه، من حين لآخر أشعر بالآلام في الصدر، أما صوتي فقد اختفى من كثرة السعال، ناهيك عن الأسنان التي اصفرت ثم اسودت من كثرة التدخين، الأصابع أيضاً أخذت نصيبها من هذا اللون الحزين، أما القدمان مثلها مثل اليدين فالبودرة لا تغادرها ليلاً ولا نهاراً، ولا تتسى لون وجهي الأغبر والرائحة المنبعثة من ملابسني كم هي مقرفة. أسأل أمك عن ذلك فهي تخفيها داخل كيانها، انظر إلى هذه التجاعيد التي حرثت جبيني، فأملك تصفني بالعجوز بسبب ذلك، تحملت ذلك منذ زمن بعيد؛ ظناً أنها عادة من عاداتها السيئة، لكن الواقع غير ذلك، فالفخ الذي وقعت فيه هو السبب، لقد أصبحت عبداً



للسيجارة، ومن خلالك اليوم اقتنعت بمضرة التدخين بعد أن فات الأوان، إنني أعترف بذلك أمامك. بالرغم من أن عنادي يجعلني اتباهى بالتدخين أمام الآخرين، لست فخوراً بنفسني كما ترى.

تأثر الابن كثيراً بما سمعه وتأثر أكثر من صدق أبيه وبادر أباه، قائلاً:

- لي خطة سوف تمكّني من التوقف، سوف أنفذ هذه الخطة ابتداءً من العطلة القادمة، وبعد ثلاثة أشهر تصبح السجائر في خبر كان، وصل الاثنان إلى البيت، فكان من الأفضل التوقف عن الكلام في هذا الموضوع. حتى الدعاية التي عرضت أمام أعينهم بالمقهى، والتي تقول: (يوم بلا تدخين من أجل عالم دون تدخين)، لم يكن لها أي تأثير فيهما من أجل الكف عن هذه العادة السيئة.

اقتنع الوالدان بما حددته الدكتورة النفسية بخصوص دراسة ابنهما، وكان ذلك على مضض، وسجل الابن أخيراً في كلية العلوم.



# الفصل 11

أنتوكس له من العمر خمسون سنة، يتمتع بحيوية كبيرة، رأسه جميل شكلاً ومضموناً، له من المال ما يكفيه فأكثر، فهو رياضي وأنيق، يتمتع بصحة جيدة ويتنفس الرفاهية وطيبة العيش، فهو ناجح في حياته وبعيد عن التدخين، ولا يبدو عليه أنه قد دخن من قبل، بعد أن عمل لسنوات في صناعة السيارات خضع لإرادة بروموتيم الذي فتح أمامه كنزاً من الذهب، الدعاية من أجل السجائر، فدعاية السيارات كانت تدر عليه ذهباً، لكن فرصته الجديدة يمكن أن تضاعف من دخله، هذه فرصة؛ لكي يعرف الجميع إمكانياته في هذا المجال.

كانت الشركة تنفق 7 ملايين دولار سنوياً على الدعاية، لكن أنتوكس أقنعهم يرفع هذا المبلغ إلى أحد عشر فأكثر، أصبح أنتوكس يتربع على هرم أكبر شركة مدمرة للعقول في العالم، مهمته الاتصالات والعلاقات والتسويق والكفالات والحملات الدعائية ومحاربة المروجين لإيقاف التدخين.

كان من سبقه في هذا العمل اسمه ماريون، عمل بالخمسينيات وأشرف على دعاية الشركة، لكنه واجه مشكلات كبيرة عندما قامت إحدى الباحثات الإنجليزيات في بريطانيا بإثبات أن السجائر ليست مادة طبية كما تروج لها الدعايات، بينما كان ماريون يعتقد العكس؛ لذا جند جيشاً من الباحثين لطمأنة الزبائن، من ضمن ما ادعى هؤلاء أن التدخين يساعد على تخفيض الضغط وتخليص الإنسان من القلق

وتحسين علاقته مع غيره ومحاربة الملل والتقليل من الإحساس بالوحدة، فأصبح المدخنون يتباهون بذلك لإثبات رجولتهم إلى غيرهم، ركّزت الدعاية على الجانب الذي يرغبه المدخن، فتحسنت المبيعات بعد أن ركز ماريون كل اهتمامه على إرضاء رغبة عملائه بالقضاء على القلق والتخلص من الإحساس بالذنب، أصبح المدخنون مقتنعين بأن رغبتهم قد تم تلبيتها، لقد نجحت دعاية ماريون، فهو لا يروج لبيع السجائر بل يروج لبيع الإحساس بالمتعة نفسياً وجسدياً.

لقد أصبح السيد لامبدا بطل الدعاية رجلاً مرغوباً ومحبوياً، في بداية 1957م بحث ماريون عن بحارين ورعاة بقر للترويج للسجائر، وإشعار الشعب الطيب أن التدخين يخلصه من التعب بعد عمل شاق طول اليوم، كانت تلك الأيام هي (أيام الرجولة).

في السبعينيات شارك أنتوكس في اختراع دعايات أخرى من نوع جديد، نوع راق، فهي لعبة جديدة لتلبية رغبة لا تخضع لوعي صاحبها، من خلال دعايات محكمة وأبحاث اجتماعية عميقة، فقد توصل أنتوكس إلى إقناع المدخنين بأن تداخل العلاقة الجنسية والموت أمر طبيعي جداً، بالرغم من أنه غير مريض جنسياً فقد قام أنتوكس بإضافة صور تحتوي على الأعضاء الجنسية والتاسيلة إلى دعاياته للتأثير أكثر فأكثر في هواة السجائر، ثم تم إنتاج نوع جديد من السجائر اسمه (كنغ سايز) معبراً بذلك عن قوة الرجل الفحل، المتسم بالقوة والعتاء.

كان أنتوكس يتباهي بهذه الابتكارات الجديدة، ومن خلال دعاياته التي تتسم بالشفافية كما يدعي ارتفعت قيمة دعاياته، فاشترى صفحة كاملة من مجلة دعائية مرموقة، فطبع في صفحة مجرد فاتورة، وفي الصفحة الأخرى رسم صورة امرأة عارية عارضة فرجها إلى الأمام، عند تصفح القارئ لهذه الورقة يحاول مقارنة الصفحتين، وسرعان ما يقتنع أن الغرض هو مكافأة المدخن على تشبته بسجارتته.

لكن واحداً من زملاء أنتوكس ذهب إلى أبعد من ذلك، فقد ابتكر سيجارة سماها (الموت) وكان لها نجاح غير مسبوق، غير أن محاربي التدخين سرعان ما أوقفوا هذه النوعية، ووضعوا حداً لنشاطها.

في عهد ماريون كانت الدعاية تهتم بالشباب البالغين بصفة خاصة؛ لأن الدعاية كانت تخضع لرقابة الدولة، وكان من يروج للتدخين هم الجنود بصفة خاصة، والجندي من البالغين بالطبع.

أما أنتوكس، فقد ركز كل دعايته على المراهقين من اثني عشر فأقل، لقد اقتنع أنتوكس وشركاؤه بأن هذا السن هو الملائم الأكثر لبداية التدخين، أما ما تحت هذا السن فيبقى احتياطاً، فلا يجب الاقتراب منهم حالياً؛ لأن العديد من مديري المدارس والآباء أبدوا اعتراضاتهم على ذلك.

- تساءل أنتوكس هل أنزل إلى تحت هذا السن؟

- رد شركاؤه: ما دامت لهم شفاه فنحن نريدهم.

- أنتوكس ردّ قائلاً: إن الشركة بلغت القمة، ولا تحتاج إلى دعاية أكثر من اللازم، الاستثمارات الكبيرة لا تدرّ مردوداً عالياً إلا بعد مدة طويلة باستثناء القليل منها، إن الغرض من الدعاية والإعلانات هو ترسيخ التدخين في عقول المدخنين.

بهذه الطريقة كسب أنتوكس الرهان والشباب في الوقت نفسه، وخاصة الفقراء منهم والسود بصفة خاصة، وكل من هو سخيّف بصفة أخص.

وهذا هو رأي أحد أساتذته الذي تتلمذ عليه، وبهذه الدعاية الناجحة كسب اهتمام أصحاب الأسهم أيضاً.

فالمدخن وفيّ لأنه لا يدخن إلا نوعيته المعتادة، أما الشركة الصانعة فقد تعهدت بعدم التعدي على حقوق الآخرين، بالرغم من أنها تريد كسب المزيد من المدمنين مستقبلاً. صاحب الشركة لا يفكر إلا في تعويض ضحايا التدخين سنوياً الذين يبلغ عددهم 700.000. بما أن الغرض هو تطوير مبيعات الشركة، فلا بد من التفكير في جذب زبائن جدد قبل تفكيرهم في التدخين، حتى لو اضطرت الشركة لمخاطبة من هو في سن السادسة أو الثالثة؛ لأن كليهما يقلد من هو أكبر منه، والكل يستوعب الدعاية المروجة للسجائر، ذهل أنتوكس مما سمعه، ففكر فوراً في إعلان جديد،

إعلان بسيط جداً، طفل يقدم سيجارة إلى إحدى البنات، فتقوم هذه البنت برفضها، وتقول: (لنتحرّر قليلاً) لأي شيء ترمز هذه الدعاية؟ وفي التلفاز بالذات؟ أغلب الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين 4 و5 سنوات الذين شاهدوا هذا المشهد أجابوا أن السجائر طيبة ويجب التدخين، كل الأطفال مقتنعون أن الدعاية لا تشمل إلا على شيء جيد، وهي أصلاً صنعت للترويج إلى كل ما هو جاد؛ لذا يجب التدخين.

بصفة عامة يقتنع الأطفال الصغار أكثر من الكبار بمصداقية الإعلانات، وفي غالب الأحيان، فالأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين العاشرة والثانية عشرة تتضاعف إمكانيات تدخينهم في هذا السن أكثر من غيرهم، أنتوكس بنى تجاربه على هؤلاء دون غيرهم، لقد زوده آدباتريس بمعلومة واضحة جداً، يجب التركيز على الشباب أكثر فأكثر ومخاطبة المدخنين صغار السن بصفة خاصة.

يبدو ذلك طبيعياً؛ لأنه قليلاً ما يبدأ شخص في التدخين، وهو في سن الرشد.

كاد نجاح أنتوكس أن يزول عندما تم بصفة مؤقتة، ثم بصفة دائمة منع الدعاية والترويج إلى السجائر إثر ضغط غير المدخنين والمحاربين له الذين يعدون التدخين عملاً غير منطقي ولا معقول وغبي.

وبالرغم من هذه الإجراءات الصارمة لم ييأس أنتوكس؛ لأن الحيل لا تنقصه ومتوافرة بكثرة في علب السجائر بالذات.

عند الضرورة سوف يلجأ أنتوكس إلى ابتكار نوعية جديدة من السجائر لتلبية كل حاجات الشباب، وخاصة شباب إفريقيا، سوف يبتكر (سيجارة تتلاءم والفقر بإفريقيا).

بمرور الوقت أصبح الاهتمام بالتغليف الموضوع الأهم في التسويق، إذ يجب العناية بالعلبة؛ حتى تصبح غاية في الجمال، لقد خطرت ببال المشرفين العناية أيضاً بكمية النيكوتين حيث تدل ألوان العلب المختلفة على كمية النيكوتين المتوافرة في كل علبة حسب لونها، فاللون الفاتح يدل على قلة النيكوتين، والعلبة المرنة تدل

على قوة السيجارة وكثرة النيكوتين، والعبء الصلبة تدل على الخفة.. والصحة (لايت) كما يسمونها.

كان أنتوكس يذكر دائماً كل من يعمل معه بما هو مطلوب منه، وما هي الغاية المنشودة، المطلوب منهم التأثير على العقول الضعيفة، الأطفال بصفة خاصة وتشجيع الكبار على الاستمرارية وعدم الإقلاع عن التدخين والتمسك به، اهتموا بمهمتكم كمحترفين، كونوا كالسرطان الذي يتقدم وفقاً للمبادئ الأربعة الآتية: (التعلم، والتطور، والتقدم، ونقل السرطان)، هذه طريقة عملنا والنتائج نفسها قالها أنتوكس مازحاً.

قام المحاربون للتدخين بعمل جبار، وكان لهم الحوار الآتي مع الشركة المصنعة:

- لقد شاهدنا دعايتكم بأكرانيا، هذه الدعاية الدنيئة التي تظهر فيها امرأة حامل، وهي تدخن. ماذا ينتظر المدافعون عن حقوق الإنسان لمتابعتكم أمام القضاء؟ كونكم لم تسعفوا امرأة في خطر.

وتابع آخر:

- يجب منع هذه الدعايات نهائياً؛ لأنكم مجرمون.

أجاب أنتوكس: إن السجائر إنتاج قانوني، ثم تابع:

- إذا أردتم منع الدعاية، فامنعوا بيعها أيضاً... فستفاجؤون بثورة لا مثيل لها.

للعلم فإن إنتاج السجائر يخضع للقانون مثل قديم التاريخ.

لو تم اكتشافه اليوم لتمّ منعيه مثله مثل أي مخدر كالكنب أو الهيروين. إن التدخين عدوى وراثية، والدعاية هي وسيلة التواصل والتوراث هذا ما قاله آخر.

- كفوا عن دعاياتكم وإعلاناتكم وسوف تقل هذه العدوى، هذا ما قاله طرف آخر.

بابتسامة ساخرة رد أنتوكس:

- أذكركم أن الغرض من الدعاية ليس البيع بحد ذاته، ولكن الغرض من ذلك هو تحويل الزبائن من نوعية لأخرى، وللعلم فإن الدعاية لا توجه إلا للبالغين الذين اختاروا التدخين، فهم وحدهم من يختار سجائرهم بعد مقارنة الإعلانات، فالدعاية لا توجه أصلاً للشيوخ، ولا تلجأ أبداً إلى الموسيقى الكلاسيكية، لعلمكم أيضاً فإن نشرة الأخبار المقارنة تصنّف بنسبة 40% من بعض السجائر على أنها مسببة للسرطان، بينما تصنفه أخرى بنسبة 39%.

- وماذا حول المراهقين؟

- إن المراهق بصفة عامة يبحث عن وسائل تمكنه من اكتساب شخصية غير شخصيته، فهو يبحث عن وسيلة تمكنه من فرض ذوقه للاستقلالية بواسطة أي رمز كان، والسيجارة هي أحد هذه الرموز، فيلجأ إلى إشعالها؛ ليلتحق بركب الكبار مثله مثل من يفتعل الحرائق، تحت ضغط المجموعات، إذ يلجأ الصغار إلى التدخين، ولا علاقة للدعاية بذلك.

كان أنتوكس فقد الذاكرة؛ لأنه يدافع عن الدعاية، وكأنها لا دخل لها أبداً في ترويج التدخين لدى الشباب.

- لماذا تقومون بحملات ضد التدخين حالياً؟

- لأننا تأكدنا أن أولياء الأطفال والتجار ووسائل الإعلام وحتى الحكومة لا يهتمون بما فيه الكفاية بالوقاية من هذه الآفة؛ لذا اقتنعنا اليوم أن مسؤولية الحد من استهلاك السجائر والوقاية منها أصبحت في ملعب المصنّعين.

قام أنتوكس بتكليف إحدى الوكالات بتكفل عملية الوقاية، فهي الشركة المسؤولة عن الدعاية نفسها، وطلب منها أن تروج للمبيع وعدم المبيع... الحملات التي تقوم بها شركة برومورتيم تشمل أربع فئات من المواطنين: رجال من السلطة، الآباء والأساتذة والوزراء، بمعنى آخر سوف يتمرد الشباب على كل هؤلاء، تخلو القائمة من الطيارين والمغنين ولاعبى الكرة ورموز أخرى من رموز الفن؛ لأن هؤلاء لهم دور

آخر في ترويج السّجائر وفي مناسبات أخرى يحتفظ بها أنتوكس لنفسه، وهذا نص من نصوص الدعاية والوقاية كما يريده أنتوكس.

التّدخين هو من خاصية الكبار (لأنه من عادات الكبار)، والكبار هم الغاية التي يصبو الصغار إلى الوصول إليها، يجب حصر التدخين لدى الكبار فقط، كما يجب منع الصغار من التدخين؛ حفاظاً على صحتهم وصحة غيرهم؛ فالطفل إذا منع من أكل فاكهة ما أكلها، ذلك هو تصرفه بالنسبة للسجائر؛ لأنهم يمنعوني من التدخين إذن سوف أدخن، وهكذا أسهم الصبيان والشباب ولمدة طويلة في ازدهار مصانع السّجائر.

فالشركات تستعمل شتى الوسائل لإبعادهم عن السّجائر، وقد تلجأ إلى إثارة بعض الأحاسيس المؤثرة مثل الاشمئزاز والخوف والغضب، والحزن، والأرق، والفرح والسخرية والتهكم والشهوات.. أو انعدام الانفعال وردة الفعل، كل ذلك من أجل إقناع الآخرين أنها لا تروج لتدخين الأطفال.

كثير من الأطفال والمراهقين ينتبهون لهذه اللعبة القذرة ويميزون بين الهدف الحقيقي والهدف الخفي.

فالشركات قد تلجأ أيضاً إلى شخصيات تثير الاشمئزاز والرفض بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

لكن هذه الحملات ما هي إلا حيل وخداع، لونها يتلاءم مع الوقاية الكاذبة، أي وقاية هذه؟ من يعطي الأوامر لتنفيذ هذه الوقاية الكاذبة هو نفسه من يسلم السيف للسفاح، وهو نفسه من يسلم القداحة لصانع الحرائق.

كان أنتوكس يوزع الكيلومترات من الملصقات والصور، ويرسل النداءات الواحد تلو الآخر عبر المذياع والتلفاز مثل: (التّدخين هو اختيار موجه للكبار فقط، أو التّدخين هو ظاهرة من ظواهر الكبار فقط) تلك هي النداءات الخادعة التي حيرت الجميعات المحاربة للتدخين والمدخنين أنفسهم، كيف تفشل الوقاية من التدخين



بالرغم من كل هذه النداءات الصادقة الكاذبة التي تسهم في ازدهار المصانع أكثر فأكثر، أما زميله بوادر فكان يعمل على تعطيل كل الإجراءات القانونية التي تعيق أعمال الشركة (كمنع الدعاية ومنع التدخين في الأماكن العامة، والتحذيرات الصحية، ورفع الضرائب).

فهو يلجأ لرشوة هذا وذاك وبمبالغ زهيدة لإبرام اتفاقيات تحمي الشركة من الملاحقة أمام القضاء، أو إيقاف الإنتاج.

كان من السهل على أنتوكس إنشاء وتشغيل نواد ومقاه مضادة للتدخين، وكان في منتهى السعادة وهو يقوم بهذه الحملة الضارة النافعة في الوقت نفسه، لقد أعد صورة ذات حدين، النصف الأيسر يحتوي على صورة جميلة وجذابة تجعل من ينظر إليها في حلم دائم، تكسوها ألوان زاهية وجميلة، وتتخللها العديد من فقاعات الدخان، أما النصف الأيمن فيحتوي على شعار في منتهى القسوة كتب عليه وبخط يوحي بالتحكم والتعدي: (لنمتنع عن التدخين)، فهذه الصورة توحى بالحزن وموجهة لشباب حزين مجرد من أي جاذبية، تتخلل هذه الصورة رقعة بيضاء لا تبشر بخير ولا تذكرك إلا بالعقم، هذه الحملة الشبه الوقائية شجعت الصغار على صنع العديد من الفقاعات الدخانية تقليداً للصورة الأولى مما زاد من عدد المدخنين الشباب وزاد من سرور أنتوكس بطبيعة الحال، فهذا ما يريده، في الوقت نفسه قام أنتوكس بإرسال نداء عبر الراديو يبيث أن إحدى الأمهات تضايقت عندما علمت أن زوجها أرسل ابنه لشراء السجائر؛ لأن ذلك سوف يشجعه على التدخين. فتعهد الوالد بعدم إرساله ثانية، وفي الرسالة نفسها يسترسل المتكلم، ويقول: إن من واجب كل الأولياء منع أولادهم من التدخين، وينتهي النداء بالأغنية الآتية:

نحن أحرار، نحن مستقلون، نحن هادئون نحن لا ندخن. عندما علمت السلطات المعنية بزيادة مبيعات السجائر بـ 11% لدى الشباب انتبهت إلى لعبة أنتوكس الخفية. هناك ستة أخطاء وقعت فيها العائلة المعنية بالتدخين، وهي الأخطاء نفسها التي قد تقع فيها أي عائلة أخرى.

أولاً: فالأم التي تضايقت من تصرف زوجها حيال ابنه لم تكثرث من تدخين زوجها، ولكنها اكثرثت من ذهاب الابن لشراء السجائر

ثانياً: مثل ما هو، فالأب قدوة لابنه.

ثالثاً: الأب المدخن والأم غير المدخنة يجهلان مدى تأثير التدخين السلبي على العائلة ككل.

رابعاً: الإعلان وضع خصيصاً؛ ليقنع القارئ أن التدخين من خصائص الكبار؛ لذا فهو مرغوب.

خامساً: بما أن النداء موجه للكبار، فالولد يتمرد على ذلك للالتحاق بناي الكبار.

سادساً: حتى يتمكن من إثبات حريته واستقلاليته كان من الطبيعي على الولد أن يتمرد على السلطة ويدخن. ضمن الحيل المستخدمة من أنتوكس تبني أشغال أخرى بعيدة عن مجال السجائر، فهي جزء لا يتجزأ من الأعمال الدعائية الناجحة التي تمكنه من التهرب من كل ما هو ممنوع على المستوى العالمي، فصناعة التبغ صناعة مباحة واجتماعية وشعبية؛ لذا قام أنتوكس بالانخراط في نادي رقص الروك ونوادي الفناء وإقامة وتنظيم مباريات التنس والكريكت والإشراف على الراليات وسباق الفورميولاون، فنجح هذا السباق ست مرات خلال عشرة أشهر زاد من شهرة الشركة في 164 دولة في العالم، شاهد كل سباق أكثر من 500 مليون متفرج تمتعوا بالإثارة والقوة والسرعة الفائقة والنجاح والمتعة والألوان الزاهية للفورميولاون.

فهذه السباقات تزيد من المستهلكين للسجائر، كما تذكر قدامى المدخنين بعادتهم القديمة لعل وعسى.

من يشاهد هذا السباق تستهويه السجائر أكثر فأكثر. وهذا هو سر نجاح أنتوكس الذي يتلذذ في الخفاء والعلن. يقال إنه سنة 2006م سوف يدخل منع

الدعاية للتدخين في الفورمولا وون حيز التنفيذ، لكن أنتوكس وجماعته يعدون العدة لَلْف حول هذا القرار، بوادر وجوركا من معاووني أنتوكس يحاولان إقناع من يساند هذا القرار بواسطة دراسات اقتصادية تثبت أنه لا نجاح إلا بنجاح الفورميولاون، في الوقت نفسه بدأ أنتوكس يهتم بالرياضات الأخرى؛ عله يجد مخرجاً ينفذ منه.

لقد حبك شبكة تضم رياضيين ومدخنين، وبهذه الطريقة غيّر نظرة الشباب من 13 إلى 16 سنة حول مظاهر التدخين؛ لأن الكثير من الشباب اقتنع أن أغلب الرياضيين مدخنون، فكسب أنتوكس الرهان وانهاled مئات الآلاف من المدخنين الجدد على التهام السجائر بشراهة.

لكي يضمن نجاحه أكثر فأكثر قام أنتوكس، بمحاولة احتواء كل من تسول له نفسه اعتراض سبيله، إلى الآن لم يستطع هؤلاء الأعداء التقليل من أرباح برومورتييم.

أنتوكس يعدهم مصابين بالكساح، كساح المخ بصفة خاصة. عندما يسمع أنتوكس أن أعداء التدخين يدعون أن التدخين أخطر من حوادث المرور بأربع عشرة مرة وأن صناع السجائر يتسببون في موت شخص كل ست ثوان ونصف يتضايق كثيراً من هذا الادعاء لكنه يعرف داخل نفسه أن هذه الرسائل لا تؤثر إطلاقاً في الجماهير بصفة عامة والمدخنين بصفة خاصة.

شيئاً فشيئاً يتدخل علماء النفس في الموضوع وتتعدد الأمور؛ لأنهم يعدون المدخن ضحية، ضحية مرض انتقل له عبر الدعاية والإعلانات المعسولة المغشوشة، فهو ضحية خطأ اجتماعي، شيئاً فشيئاً يطالب هؤلاء العلماء بتعويض هؤلاء الضحايا، فيقومون بحملات لإثبات شخصية هؤلاء الضحايا، انهار أنتوكس أمام هؤلاء الأعداء الحديثي الولادة، فهم يقومون بتدمير كل مخططاته ويتجهمون على مصالحه، فهم يقومون برفع قيمة الشباب لمساعدتهم في التخلص من العادات السيئة وضغط المجموعات، وبالرغم من أنه غير مدخن، فإنه عندما شاهد

الإعلانات الجديدة الموجهة للشباب لتحريضهم على عدم التدخين أحس أنتوكس بخفقان شديد في القلب.

لقد جاءت هذه الإعلانات عكس الإعلانات السابقة، فهي أكثر جاذبية؛ إذ إنها تتحدث عن تقييد الحرية والعصبية الجماعية والإغراءات والصحة والحياة، كل هذا بشفافية وصراحة دون أي خفايا تذكر ودون أي إغراءات وأي قيود.

عندما تمعّن أنتوكس في هذه الدعايات عن قرب قدرّ علامتها بخمس من عشر، مضيفاً إلى ذلك الإعلان الذي يعبر فيه أن المدخن كالخروف المقيد الذي يجرد من صوفه عشر أو عشرين أو ثلاثين مرة دون أي مبالاة على صحته، واقترح أن هذا أقصى ما يمكن أن يفعله أعداؤه.

أما أوروبا الموحدة فلا تتردد في الوقوف بحزم أمام ظاهرة التدخين: فهم يقومون بما كان يقوم به أنتوكس نفسه. مستغلين في ذلك فنانيين محبوبين ومرغوبين من الشباب. لقد وضعت أوروبا ميزانية خاصة تقدر بثمانية عشر مليون دولار لمحاربة هذه الآفة على مدى خمس سنوات، بينما بلغت هذه الميزانية في أمريكا أحد عشر مليوناً وثمانين ألف لوقاية الشباب من آفة التدخين، وهذا يعد مبلغاً زهيداً لمقاومة آفة سامة مثل هذه.

استمرت أوروبا في تخصيص 0.13 يورو لوقاية كل ساكن مقابل 800 يورو لدعم الزراعة المشتركة، وبالرغم من كل هذا يعد هذا المبلغ زهيداً جداً وهذا ما جعل أدباتريس ينام مرتاح البال.

لا تزال صناعة السجائر تتحالف مع الصحف ووسائل النشر لفرض المال ضد العقل، ضد صحة المجتمع، ضد الحرية وضد الحياة نفسها. أنتوكس لا يتوقف عن العمليات الدعائية في الدول الأوروبية التي لا تزال تخضع لنفوذها، فهو يقوم بدراسة كل النصوص، واضعاً في اعتباره الصور ومضمونها والمستخدمين لهذا الغرض أو ذاك، الأحلام التي سوف تثار، والأفكار المقترنة بالألوان المختلفة

والأحاسيس التي يشعر بها المشاهد، من خلال هذه الإعلانات، فهو لا يتهاون بأي شيء فيقوم بتحليل أي شيء يمكنه استخدامه في إعلاناته وفقاً لشبكة التوزيع التي يرغب في اقتحامها مثل محلات بيع الجرائد، ومحلات التوزيع، والفنادق، والمطاعم، والمقاهي، ومحطات البنزين أو مكائن الخدمة الذاتية.

أنتوكس لا يختار في إعلاناته القيم الراقية كالبذخ والأناقة والجمال وراحة البال، والمغامرة، والمجازفة والصدافة، والطبيعة والرياضة، والصحة والثقافة، والبطولة، والشجاعة والحرية والرشاقة والحياة النشطة والشخصية الفذة.

للمحافظة على التساوي بين حقوق المرأة والرجل يسهر أنتوكس على إبراز قيمة السيجارة الاجتماعية والثقافية في المجتمع؛ لأن التدخين هو مفتاح النجاح حسب رأيه.

لإظهار قيمة السجّارة قامت الشركة بابتكار سجّارة بطول 95 ملم وفلتر بطول 22 ملم مصحوبة بالعبارة الآتية: هذه السيجارة أفخم من أصابع حاملها من الرجال، بسبب هذه الدعاية التافهة كادت أن تصبح هذه السيجارة المفضلة لعارضات الأزياء الرشيقات. وهكذا أصبح كل مدخن يتباهى بهذه السيجارة العملاقة، وحتى من لا يتباهى بها فدوره آت، فالدعاية الناجحة لا تخلو من أي شيء يمكنها من ضعفاء العقول، المدخّنين الذين يحبون التعرف على الآخرين، وتصبح هذه المقولة صورة تمثل زوجين وهما يتبادلان القبلات، لقد ابتكر أنتوكس دعاية تجعل من الدخان مظهراً سحرياً. تحت كل إعلان، وفي مكان خفي العبارة الآتية: صحيح أن مواد مسببة للسرطان مثل مادة الزرنيخ (الأرسونيك) وكحول البنزين ومادة الرادون، ومادة القطران، كلها مواد تزيد من جاذبية السجّائر.

حتى داخل الطائفة قام أنتوكس بتحليل الشعارات المخصصة لها التي تشمل كل الأذواق:

أنا اخترت، وأنت؟

من أجل مستقبل أفضل، المغامرة في آخر العالم.

الآن فقط لا بعد لتذوقها وتتمتع بها.

استمتع بالاسترخاء والمتعة.

صديقك الوفي.

تذوق الحرية.

اختيار البطل.

اختبار الفائز.

معاً نضمن النجاح.

السيجارة تخلصك من عقدة النفس والخجل.

كل قارئ غير منحاز وطبيعي لا يستطيع التماسك من الضحك عند قراءة هذه العبارات السخيفة، أما أنتوكس فلا يضحكه ذلك، فهو يعدها عبارات جيدة واختيارات واقعية. ربما يبرز من بين أصحاب هذه الخيارات شخصية مرموقة تخلفه يوماً لمتابعة مهمته، من يعرف؟ هذه الدعايات المعسولة جذبت الملايين من الأفارقة، إحدى الدعايات الرنانة تمثل رجل أعمال غريباً غنياً ومدخناً ومشهوراً، فالأفارقة يتصورون أن كل الغريبيين أغنياء ومدخنون، هل الأفارقة أيضاً يريدون النجاح مثل الغريبيين؟ هناك من يقول: (كثرة المعفرة تجبرك على التوقف) وهذا طبعاً غير صحيح.

أما في العناوين الخاصة بالأطفال، فنقرأ الآتي: أطفال الدول الفقيرة، ليس هناك قانون يمكنه التباهي بالكمال، يمكنكم التفتح أيضاً، وكي تصل إلى الرقي وتحرر يجب أن تدخن. كان لهذه العناوين وقع سحري على الدول الفقيرة التي تسهم بنسبة 70% من أرباح شركة التدخين المملوكة من بروموتيم.

تم استقبال أنتوكس بوابل من الصّياح: دخّن، دخّن، لايت هوليويد، وسط جمع من الفنانين المرتشين مروجي التدخين في الأفلام، بالرغم من أن الكثير منهم لا يدخن، أثبتت الدراسات أن هذا النوع من الدعاية ناجح وفاعل، منذ 1940م لم تكن للسجائر أي شخصية تذكر، لكن بمجرد أن تناولها ممثلة تصبح مثل العصا السحرية وبإمكانها جذب العديد من المدخّنين... ومن ثم فوائده أكثر لشركات التدخين، لم يكن الجمهور يعي أنه مجرد لعبة يقبلها أصحاب شركات التدخين كما يحلو لهم.

عملاء الشركات يطاردون الممثلين وأصحاب الشهرة في كل مكان لإجراء عمل تلفزيوني لصالح السجائر مقابل مبلغ يتفق عليه. لا ينجو من قبضتهم أحد، حتى مخرجي أفلام الكرتون يقعون في الفخ.

80% من الشباب يقعون سنوياً في فخ هؤلاء المروجين غير المسؤولين، من خلال أفلام الكرتون التي تبيح ذلك، للعلم فإن 8% من أفلام الكرتون فقط تسهم في هذه اللعبة القذرة، أما الأفلام فتسعة أفلام من عشرة تدخل ضمن الأفلام المروّجة للتدخين؛ فالممثل يدخن خاصة عندما تشتد الأزمة وتبلغ القمة (العقدة) فهنا دور السجارة مهم، فهي ترافق مشاهد السعادة والحزن والأرق والهناء والغضب أو الراحة، المدخّون أو من سيدخن مستقبلاً اتفقوا على شيء واحد، ألا وهو وجود السجائر يحل المشكلات، أو بمعنى آخر تُحل المشكلات بحضور السجائر.

أنتوكس يعد المدخّنين من ذوي الجمال الفاتن والجاذبية القوية، نموذج حياتهم يتمناه أي إنسان، فالتدخين بالنسبة له أمر مرغوب ومحبوب، عندما يرى أي شاب فنانة المفضل يدخن يغير نظريته بالنسبة للسجائر، والسينما تسهم في رفع نسبة المدخّنين بست عشرة مرة، من الشباب لا يتمنى أن يشبه سائقى الفورميولاون، أو كلوديا شيفر ومادونا، أو ليوناردو دي كابريو؟

أنتوكس يحب تذكير محدثيه بالموضوع الآتي: 100 مليون متفرج شاهدوا فيلم تايتك في صالات العالم، كم من شباب بين هؤلاء تأثر باقتران السجائر

والأحاسيس الراضة للسلطة وأصبح مدخناً بعد هذه المشاهدة، كم من سيجارة تم تدخينها بعد هذا المشهد؟

هل تعلمون أن أنتوكس سلم سيلفستر ستالون شيكاً بخمس مئة ألف دولار مقابل التدخين في خمسة أفلام؟

أما جيمس بوند فقد استلم 350.000، أما روبيردونينو، فقد استلم مبلغاً متفقاً عليه دون الإعلان عنه مقابل فيلم يلعب فيه دور المدخن المتمكن، بالإضافة إلى هؤلاء المرشحين هناك آخرون مثل بول نيومن كلينت استوود، كامرون دياز، وميج ريان، وجون ترافولتا، وكاثرين دونوف، وفوني اردان، وشارون ستون، كلهم شاركوا في هذه اللعبة القذرة، شارون ستون نالت جائزة هذه الأعمال بعرضها القبيح لصدرها وأفخاذها عرضاً شاملاً غير مسبوق.

أتعلمون أن إحدى نوعيات السجائر الخاصة بشركة برومرتم عرضت 40 مرة في فيلم سوبرمان تو، والبران ثلاثة، وأبوالكبس نوو؟

أما الفيلم (Men in Black) فكان قمة النجاح بالنسبة لأنتوكس؛ لأن بطله من المزعج المدخن مغازل متمرس في ملاحقة الحسنات، مَنْ مِنَ الشباب لا يجب أن يكون مثله؟

في فيلم "تاكسي سامي ناصري يلعب دور سائق لا يمتلك رخصة ويقوم بدعوة جماهيره الشابة للتمرد على المجتمع بمشاركته سجارته.

لقد قام أعداء التدخين برفع دعوى على مثل هذه الأعمال، أما أنتوكس فقد تملكه الحزن؛ لأن الكثير من الفنانين والمشاهير تخلوا عنه وأصبحوا يرفضون الترويج للسجائر، والأكثر من ذلك لقد اختفت السجائر من كثير من الأفلام وكثير من الصالات السينمائية؛ فالعديد منهم أصبح يروج للأفلام الخالية من التدخين.

حتى الصالات المتعاملة مع شركات التبغ أصبحت تمنع دخول الأطفال لمشاهدة الأفلام التي يوجد بها التدخين، وقد نجا الكثير من المراهقين من تلاعب أنتوكس



وأمثاله، فغضب أنتوكس وأمر أعداءه بمنع السجائر إن كانوا قادرين على ذلك، وذكرهم أن فيلم (جامس دين) «عنفوان الحياة»، الذي تم تمويله من قبله ضاعف من المقبلين على الأمشاط بدل السجائر، فلقد ثار جنونه عندما علم أن ممثلين سيئين وجيدين تخلوا عنه وأصبحوا في صفوف أعدائه بعد أن قبضوا مبالغ طائلة، تخلوا عنه بعد أن أصيب بعض زملائهم بسرطان الرئة أو الذبحة الصدرية.

فنانون آخرون عبّروا عن خيبة أملهم قبل رحيلهم بساعات، لا يقتصر عمل أنتوكس على الدعاية المباشرة فحسب بل يشمل الدعاية غير المباشرة، فالعمل غير المباشر هو تعريف المادة أو الخدمة المحظورة، حتى يتمكن المستخدم من التعرف عليها أكثر فأكثر، لقد بلغ برومورتيم القمة في ميدان التحايل، فهو يعتقد أن الألوان لها تأثير أكثر من أي دعاية أخرى، سواء أكانت مرئية أم مقروءة، أما أنتوكس فقد ابتدع ردة فعل تشبه ردة فعل بافلوف، يمكن أن يقع في شباكها أي شخص حتى من هو أمي، ولنوعية اللعبة دور مهم وفاعل في هذه اللعبة، لهذا الغرض قام أنتوكس بتوزيع طائرات من ورق على الأطفال، بالإضافة إلى الأحذية، وشنط، وساعات، وملصقات، وقبعات بأشكال مختلفة، وواقيات للوجه، ومحافظ نقود، وحافظات جوال، وآلات تصوير، وحلق للحريم، وملابس، وقداحات، وطفائيات، وأحذية... لقد قام أيضاً بتبني إحدى ماركات الوسكي والقهوة ووكالة للأسفار وطلب منهم التزيّن بألوان الشركة، وبهذه الطريقة الخبيثة ضمن تضامن الكحول مع السجائر والقهوة مع السجائر ومغامرة السفر مع السجائر، تلك هي المعادلة التي حبكها أنتوكس من أجل الوصول إلى غايته، تلك هي الدعاية غير المباشرة التي ضمنت زيادة 6% من مبيعات برومورتيم خلال السنة، ومن بين هؤلاء الزبائن (أنت).



# الفصل 12

بدأت العطلة بعد أن قام (أنت) بكل الإجراءات الخاصة بالجامعة، فقد أصبح رجلاً من شهر فقط، لقد حصل على موافقة والديه للذهاب في عطلة مع صديقتهم فلورانس، كما ضمن تمويل هذه العطلة، وللموافقة على ذلك طلب منه والده أن يتعرف على سوق العمل قبل المغادرة. بقيت ثلاثة أسابيع على المغادرة، اتصل (أنت) بإحدى وكالات العمل المؤقت التي أرسلته إلى أحد المحلات المتخصصة ببيع القوارير ورهنها، سرعان ما اطلع على هذه الظاهرة الغريبة، وكل خفاياها وروائحها وضجيجها وأنوارها وقلة اهتمام زملائه في العمل وعدوانيتهم لبعضهم والزيائن، سمح له كل ذلك بالتفتح؛ لأنه قبل ذلك كان يعيش في غرفة مغلقة، كل ذلك كان حافظاً جيداً له لمتابعة تعليمه وحصوله على شهادة تقيه من شر هذه الفئة من العمال، وتسمح له بالعيش في رفاهية، مثل ما هو عليه في بيت والديه، حصل حريق بالمحل الذي يعمل فيه بسبب سيجارة أحد المهملين، فأمرتهم الإدارة بعدم التدخين داخل المحل والخروج إلى الخارج لمزاولة هذه العادة السيئة، طلب من كل مدخن أن يوقع في دفتر الحضور والغياب عند خروجه للتدخين، تلك إهانة كبرى بالنسبة له؛ لأنه كان يظن أنه كمتقف سوف يعامل بشيء من الاحترام.

أما فلورانس فقد تخرجت مربية ابتدائية، وعند بداية السنة الدراسية الجديدة سوف تمتحن التعليم، وهذا هو الحلم الذي راودها منذ الطفولة.

كانت دائماً تحلم بتربية الأطفال ورعايتهم وتقويمهم، فهي صاحبة القيم الراقية والمدرسة المتمكنة والمناضلة الشجاعة، فلا ترضى بالقليل، ولا تريد إلا الارتقاء إلى الأعلى.

فهي لا ترضى إلا بالحركة الدائمة والحيوية والتغير المستمر، لهذا اختارت (أنت) صديقاً لها لحيوتها وطاقتها الدائمة وحماسه وتمالكه، منذ ثلاث سنوات تقوم ببعض العمل في الصيف لتأمين بعض المصاريف واكتشاف ميادين أخرى غير ميدان التعليم، فهي تأسف أحياناً؛ لأنها سوف تتجه من المدرسة كتلميذة إلى المدرسة كمرربة، إذ من المفترض أنه في هذا العمر (21 سنة) فهي ليست مجبرة على دخول معركة التعليم ومعايشة تلاميذ من طبقات اجتماعية واقتصادية مختلفة.

بينما هما يعدّان الحقائق للسفر إلى إسطنبول إذا بموزع البريد يطرق الباب. اصفر وجه (أنت) وكانت فلورانس قد لاحظت ذلك.

- ماذا حدث؟ هل تم إلغاء الرحلة؟ أو أفلست وكالة السفر أو شركة الطيران؟
- لا، لا إنه الغبي الذي سبق وأن حدثتك عنه، إنه يعيد لعبته السخيفة، إنه تغيب مدة ستة أشهر وفجأة ظهر، سوف أرمي بهذه الرسالة في سلة المهملات.
- أي رسالة حتى لو كانت من المهملات تستحق القراءة.
- لنفتحها إذن:

بعد فتح الظرف ظهرت الورقة البيضاء كالعادة مكتوباً عليها بحروف لاصقة قُصت من الجرائد ومكملة للرسالة السابقة:

لقد تم الحكم عليك..

يتبع.

تفاجأ الاثنان من محتوى الرسالة الغريب واصفر وجههما أكثر فأكثر، فلجأ الاثنان إلى أقرب أريكة وجلسا جنباً إلى جنب. يا ترى حكم عليه بماذا؟ هل حكم

عليه بالنجاح أو بسنة جامعية ناجحة؟ أو حكم عليه بحب فلورانس؟ أو حكم عليه بحضور حفل عائلي كبير؟

- هذه المرة يجب الذهاب إلى الشرطة لحل هذا اللغز ووضع حدّ له.

- وماذا تريد أن تفعل الشرطة لشخص مجهول؟

- إجراء تحقيق طبعاً؛ لأن هذا تهديد بالقتل، فلا يجب السكوت عليه.

- من يقول لك: إني مهدد بالقتل؟ ومن يستطيع تهديدي؟

- لست مديناً لأحد ولا أطالب أحداً بشيء، ولم أقتل أحداً ولم أجرح أحداً، كل ما في الأمر أني جرحت أُمي جرحاً صغيراً منذ أربع سنوات.

- لنذهب إلى الشرطة قبل السفر، فنستريح من هذه المهزلة فيما بعد، قام (أنت) بإحظار الظرف الأول ثم الثاني ثم الثالث وذهبا إلى مركز الشرطة، استقبلهما شرطي مرتاب على انفراد، بعد أن تمعن في الرسائل وفحصها وجه لهما بعض الأسئلة العادية وطمأنهما على أنها مزحة مشكوك فيها، وطلب منهما مقارنة الكتابة في عائلتيهما، عليهما يجدان الفاعل.

- وعند الضرورة، عند رجوعكما من السفر يمكن الاتصال بزميل لي في المركز يمتحن التصوير؛ عله يساعدكما في إيجاد المتخفي وراء هذه اللعبة، اسمه شامل، سجلوه؛ حتى لا تنسياه، ثم انصرف لعمل آخر.

- هل استرحت الآن؟

- شيئاً ما؛ لأن المنطق تكلم، لكن العدالة لم تتخذ أي إجراء بعد.

- لو تم تكليف العدالة بمتابعة أي مزحة كهذه، فقد تنتهي العدالة وتتوقف.

- أو تصبح العدالة نفسها مجرد مزحة.

- وضحك الاثنان من صميم قلبهما.

بعد أربع ساعات وصلا إلى المطار، وكالة السفر التي حجزت لهما لا تحجز إلا في طائرات تابعة لشركات معادية للتدخين، فهذا هو الموجود ولا مفر منه، عند صعودهما إلى الطائرة وجلسهما لاحظ (أنت) قنياً فوق جناح الطائرة يمسك بمفك يا ترى ماذا يفعل؟ يمكنه إخافة أي راكب مبتدئ كصاحبنا (أنت) من حظه أنه يلتهم سيجارتين قبل الصعود إلى الطائرة، وإلا لتملكه خوف شديد.

إنها فعلاً طيبة، السجارية! تمت الرحلة بأمان ودون أي حدث يذكر، قضى (أنت) كل وقته في مشاهدة المناظر الجميلة من خلال النافذة الصغيرة، كل ذلك أنساه عصبيته وخوفه، أما فلورانس فكانت تمسك بيده وكأنها تريد طمأنته وسلامته؛ لأنها كانت تشعر أنه مضطرب ومستعد للانفجار في أي لحظة، فهي تعرف كم هو محب للتدخين فتزيد شفقتها عليه، طلع الفجر فحطت الطائرة في إسطنبول مصحوبة بدوي كبير، فاجأهم كبير الملاحين بما يأتي: سيداتي، آنساتي، سادتي، لقد حطت الطائرة مرة ثانية بإسطنبول، أطمئن الكثير من الركاب، أما (أنت) فكان يرتعد وهو غائب عن الوجود جامداً لا يستطيع التعبير عن سروره بأول رحلة يقوم بها مع صديقه إلى بلد جميل مثل تركيا وإسطنبول بصفة خاصة، عند خروجه من الطائرة كان يفكر كيف نجا من هذه الرحلة المرهقة؟ تم نقلهم إلى صالة الخروج بواسطة العديد من الحافلات، (أنت) طلب من صديقه الانتظار قليلاً قبل الصعود إلى الحافلة؛ ليتمكن مع بعض المدخنين من مرافقة صديقه السجارية ولو لبضع ثوان، فحياتهم مرهونة بهذه السجارية التي لا يتجاوز طولها 6 سم، لسوء حظ هؤلاء الشواذ أمرهم أحد المسؤولين عن الأمن بإطفاء سجائرهم لتجنب احتكاكها بمادة الكيروسين الشديدة الاشتعال.

في أثناء الرحلة، وبينما كان (أنت) يتجرع الخوف كانت فلورانس تقرأ برنامج الرحلة، سوف تكون رحلة جميلة وناجحة؛ لأنهما سوف يتمكنان من الاستمتاع بكثير من المناظر سواء مشياً على الأقدام أو بواسطة الحافلات المشتركة المتوافرة بكثرة في تركيا، سوف يتمتعان بمناظر جميلة وروائح طيبة وألوان زاهية، وسوف يشاهدان

ما صنعه التاريخ خلال تسعة آلاف سنة، بداية مما قبل التاريخ مروراً بالإنجيل وعصر الهيتيت واليونان والروم والسلجوقيين والعثمانيين وتركيا الحديثة بقيادة أتاتورك. تاريخ تركيا يبدو وكأنه خلاصة لتاريخ العالم، لقد بهرهم القرن الذهبي وأجواؤه بالإضافة إلى ميناء وجسر جلتا والخزانات البيزنطية وكنيسة سانت صوفيا والمسجد الأزرق ومسجد سليمان. كان إعجابهم أكثر بالسوق البازار الكبير، والذهب اللامع في كل أرجائه، العديد من التجار يجيدون كثيراً من اللغات ويحاولون بيع منتجاتهم التقليدية لكل من يمر أمامهم، وتتلخص هذه المنتجات في مصوغات فضية وذهبية ونحاسية وسجادات يدوية في منتهى الجمال، هذه فرصة طالب الجامعة؛ ليتعلم كيف يحطم الأسعار في بلد تباع وتشتري كما تشاء.

وأروع كل ما تقدم حفاوة الاستقبال وهي تجارية بحتة يتخللها الكثير من الدفء من هذا الشعب المسالم والمتسامح، ويبدو ذلك من انتشار اللبس القصير والطويل، بالإضافة إلى الحجاب التقليدي، ومن أجمل ما اكتشفنا (أليالي) تلك البيوت الأنيقة الموجودة على حافة البسفور القريبة جداً من البواخر الراسية هناك.

القهوة التركية الأصلية والشاي والراكي كلها كانت حاضرة، وكان (أنت) يتمنى احتساءها دون مبالغة، يا لها من متعة! طويكابي أيضاً كان حاضراً، كم هي ثرية بذهبها وتاريخها.. وهندستها ومجوهراتها.

كانت الزيارات تتم مشياً على الأقدام أو بالباخرة، زيارات أي شيء دون تحديد، فكل شيء جميل هنا. يا لها من متعة!

بمرور الأيام تأقلم الزائرون على الحياة الشرقية، كلمة ما شاء الله! تكسو السيارات والحافلات وتقيها من أعين المارة والحاسدين كما يبدو في اعتقادهم، إن الله هو الذي يقيها من كل شر، في الحقيقة يبدو ذلك صحيحاً كما يعتقدون.

الصناعات التقليدية تزيد الشوارع جمالاً، وبائع الماء يتباهى بحنفية قربه الجميلة ولا يتوقف عن دق كأسين من نحاس للفت انتباه المارة، فالشوارع كلها تغلي

بيئاعي المثلجات والشورية والكباب والبطيخ، بالإضافة إلى ماسحي الأخذية الذين يتفنون في تلميع الأخذية مقابل مبلغ زهيد، الشوايات أيضاً أخذت نصيبها من هذه الشوارع، وكذلك العتالون الذين يتزاحمون لكسب قوتهم اليومي بمجهود عضلاتهم المفتولة، فالسجائر تباع هنا في كل مكان حتى بالواحدة طبعاً، فالشوارع تلتهب بالسجائر والأسعار في متناول الجميع بل زهيدة جداً، المقاهي كلها مملوءة بالزبائن وبلعبة الورق بصفة خاصة.

فالفقراء هنا يعتزّون بكرامتهم وتواضعهم، من بين ما اكتشفاه (أنت) وفلورانس الحمامات التركية التي أعجبتهم كثيراً، واستهوتهم الشيشة الحاضرة في كل المقاهي، فقد جربها (أنت) بعد أن نصحته فلورانس وأصرت عليه. لقد فشلت تجريبته معها لأنه لم يجد فيها المتعة نفسها التي يجدها مع معشوقته السجارة كما وجد أن طعمها غريب ورائحتها معطرة.

- لا مثيل للسجارة! هذا ما استنتج (أنت).

- يالأسف! لأنها تبدو أقل ضرراً من السجائر.

خلال عودتهما بالطائرة قاما بإجراء تعليق حول أغنية يونس أموي: (أمتنا من نوع فريد من نوعها)، اتفق (أنت) وفلورانس على العودة السنة القادمة لاكتشاف الأناضول. بدت الرحلة بطيئة مثل الذهاب وكان (أنت) يودّ لو استطاع أن يدفع الطائرة لفعل ذلك.



# الفصل 13

عند بداية العام الدراسي الجديد فاجأ الأب العائلة بخبر طيب ألا وهو الكف عن التدخين، لقد قرّر ذلك بعد أن تأكد من أن أضراره أكثر من فوائده، وخاصة من الناحية الصحية، كان يعد نفسه ضحية مرض خفي يراوده منذ زمن بعيد ويعذبه عذاباً شديداً، لقد اقتنع أخيراً أن التدخين أصبح الهاجس الأكبر الذي يسب له إزعاجاً مستمراً لا يطاق. بالإضافة إلى ذلك، فقد قررت المؤسسة التي يعمل فيها أن تصبح ابتداءً من أول يناير من سنة 1998م مؤسسة خالية من التدخين؛ لأن التدخين يكلفها 2830 دولاراً سنوياً على كل مدخن؛ فالمؤسسة حريصة على صحة عمالها وموظفيها، وهذا من صالحها أيضاً؛ لأن السجائر ليست من كماليات الرفاهية ولا من عوامل المنافسة؛ فالتدخين قد يصبح شيئاً فشيئاً عبئاً على المؤسسة؛ لذا قرر الوالد التخلص منه؛ مرضاة لنفسه أولاً وتجنباً للحاق بمن سبقه من ضحايا التدخين في المستشفيات.

قالت الزوجة، سائلة:

- متى ستبدأ هذا الحدث العظيم؟

النقاش في هذا الموضوع سيبدأ غداً، وفيما بعد ستبدأ مدة تحضيرية مدتها خمسة أسابيع، وتم تحديد تاريخ الإقلاع الخميس 23 نوفمبر، أمس بالذات حاولت تخفيض الجرعة اليومية من السجائر فشعرت بألم شديد ولم أجد راحة إلا بعد



التدخين، لكن الآن بعد أن قررت الإقلاع عن التدخين أحسست بشيء من الراحة، لقد كنت منذ زمن بعيد في صراع دائم مع نفسي، وكنت خائفاً من عواقب وخيمة إذا حاولت الإقلاع، لقد كنت ضعيفاً في محاولاتي السابقة، فالإحساس بالذنب كان يطاردني في كل وقت متى خجلت من نفسي؛ لأنني أصبحت مدمناً دون أن أشعر، هل تتذكرين محاولاتي المتكررة وأنا أسوق السيارة في الطريق المزدوج والنزاعات التي نتجت عن ذلك؟ أتذكرين زيارتي المتكررة للمكتبة؟ كم كنت أتعذب وأنا أحاول الاختفاء للتدخين! وأخيراً اكتشفت أنني كنت موجهاً من طرف سيد ياسرني وفقاً لمصالحه ومصالحه، فقط دون مراعاة لشعوري ومصالحي، وأخيراً شعرت أنني وقعت في فخ، واليوم أشعر بالخجل؛ لأن تصرفي أوقع ولدي في الفخ نفسه، الذي وقعت فيه أنا قبله.

وبمرور الأسابيع أصبح الأب يحب أن يتكلم عن المحاولة الجريئة للكف عن التدخين، فهي حقاً مغامرة عظيمة تشبه لعبة الألعاب النارية المفعمة باللذة والسُرور.

مقابلة الطبيب المعالج للكف عن التدخين كانت لها الأثر الكبير في الإقدام على هذه المعركة الصعبة، كانت المقابلات تتخللها محادثات شخصية واختبارات وأسئلة وتحاليل لجملة من المعلومات لتسهيل ما هو غامض والاطلاع على ما هو خفي ومعرفة طريقة العيش ومن دخن قبله من العائلة وما هو أسلوبه المتبع في التغذية وأفكاره، وخصوصاً تلك المتعلقة بالسجائر وشعوره واحساساته وشعوره بالإرهاق وإحساسه بالنجاح، وخاصة إحساسه بالنحافة والعيش دون تدخين وإحساسه بالظهور بمظهر أفضل بعد التخلص من هذه الآفة القاتلة.

أخذ الوالد ورقة بيضاء ورسم ميزاناً عليها، كتب على كفته الأولى ما هي الفائدة التي جناها من التدخين وعلى كفته الأخرى ما هي مضاره وما هي الأشياء السلبية التي استنتجها من إيقاف التدخين وما هي الإيجابيات؟ لقد احتاج إلى ساعتين للإجابة عن كل هذه الأسئلة، على السؤال الأول ما هي الفائدة التي جناها من التدخين؟

لا شيء، من خلال مقابلاته السابقة للدكتور المعالج استنتج الأب أن التحرر من السجائر أمر صعب ومعقد يجبره على إجراء مراجعة كاملة لنفسه.

بعد هذا أصبحت أتحكم في نفسي وأدخن باستخدام عقلي لا وفقاً لمزاجي. بعد مقابلاتي الأولى مع الدكتور أعقبها خمس حصص لتحضير الأسباب الداعية للإيقاف، وما الفائدة من الإيقاف وما هي النتائج المترتبة عن ذلك من لذة وألم وزيارة في الوزن؟... إلخ.

تبع ذلك حصة لا تنسى: تعرفت فيها على حيل وخداعات شركات السجائر من أضرار جسدية وعقلية معاً. كانت المفاجأة كبرى وأثارت حقه وجنونه على شركات التبغ، فعزم على ألا يتراجع في قراره الصارم للإقلاع عن التدخين.

لقد اقتنع أنه لا بد من التحرر، فهو يشعر بذلك؛ لأنه يريد هذا التحرر ومصمم عليه؛ لذا فهو يراه في الأفق، لقد أصبح إنساناً آخر يتحكم في حياته الشخصية، ها قد حل اليوم المنشود 23 نوفمبر 1997م.

قام الطبيب المعالج بإعطاء الوالد بروتوكولاً خالياً من الأدوية يسمح له بالتحرر شيئاً فشيئاً من حاجته إلى التدخين بعد إجراء فحص على طريقة تدخينه المعتادة وعاداته وما ينتج عن التدخين من تصرفات وعلى من دخن قبله من العائلة، تقرر تزويده بدفتر يرافقه كهوته، تضمن هذا الدفتر إستراتيجية لكيفية التصرف، لكبح شهواته، وهكذا أصبح يعرف كيف يسيرها ويتعرف على حالات الطوارئ ويقوم بالنيل منها قبل حدوثها، وكلما كانت الحالة صعبة زاد استعداداه لمواجهتها. منذ ذلك اليوم أصبح الوالد أهدأ فأهدأ، أصبح يواجه شهواته بسهولة فائقة، لقد أصبح يفتخر، ويعتز بأسلوب حياته الصحي الجديد.

العديد من زملائه في هذه المغامرة واجهتهم صعوبات كبيرة جسدياً وعاطفياً أثرت على معنوياتهم وصورتهم في المجتمع، وحتى في تغذيتهم، أما المدمنون على القنب فقد يجرون مقارنات حول ما تحتويه السجائر من نيكوتين وما تحتويه مادة

القنب من المادة نفسها، فوجدوا أن مادة القطران الموجودة بمادة القنب تعادل ست أو سبع سجائر، متابعة الوالد من طرف الدكتور مدتها سنة كاملة للتعرف على كل ما هو إيجابي في الحالات الخطرة، خضع الوالد لعدة فحوص في مختبرات طوال السنة لتحديد حالته الجسدية بعد التوقف عن التدخين وتقويم الحالة العاطفية، المكتسبات، وإمكانية الرجوع إلى التدخين وإمكانية انهيار حوافز الإيقاف وكيفية مواجهة الآلام الناتجة عن التوقف وغير ذلك.

بعد سنة من بداية هذه الحملة ضد التدخين عبّر سبعة من المشاركين عن سعادتهم بنتائج محاولاتهم، فالوالد الذي كان يعاني من السعال تخلص منه منذ مدة واسترجع أنفاسه المفقودة وصار ينام باكراً كما تخلص من العرج الذي كان يعاني منه.. واسترجع جزءاً من توجهه الجنسي الذي فقده.

أمام تجربة والده قام (أنت) بمساءلة نفسه.

وهنا تدخلت الأم، وقالت لولدها: وأنت متى ستفهم أن التدخين مضر ومثير للسخرية في الوقت نفسه؟ لقد أصبحت مثل من يريد نزع ثوب ضيق فعجز عن نزعها.

- وهنا تدخل الأب، وقال: بعد 20 سنة اقتنعت بما تقوله أمك.

إن الخبرة التي اكتسبتها من هذه المغامرة والسهولة التي تخلصت بها من التدخين سوف تساعدك على اتخاذ قرارك، أليس كذلك؟ فالإيقاف ليس مشكلة، إنما التدخين هو المشكلة، أنا لا أجروء بعدُ على القول: إني تخلصت نهائياً منه، لكن باستطاعتي القول: إن مرحلة النقاهة التي أعيشها ممتعة ومثيرة، كنت أعامل جسدي معاملة سيئة، وابتداءً من اليوم سوف لا أسمح لنفسي بمعاملته بهذه القسوة، بعد أن تعرفت على مضرة التدخين أصبحت أنظر إلى من يدخل كلقاح ناجع لي! حتى التدخين السلبي أصبحت لا أتحمله.

بينما الأب يعيش أسعد أيامه لتخلصه من آفة التدخين ولاحتفاله بولادته الجديدة، بدأ ابنه الفصل الدراسي الأول في الجامعة، فوضعه طيب والحمد لله،

لقد حصل على غرفة في مبيت الجامعة، قاعات المحاضرات والمختبرات لا تبعد أكثر من 800م عن غرفته، يواجه غرفته ملعب يسمح له باستهلاك شيء من طاقته للمحافظة على لياقته، أما مطعم الجامعة، فكان يقدم لهم أكالات طيبة متزنة ومتنوعة تلبي متطلباته اليومية الضرورية.

هناك مناطق مخصصة للمدخنين وأخرى لغير المدخنين بقاعة الأكل. أصبح للابن العديد من الأصدقاء والصديقات، لقد حذرت صديقتة فلورانس من بعض البنات اللواتي يأتين للجامعة، وهمهن الوحيد العثور على زوج المستقبل، بما أن (أنت) مقتنع بصديقتة فلورانس، فلا خوف عليه من الانحراف. أما من ناحية محتوى المواد الدراسية، فتلك هي المشكلة: فهي تشمل الفيزياء، والكيمياء والرياضيات والبيولوجيا والجغرافيا والجيولوجيا فيما بعد، لقد بادرهم أحد الأساتذة بالمقولة الآتية: هنا سوف تتعلمون الصرامة والدقة.

تعود (أنت) شيئاً فشيئاً على أجواء الجامعة وأجواء قاعات المحاضرات بصفة خاصة وقاعات الأعمال الموجهة وتجهيزات المختبرات، فالأجواء لا مثيل لها، فالصرامة والجدية من شيم قاعات المحاضرات، أما الأجواء المخيمة على المختبرات، فهي تتسم بالجديّة ومرونة العمل، أما في المطعم وبقية مرافق التسلية فالأجواء تتسم بالراحة والضحك والتسلية، التدخين غير مباح في المحاضرات، لكن يمكن المغادرة للتدخين في الأماكن المخصصة لذلك والعودة دون إزعاج.

نصف الطلبة من المدخنين، منهم من هو مدمن بشراهة ومنهم من هو على حافة الإدمان، وكثيرون منهم يجهلون مضار هذه الآفة السامة التي حاول أبي أخيراً إقناعي بالاقلاع عنها. لقد استمر الابن في التدخين كالعادة بمعدل علبة في اليوم، وأكثر أحياناً، أقلع عن برم السجائر؛ خوفاً من اتهامه بالإدمان على المخدرات، ومن يتناول المخدرات يلجأ إلى أماكن آمنة خارج الجامعة، بعض الأساتذة يشاركونهم هذه المتعة المدمرة، ياله من عمل مخيف!.

نظر (أنت) إلى هذه الفئة الشاذة وأخذ يحاول فهم العلاقة الموجودة بين كيفية

التدخين وشخصية المدمن، لقد لاحظ أن بعض المدخنين يقدمون الولاة للآخرين لإشعال سجائرهم دون إطفائها فاستنتج أن ذلك أسلوب يدل على عدم الرغبة في الاحتكاك مع الآخر.

سنة 1997م كانت مفعمة بالدراسة، الامتحانات على وشك البداية، أنت مازال متردداً بين الدراسة والعمل، فمن جهة يريد الاستمرار، ليثبت قدرته أمام فلورانس وأمام أبويه، ومن جهة أخرى يجد أن بعض الدروس تفتقد إلى المتعة، من حين لآخر يفكر في اختصارها؛ ليعيش مع فلورانس، وقد يجد متعة أكثر في هذا بدلاً من الدراسة غير المجدية، سنة 1997م تعد سنة التغيير بالنسبة له، فهو يرى أن العالم أيضاً تغير، بينما كان يشاهد التلفاز رأى حصة خاصة بوفاة الأميرة ديانا وبكاء الشعب الطيب عليها. في حصة أخرى مخصصة للويس الرابع عشر سمع المحلل يقول: إن كلنتون الفائز بالرئاسة في أمريكا سيكون رئيساً عظيماً، أحداث أخرى تم سردها ذلك اليوم كوصول توني بلير إلى السلطة وإمكانية المصالحة في الشيشان ورجوع هونج كونج إلى الصين، وطالبان، والإرهاب في الجزائر، بالإضافة إلى أجمل المناظر القادمة من المريخ، كل هذه الأحداث هي المتميزة خلال هذه السنة.

لازال الأب يتذوق طعم الحرية، حرية التحرر من السجائر، فقد بدأ يعيش حياة جديدة، زوجته أيضاً تشاركه هذا العهد الجديد، لقد صارحت فلورانس أن علاقتها الجنسية وعلاقتها ككل تطورت كثيراً وتحسنت منذ إقلاع زوجها عن التدخين والحد من تسلل السجارة للتفرقة بينهما.

قبل الإقلاع فقد الأب الكثير من إمكانياته وأصبح لا يرغب في الجامعة؛ لأنه فقد الثقة بالنفس وأصبح لا يجد أي لذة في الجامعة، كان يشعر أن أي مجهود يبذله سوف ينهكه وسوف يثير سعاله ويمكن أن يوصله إلى حالة الإغماء، وربما يضع حداً لقوته الجنسية نهائياً، فالعمليات الجنسية أصبحت بالنسبة له أسوأ الأوقات، حقاً لقد أصبحت غير مجدية ومخيبة للأمال، والآن بعد ان استرجع أنفاسه كل شيء صار يسير على أحسن ما يرام.

والأم رجعت إلى عاداتها القديمة بعد أن أوشكت على نسيانها نهائياً، لقد صارحت الأم فلورانس بهذه الأسرار؛ لعلها تستطيع من خلالها إقناع ولدها بالتخلي عن السجائر أيضاً، في هذه اللحظة كان الابن يتخيل في غرفته أنه يشاهد راعي بقر وهو يدخن سيجارة، وهي موجهة إلى الأسفل. وفي مشهد آخر رأى جمالاً تسرح وتمرح في أحد ممرات المستشفى، بينما كان أحد الجمال يحمل كيساً من الدم موجهاً إليه، لمواجهة هذه الصور المعبرة اغتمت فلورانس الفرصة لتأنيبه للإقلاع عن التدخين.

- هل استوعبت ما قاله لك أبوك بخصوص الكف عن التدخين وسهولة التحرر منه؟ يمكن أن تشرح لي لماذا تستمر في التدخين؟ حتى لو كي لوك أقلع عن التدخين.. منذ 1983م حتى فيديل كاسترو توقف عن التدخين!.

فهي تصرخ في وجهه بهدوء، وهو لا يشعر بذلك لو شخص آخر صرخ في وجهه مثلها لأشعل سيجارة ودخن في وجهه.

- أنا أتفهمك وأقدر شعورك وأعرف براهينك، فهي كلها صائبة، فأنا أقوم بتلويث الجو، وأصرف نقودي لتدمير نفسي، فقدت حريتي... إلخ.

- أعتقد أنه لو استمر تأنيبك لي، فسوف أشعر أنني سجين في قفص، والقفص موضوع في سجن عالي الجدران؛ لكي يصبح من المستحيل الهروب منه، ولأن الهروب مستحيل فالقرار الأخير هو البقاء إلى الأبد، وعدم التفكير في الهروب ثانية.

- أنا لا أريد أن تبقى ملاحظاتي دون نتيجة، وأريد أن أراك تجري موازنة تقارن بين نقاط الضعف ونقاط القوة في عملية التدخين، وأخيراً أريد أن أعرف منك هل السجائر مشكلة أو هي أحد الحلول لمشاكلك؟ إذا كانت مشكلة فالكف عنها مطلوب، أما غير ذلك، فإننا على استعداد لمساعدتك في التخلص منها، ومن جهتك يمكنك إيجاد من يساعدك على التحرر منها، فأبوك مثلاً تخلص منها وأصبح خبيراً في المجال يمكنه مساعدتك.

- نعم لقد تخلص منها ولكن بعد عشرين سنة من التدخين المتواصل.

- دون أعدار ولا مقدمات، فمن قبل لم تكن مضرات السجائر معروفة مثل اليوم، واليوم أصبحنا نعرف أن السيجارة لا تعالج الأرق بل تسببه، هي سنة واحدة وتخرج من الأزمة، يمكنني مساعدتك، انظر إلى أريك أين كان وأين أصبح اليوم؟ أرجوك توقف.

- عزيزتي، سوف أزف لك بشرى طيبة: بالرغم من أنه من السهل القفز بالمطاط سوف أتوقف.

- أف.. أخيراً!.

- سوف أتوقف قريباً، لكن الآن أنا محتاج إلى السجائر؛ لكي أركز في الدراسة وأسهر الليالي كما أحتاج إلى التهدة في أثناء الاختبارات.

سوف أستمر في التدخين؛ لأن بعض السجائر تجلب لذة حقيقية.

- سوف أتوقف عن تأنيبك الآن، سوف نتكلم في ذلك لاحقاً، في شهر يونيو، من جهة أخرى لقد قلت لي: إنك أعددت خطة للتوقف عن التدخين في عطلة الصيف؟ قالت له فلورانس هذا وسكتت. أجابها بابتسامة كاذبة، هل كان يرغب في التخلص من السجائر باستمراره في التدخين؟ على سبيل التسلية قام لمدة أيام بتجميع بقايا السجائر التي يدخنها يومياً، وأخذ يقارن ألوان الفلاتر، لكنه سرعان ما تخلى عنها؛ لأنه لاحظ أنها كلها تقريباً باللون نفسه، فهو دون شك مدخن ماهر.

في 31 مايو 1998م اجتمعت كل العائلة للاحتفال بعيد ميلاده، عائلة فلورانس كانت حاضرة؛ لأنها كانت مدعوة بهذه المناسبة، في الشهر القادم سوف تبدأ الاختبارات، كانت السجائر مدعوة أيضاً في أثناء الحفل مع أنها غير مرغوبة.

سأل والد فلورانس، قائلاً:

- عند وصولي لاحظت مثلك لافتة كتب عليها بمناسبة اليوم العالمي لمنع التدخين (لنكبر دون تدخين) إنها مناسبة طيبة بمناسبة عيد ميلادك!.

- طبعاً هذه الحملات ضرورية، لكنها مبنية على الجانب الصحي فقط، أين هي الرغبة وأين هي الملذة؟ هذه الحملة لا تهمني؛ لأنني كبرت!.. قالها (أنت) ساخرًا!.

- أجابه أبو فلورانس، قائلاً: هذا هروب لكنه ليس إجابة مقنعة.. تدخلت فلورانس، وقالت لأبيها:

- أبي هذا موضوع حسّاس، لقد اتفقت معه أن نتكلم في ذلك بعد الاختبارات، وأكد لك أنه وعدني بالتوقف، لم يتبق إلا تحديد الموعد وكيفية التوقف.

- حسناً، فلم نكن نتوقع ذلك منك قال الأب، بالرغم من كل ما يقال حول السّجائر، فالمستقبل لا يبشر بالخير بالنسبة للتدخين.

- يمكنك التفاوض لكن لعلمك، فإن نصف الشباب من جيلي يدخنون.

- وكم منهم حقاً سعداء؟

ليست لدي أي فكرة، لا أهتم إلا بكيفية تدخينهم: كما أهتم بطريقة إشعال السّجائر لبعضهم، وطريقة وكيفية التخلص من الدخان المصحوبة بتهكم كبير، وكأنهم يتخلصون من عبء ثقيل.

سأل الوالد الحاضرين، ومن يتذكر منهم شعار سنة 1997م؟ فتبع ذلك صمت غير مسبوق.

فأجاب هو على السؤال، قائلاً:

- لتتوحد كلنا في عالم خال من التدخين، لقد علقت على هذا الشعار؛ لأنني كنت أعده بلا طعم ولا رائحة ولا مفعول وغير مرغوب فيه أصلاً.

ومع ذلك، فقد توقفت عن التدخين اليوم، وأنا في منتهى السعادة. إنني فخور



بنفسي؛ لتخلصي من هذه الآفة الخبيثة وأكافح من أجل عالم خال من السجائر.

وفي الغد وبعد سنة من استلام الرسالة الأخيرة استلمت الأم رسالة مشابهة عرفتھا بمجرد رؤيتها، وأرادت فتحھا، ولكنها تراجعتم. ترددت في إرسالھا لابنھا؛ خوفاً من تأثيرھا على اختباراته. بينما كانت الرسالة مجمدة كان ابنھا منهمكاً في الاختبارات النهائية التي كانت سيئة للغاية، فالأساتذة فاجؤوه بأسئلة لم يستطع الإجابة عنها، إذ كانت أجوبته حاضرة لأسئلة أخرى.

فمادة البصريات الهندسية مثلاً كانت غامضة جداً؛ لذا فقد قرر التفرغ لها في عطلة الصيف، بالرغم من ذلك كانت هناك مفاجآت سارة.

فهو نفسه لم يصدق ما حصل له في التفاضل والتكامل ومادة الكيمياء، عكس الجيولوجيا التي كانت مخيبة للأمال.. باختصار، فقد كان يتوقع أنه يحصل على 50% من النتائج الجيدة والحذر مطلوب؛ حتى تظهر النتائج الرسمية، في هذه الأثناء اشترك (أنت) في ناد مخصص في ألعاب سيارات السباق الصغيرة للهروب من هول الأساتذة والاستمتاع بالسرعة الجنونية.

بداية يوليو أعلن عن النتائج، لقد نجح في مادة البيولوجيا وفي جزء من مادة الكيمياء، أما في «الترمو ديناميك» فلا بد من التفرغ لها في الصيف، المصفوفات أيضاً لابد من مراجعتها في الصيف.

أما مادة الستريو كيمياء، فلا بد من العمل صيفاً، كما كان مخططاً لها والتفرغ لها أيضاً، فلقد قرّر هو وفلورانس قضاء أسبوعين معاً، ثم الاعتكاف للدراسة لعل وعسى تحدث معجزة، ألا وهي النجاح في كل المواد باستثناء مادة ونصف المادة؛ حتى لا يجبر على إعادة السنة، فالإعادة ممنوعة، والمغامرة صعبة.

- «لقد جريت وراء الدراسة، لكنني لم ألتحق بالركب»، هكذا قالت الأم ساخرة.

ليس هناك حل آخر سوى الدراسة وبذل الجهد، والحمد لله أن الخدمة العسكرية الإجبارية غير واردة حالياً.

كان الأم والأب يتحسران على ولدهما، ولكنهما راضيان بما حصل؛ فهو أحسن من التخلي عن الدراسة نهائياً، في هذه الأجواء غير الواضحة المعالم رأَت فلورانس أنه من الأفضل عدم التحدث عن الكف عن التدخين حالياً، ولتبقى المحادثة في الثلاجة حتى إشعار آخر، قامت الأم بتسليم الرسالة الأخيرة إلى ابنها ففتحتها أمام الجميع دون تردد ولا خوف وقرأ:

(لقد تم الحكم عليك بـ)

يتبع

- نعم إنه محكوم عليّ بالعمل أو الموت.. وضحك.

لم يتجرأ أحد على التعليق.





# الفصل 14

بدأت الخلية السرطانية تنفذ المرحلة الثانية من عملها، مرحلة التطور، فهي ترفض أي مراقبة ولا تخضع لعامل الوقت؛ لأنها أصبحت دائمة لم يتغير أي شيء منها سوى (DNA) خارجياً أيضاً لم يحصل عليها أي تغيير، فلا يمكن اكتشافها! فهي تعمل باحتراف وجدية.

بالرغم من ذلك أنت متمسك بالتدخين (بنزو) والكثير من السموم الأخرى مثل البريديين Pyridine والنتروزامين والألدهيد، ومادة الأستون لا تزال تتوغل داخله وتحدث أضراراً داخل الجينات والجينات المضادة، وشيئاً فشيئاً تراكمت الانحرافات داخل الجينات.

لقد أصبحت الخلية السرطانية قادرة على النمو بمفردها بعد أن أصبحت سرطانية، إنها الآن قادرة على إنتاج المولات الضرورية لنموها، ومن ثم تتولى إنتاج مولات ضارة تحدث اضطرابات بالخلايا السليمة.

لقد تطورت هذه الخلية إلى درجة أنها لا تخضع لأي رقابة، ولا يقف في طريقها أحد، وحتى الشيخوخة لا تداهمها، وبما أنها لا تخضع لأي مراقبة فتتقسم، وتفقس جذورها في ذريته المستقبلية محملة بإهاهم عيوبه والسموم التي تجرعوها من خلال التدخين.

من خلال هذه الانقسامات تضاعفت الخلية إلى اثنتين ثم أربع ثم ثمان إلى أن

وصلت سنة 1995م إلى ست عشرة خلية صغيرة، في السنة القادمة ستصبح 250 خلية سرطانية، ولا يزال (أنت) مصراً على التدخين.

فهو لا يعلم أنه سوف ينتج خلايا سرطانية جديدة، وأصبحت مناعته غير مجدية؛ لأن الخلايا السرطانية تتكاثرت أكثر فأكثر؛ مستمدة ذلك من المثل الذي يقول: من يجتمع يتشابه، وفي نهاية 1997م أصبح عدد الخلايا 4000 خلية نشطة ثم 64000 في السنة التي تلتها، ثم مليون سنة 1998م، لقد مرت خمس سنوات على تسلل الخلية الأم، وزن مليون خلية هو واحد ميلليغرام وحجمها ميلليمتر مكعب واحد. فهذا هو ما يعقد اكتشافها، من كان يظن أن شاباً عمره تسعة عشر عاماً يحمل وربما خبيثاً؟ داهمته خلية أولى سنة 1994 وتكاثرت حتى أصبحت مليون خلية سرطانية مثبتة بإقامة دائمة، فهي تتسم بالمناعة ضد الشيخوخة والموت، تتصارع مع بعضها لمتابعة تقدمها المخيف، فالعنيفة منها هي التي تكسب المعركة، بالرغم من موت بعضها تبقى الموازنة ثابتة، وفي هذه المرحلة عملها محدود؛ لأن عملية الفوز والتقدم قد انتهت.

لو تم اكتشاف الورم السرطاني في هذه المرحلة انتهت المعركة، لكن شيئاً من ذلك لم يحدث، وبقي (أنت) على ما هو عليه.



مكتبة الرمحي أحمد

# الفصل 15

قام (أنت) بعدة أشغال مؤقتة من شهر أغسطس إلى شهر ديسمبر من سنة 1998م، وكان سعيداً بذلك ويأمل في إيجاد عمل دائم فيما بعد، تلك السنة كانت سنة نعمة وبركة إلهية؛ لأن الاقتصاد العالمي في ازدهار مستمر باستثناء آسيا الشرقية الجنوبية وأمريكا اللاتينية وبولندا، فالبطالة انخفضت إلى نسبة 4.5٪ في أمريكا مما سمح للشعب الأمريكي بالتسامح، ونسيان كلنتون وفضائحه، بما أن حالة الاقتصاد سليمة، فهذا سيسهم في خلق وظائف جديدة وخاصة في شركة شيم آر التي يعمل بها الوالد، فالقسم الخاص بالمواد المضافة بدأ يوظف مندوبين تجاريين مبتدئين، تقدم (أنت) بطلب وظيفة وسرعان ما وجد نفسه أمام الاختبارات والمقابلات والانتظارات الطويلة والمملة أحياناً، بالرغم من أنه ابن مدير في الشركة، فلا يحظى بأي مجاملة، فالمظهر الجدية والفعالية المنتظرة هي التي تحدد قبوله من عدمه.

خلال شهر، وفي أثناء إحدى المقابلات الخاصة بالعمل أخبره المسؤول عن العلاقات العامة أن المؤسسة خالية من التدخين، وهناك تسهيلات لمن يدخن وضعتها المؤسسة من أجلهم، كما تقدم تسهيلات لمن يريد أن يتوقف عن التدخين، كل هذا من صالح المؤسسة والمدخن.

بخصوص وضعك بالذات ليس من الضروري، ولا يطالبك أحد بالتوقف؛ لأن أحد زبائنك يجب المدخنين، لكنه يمكنك إيقاف التدخين إذا كانت هذه رغبتك.

عند اطلاع الطيبية المعالجة على ما تقدم غضبت؛ لأنها حذرته من أضرار التدخين وطمأنته على عدم فصله إن امتنع عن التدخين، وتمت الموافقة على توظيف (أنت) في 4 يناير 1999م، وكان الراتب المحدد، مغرياً، إضافة إلى بعض الحوافز والمنافع العينية وسيارة للتقل، ويجب عليه المشاركة في دورة تأهيلية لمدة ستة أشهر قبل بدء مزاولة العمل، وبعد شهرين من التدريب على قيادة السيارة حصل على رخصة قيادة.

حذره والده من أن رخصة القيادة ليست رخصة موت، وقد رأى أن ملاحظة والده في محلها؛ لأنه يعرف خطورة القيادة من خلال النادي الذي كان يزاول فيه لعبة سباقات السيارات الصغيرة.

قضى (أنت) عطلة نهاية الأسبوع مع حبيبته فلورانس، وبما أنهما يعشقان متابعة الأحداث الساخنة، فقد تابعا معاً أحداث السنة الحبلية بالمفاجآت، مثل فيضانات الأنهار بالصين وإعصار متش الذي خلف حوالي 20.000 قتيل، وتحرر أندونيسيا من قبضة سوهارتو، وأسر بينوشي من قبل الإنجليز والمهزلة التي تبعت ذلك، والأحوال الاقتصادية مرحة والأحداث تتغامز، والسيناتور دول دشّن تسويق الفياغرا وغلين أصبح رائد فضاء في السبعين من العمر، وباكستان والهند تدخلان نادي التسليح النووي، أما نظام طالبان فقد زرع الشك في نفوس البشرية.



# الفصل 16

لكي تنتهي مهمة (بنزو) يجب على الورم السرطاني اكتساب خاصيتين جديدتين: التنقل، والحصول على التغذية.

فالورم لم ينجز إلى الآن إلا القليل، إذ تمكن من الغلاف الخارجي فقط من الخلايا، ففي المرحلة القادمة أي مرحلة التقدم سوف يهاجم الجبس، ثم البنية التحتية والقواطع ثم الممرات الفنية، أما الجبس فهو الغشاء القاعدي، وسوف تتمكن بنات الخلية من إنجاز هذا العمل، سنة 1998م، إذ كانت المليون خلية تتمركز في شعب الرئتين، فمنذ ستة أشهر قامت بعض الخلايا بالتححر وإفراز أنزيمات قادرة على تدمير الغشاء القاعدي وخلايا ألياف العضلات، وحتى الخلايا المسؤولة عن مرونة الأعضاء، ألا وهي الفيبروبلاست، وهكذا تصل بنات الخلية الأم إلى الغلاف القاعدي بعد اختراقها للجبس، دور البلوك والإسمنت قادم، فالسرطان أصبح الآن لا يُقاوم، حتى نتمكن من فهم عمل الخلية السرطانية التي تنتج أنزيمات لدودة تمكها من التسلل إلى الدم والتنقل بحرية في داخل الجسم؛ حتى تصل إلى الكبد وتتمركز به.

إن (أنت) أصبح ينتج خلايا سرطانية في الرئتين لتصديرها إلى الكبد، وعند شعور الخلية بالجوع تلجأ إلى الدم؛ لتتغذى وتتغش، فيقوم الورم بإفراز مواد مدمرة تفتك بكل ما يعترض سبيلها لإنتاج ما يكفيها من المواد الغذائية اللازمة لإنعاشها،



وتقوم الخلايا السرطانية بإنجاز عملها بالتهرب، وذلك بسلوك بعض المعابر السهلة، وإنشاء معابر جديدة وتدمير الممرات الطبيعية، وهكذا تكون قد ضمنت تدمير قواعد البيت الذي حلت به، فيمكن للورم التقدم.



# الفصل 17

جوركا من عائلة عسكرية نيبالية ومن نخبتها أيضاً، لا يتسم بالكثير من العطف، طلب منه آد باتريس التخلص من عميلين سابقين، أحدهما طبيب والآخر مسؤول بصفة مؤقتة عن الأرشيف.

سبق للطبيب أن قبل العمل مع برومورتيم لكسب الكثير من المال، وقام في أحد الأيام باقتراح يطلب فيه من الشركة إعداد برامج تحدّ من مضرّات التدخين، لكن هذا الهدف ليس من أهداف آد باتريس وشركائه؛ لأنّ المحامين يقولون: إذا تم قبول هذا الاقتراح وإنجازه، فهذا يعني أن السجائر الموزعة بالسوق مضرّة؛ لهذا السبب تم طرد الدكتور وبسرعة، وبالرغم من أنه ملتزم بالصمت، فقد أصبح يسرب معلومات خاصة بشركات تصنيع السجائر أمام الوسائل السمعية والبصرية في كل الأماكن، معلومات قليلة، لكنها في غاية الخطورة؛ لذا تم تكليف جوركا بالتخلص منه؛ حتى لا يشهد أمام العدالة.

أما العميل الثاني، فهو حقير ومخبول تم توظيفه للقيام بترتيب الأرشيف، مقابل تسعة دولارات في الساعة، ولكي يقوم بهذه العملية يجب عليه قراءة الأوراق قبل ترتيبها، فتفنن في قراءتها إلى غاية المتعة، إذ قام بإجراء الترتيب وفقاً لثلاثة عوامل: العامل الأول المعلومات التي تخص السرطان، ثم المعلومات الخاصة بنسبة النيكوتين (القطران) وأخيراً المعلومات الخاصة بالدعاية الخاصة باجتذاب

المراهقين، عند اطلاعه على هذه المعلومات علم أنه معرض للخطر مثل أي زيون من زبائن الشركة؛ لأنه يدخن، ويدخن السجائر نفسها التي تنتجها الشركة التي يعمل بها، فسرعان ما خسرت الشركة أحد زبائنها المخلصين، بعد أن دون معلومات مهمة وقام بتصوير 4000 صفحة سرية ومهمة للغاية واحتفظ بها في بيته، وأصيب في هذه الأثناء بذبحة صدرية فعدها المؤشر الأول لبداية متاعبه؛ لذا قرر تسريب المعلومات التي يحتفظ بها، وبيتها عبر الإنترنت، فغضب آد باتريس غضباً شديداً.

بخصوص الدكتور، فلقد تم تهديده أولاً ثم تخويله برفع قضية ضده، وفيما بعد تمّ تهديد زوجته وأطفاله، وبعد ذلك قام جوركا بتلفيق ملف يحط من قيمته وإمكانياته كدكتور، بل أكثر من ذلك فقد زرع الرعب لدى زبائنه عندما أخطرهم بأن إمكانياته العقلية محدودة، ومن جهة أخرى قام بالضغط على الصحافة لإجبار الصحفيين على عدم الإصغاء إلى خرافاته.

أما العميل الثاني، فعقابه بدأ بالفعل، وقد حصلت الذبحة الصدرية الأولى في الوقت المناسب، وإذا لم تحصل الثانية في أقرب وقت فسوف يتم اتخاذ إجراءات أخرى، ووسائل مضمونة.

بما أنه زميل لبوادر، فمهمة جوركا الأساسية هي تقديم اقتراحات حول التخلص من بعض الأفراد أو المجموعات للحفاظ على سمعة الشركة المصنعة للسجائر، باعتبارها أفضل آلة لكسب المال على الإطلاق، ودوره لا يقتصر على ذلك فحسب، بل يساعد أنتوكس لابتكار كل الحيل الكفيلة بتمية المبيعات وتطويرها، كل عمله يتم وفقاً لفلسفة مكيافيل: الحصول على الولاء والطاعة والاستسلام، والتجرد الكامل من كل إحساس وتقيل الفساد بكل أشكاله واحتقار كل شخص ضعيف المرود، والتمرد على السلطة الحاكمة بما في ذلك السلطة الدينية، كل شيء له ثمن، وكل شيء للبيع، حتى آدباتريس لا يستطيع زيادة شيء على هذا.

للعلم، فإن الشركة المصنعة للسجائر منحت جوركا صلاحيات ووسائل تضمن له النجاح الكامل في مهامه، فهناك 200 مكتب محاماة تحت تصرفه للدفاع عن قضايا

لا يحلمون بها، بالإضافة إلى وكالة علاقات عامة ولوبي له ميزانية تقدر بـ20 مليون دولار ومتعاونين تم اختيارهم بعناية فائقة، وحوالي 120 يعملون في العلاقات العامة، بواسطة فلسفة جوركا الخاصة، بالإضافة إلى كل الوسائل السالفة الذكر يقوم جوركا بعمل جبار وفعال، بموجب أي طلب يضع كل إمكانياته ضد أي متريص بالشركة، سواء أكان من الوزن الخفيف، أم المتوسط أم الثقيل، وقد كان ضد التفرقة والعنصرية، وضد جمعية الدفاع عن المدخنين، وضد الصحافة والأطباء، أما المحامون والشرطة، فكان متعاوناً معهم.

وكان سلاحه التهديد والرشوة وأشياء أخرى لا حصر لها، بالرغم من أنه عانى من إرهاق مستمر، فلا يدخن ولا يحاول أن يدخن، وعندما قامت إحدى القنوات التلفازية بإجراء تحقيق حول (حقيقة) النيكوتين تمّ إيقافها أمام العدالة بتهمة (الدّم)، وبالرغم من أن هذه القناة كانت على حق وتأكدت من كسب القضية، إلا أنها انسحبت؛ خوفاً من تكاليف القضية التي سوف ترتفع إلى المليارات، واغتنم جوركا الفرصة لإجبار القناة على تكذيب الخبر، فبدت القناة كأنها بطة بشعة، إذ قامت بنشر خبر كاذب، وهكذا انقلبت القضية على المدعي، فالشركة أصبحت تطالب والقناة هي المطلوب، واضطرت قنوات أخرى للانسحاب من ميدان القتال، وانتشر الخبر حول العالم كله، وقد كان جوركا يتعامل مع وسائل الإعلام بلطف وحذر، ويحاول إغراء الإعلاميين للترويج للتدخين أولاً ولمنتجات المجموعة التي يعمل معها.

لذا اختفت الكثير من المقالات المحاربة للسجائر، وأصبحت نادرة، أما المتبقي من المحاربين، فأصبحوا واقعيين؛ لأنهم قبل كتابة أي شيء يستشيرون جوركا ويوادر.

من حين إلى آخر يقوم أحد رؤساء التحرير الذي يعتقد أنه أذكى من غيره، أو أنه حرّ في تصرفه بكتابة تحقيق يجريه مع أحد المعارضين للتدخين، فحادث مثل هذا يتم دائماً بسحب إعلانات الشركة من هذه الجريدة وحرمانها من كل الإعلانات

مستقبلاً، وغالباً ما يتم إرسال الفاعل إلى الجحيم، وأحياناً أخرى يتم فصل الفاعل، ويقضي ما تبقى من حياته في لعب دور بابا نويل.

الأعمال الخيرية التي يقوم بها برومريتيم هي من الأعمال الرائدة لتحسين حياة البشرية، فهي موجهة إلى العديد من الميادين كالصحة، حيث وزع جزءاً من مبيعات السجائر على جمعيات خيرية ومستشفيات متخصصة لعلاج مرضى التدخين، أحد الميادين الأخرى التي تهتم بها هذه الأعمال هي الشباب، فهذه الأعمال تشمل تجهيز المكتبات الموجهة للشباب وفتح مكاتب لمساعدتهم على إيجاد فرص عمل وفتح قاعات لإجراء حفلات موسيقية أو لعرض بعض الأفلام المسلية والنافعة، ويقوم برومريتيم أيضاً بفتح المتاحف، كما تقام حفلات موسيقا الجاز والبوب لمن يتسم بالطيبة والولاء.

أما جوركا فيقوم بالتنسيق مع بوادر لإيجاد جامعات أو معاهد تجري أبحاثاً يتم تمويلها عن طريق شركة إنتاج السجائر، أما الموضوعات المقترحة، فهي تدور حول الادعاءات القائلة بأن السجائر مضرّة أو تلك التي تتكلم عن أضرار التدخين السلبي، ولتمويه السمكة كما يقولون تشمل البحوث أيضاً المواد المستخدمة في تصنيع السجائر.

يحاول جوركا وزميله إقناع هؤلاء الباحثين؛ لكي يقوموا بدورهم في إقناع الجميع بأن كل ما قيل هو مجرد افتراء وتلفيق، لكن العديد من المهتمين بالبحث رفضوا حتى التحدث إليهما بالهاتف.

- منذ عام 1961م لا يخفى على أحد أن السجائر تنثر على الأقل 400 مادة سامة عبر الدخان، إنك تعلم أن 40 مادة مسرطنة هي إحدى المكونات للسجائر، وأن التدخين والتدخين السلبي يسببان الأورام.

- نحن الآن نتعاون مع القاتل، هذا ما قاله أحد المصابين بالكساح، بعض الباحثين الذين يتسمون بالضعف اكتشفوا أن البحوث التي قاموا بإنجازها جاءت متأخرة؛

لأن نتائجها تم تحسينها من باحثين آخرين، وهناك من لا يريد التعاون بحضور محامين معينين من قبلنا أو كوادر من الشركة، يريدون المال وحرية العمل، فهؤلاء يحلمون وأحلامهم صعبة المنال. فهم يريدون التعامل معنا في السر دون معرفة أي سلطة كانت قبل نشر البحوث.

جوركا لا يتعامل مع هؤلاء، وينتهي دائماً بإيجاد الدمية المتحركة المستعدة لتنفيذ أوامره وإنجاز ما يريد، والوصول إلى النتائج التي ترضيه ولو تم تغيير طبيعة الواقع والتعبير عنه بطريقة خادعة. انتهى جوركا من إعداد محاضرات ولقاءات شارك فيها علماء موالون لهم، مقابل 2500 دولار يومياً، وبعض الباحثين الذين اجتهدوا لإيجاد شيء ما.

إن جوركا يكاد ينفجر من الضحك عند سماعه ما يقال فوق كل منصات العالم من خرافات، مثل:

علاقة التهاب القصبات الهوائية وتناول الخضراوات وتشبيهها بعلاقة التدخين السلبي الذي ينتج عنه التهاب القصبات الهوائية.  
أو الخرافة الآتية:

- التدخين السلبي أقل خطورة من الجلوس قرب البيغاء المصري.

فهذا دليل على أن السجائر ليست وحدها مصدر مضره للإنسان، فالمال أيضاً مضر؛ لذا يجب الدفاع عن كل البحوث الثمينة التي يتم تمويلها بسخاء من قبل الشركة، وجل هذه البحوث محفوظة لدى المحامين، وهذه طريقة مخادعة يتم استخدامها عند الضرورة، فأى وثيقة يتم إدانتها محمية بموجب سر المهنة.

لقد فهم جوركا منذ زمن بعيد أن الشركة يجب أن يقوم طرف ثانٍ بالذود عنها وحمايتها، وهذا ما تقوم به مجموعة من المحامين الذين يتعامل معهم برومورتيتم، وهم الذين يقومون بإقناع المحاكم بعد إصدار حكم ضد موكلهم لتعويض هذا المتضرر، أو ذلك.

لكن هؤلاء المحامين يقضون عاجزين أمام صراخ الرأي العام المتزايد بعد إطلاعهم أكثر فأكثر على مزار التدخين والأساليب الملتوية التي تتجها شركات السجائر؛ لذا كان لازماً أن نبحث عن غيرهم لتولي هذه المهمة الصعبة ألا وهي الدفاع عن الشركة، وهم (متطوعون) يقوم جوركا بجلبهم على شكل أفراد أو مجموعات، لقد قام بإنشاء مؤسسات لهذا الغرض، مهمتها إقناع الرأي العام بتركة حرية التصرف لمن يريد التدخين، أو يرغب في التدخين، وكان بإمكانه خلال 48 ساعة تجنيد العديد من المتطوعين للاحتجاج على زيادة الضرائب على السجائر، من ضمن الوسائل المستخدمة لهذا الغرض حمل لوحات كتب عليها: نحن ضد إقصاء المدخنين، مع التسامح مع المدخنين، مدخنون وغير مدخنين في خندق واحد، المدخنون هم المهمشون الجدد، نريد الحرية، لا لفاشية الصحة.

جوركا يعرف أن أدباتريس يحتفظ بأفلام الفيديو الخاصة بهذه التظاهرات العفوية، فالنتائج المترتبة عن هذه الأعمال الشيطانية تبهر جوركا، وينتج عن هذه التظاهرات تأجيل رفع الضرائب أو إلغاؤها، مما يسمح لكثير من المناهضين لنا بالرجوع إلى الصف والدفاع عن قضيتنا، ولا يتم تأجيل الضرائب فحسب، بل يتم تأجيل الأمر بعزل المدخنين أيضاً، والمستفيد الأكبر من هذه الإجراءات هو الشركة الصانعة للسجائر.

جوركا يولي اهتماماً خاصاً بالمطاعم، في سنة 1987م قامت إحدى الدول الأوربية بإصدار قانون ضد التدخين، التدخين الذكي، كما يحلو لجوركا تسميته؛ لأن هذا القانون جاء لصالح شركات السجائر، والقانون يتمثل في الآتي: عزل المدخنين عن غير المدخنين بإنشاء ركن للمدخنين وآخر لغير المدخنين مع تجهيز ركن المدخنين بتهوية، وهذا لا فائدة منه للمدخنين، ولكنه لصالح أدباتريس والمتعاونين معه، ولحسن حظهم لم ينتبه أحد لفعالية هذا الفصل من عدمه؛ لأنه بالرغم من التهوية الموجودة في ركن المدخنين فلا يمكن التخلص من تدخينهم السلبي في المطعم الواحد.

فالتلوث موجود، بالرغم من الفصل والتهوية، فهذا الإجراء لصالح المدخنين الذين سيستمرون في التدخين بأمن وسلام.

في هذه الأثناء قام جوركا والمتعاونون معه بإعداد حملة للترويج إلى الأدب والاخلاق الفاضلة، وهذا من الأعمال الجيدة التي تقوم بها الشركة لتلميع صورتها، وكان أول من وقع في هذا الفخ هو (أنت) لأن زبائن المطاعم كلهم مدعوون إليها، والمدخنون وغير المدخنين كلهم مرغوب فيهم، حتى أولئك الذين يكرهون المطاعم التي تستقبل المدخنين، وانتشرت هذه الدعاية المروجة للأدب والأخلاق حول العالم، وأصبحت من العادات المعمول بها، هذا ما سمح لجوركا بالتصدي لكثير من التحديات، فلقد قام بنشر: (ليس من حقكم تسميم الآخرين)، في 13000 مطعم بإحدى الدول الأوروبية التي منعت التدخين، واستمر هذا الوضع عدة سنوات، فكان المستفيد الأول والأخير هو شركة السجائر؛ لأن القانون المحلي بهذه الدولة لا يمانع في قيام بعض أعوان جوركا المحليين من الدفاع عن المدخنين، فمهمتهم هي التخلص من المناهضين للتدخين السلبي؛ لأن المشكلة انتهت بفصل المدخن وغير المدخنين.

بإمكان صاحب أي مطعم أو مقهى أو حانة وضع إشارتين أمام محله، واحدة حمراء لرفض المدخنين وواحدة خضراء لاستقبال الجميع، فاستفاد من هذه الطريقة أصحاب المطاعم لغير المدخنين فزادت مبيعاتهم بعشرين في المئة، واستفاد من يدخن أو لا يمانع في التدخين أيضاً؛ لأن الشركة الصانعة توزع عليهم ولأعات وقبعات رياضية تحمل علامتها أو قمصاناً وشنطاً تحمل على الظهر وعينات دعائية، سواء أكانت هذه الإعلانات ممنوعة أو مسموحة، شملت هذه الهدايا الجميع، فحتى مضيفات الملاهي والمطاعم شاركن في إكرامية برومورتييم؛ لأن الموزع يقول لهم: هذه هدية من برومورتييم، الإكرامية تكون أضخم عندما يتم الاجتماع للترويج للسجائر، وخاصة بحضور وسائل الإعلام.

لمواجهة السياسيين أو جمعيات الدفاع عن غير المدخنين أو جمعيات محلية أو تابعة للأمم المتحدة المناهضة للتدخين، لمواجهة كل هؤلاء لا تتوارى الشركة إلى



الخلف، بل تواجههم بحزم وثبات، مدعية أنها لا تقوم إلا بتزويد المدخن بما يحتاج إليه من السجائر؛ لأن هذا هو اختياره الشخصي، وفي هذا المجال يعرف جوركا فن التمثيل جيداً.

فهو يعرف كيف، وأين يحصل على الوسائل لتعطيل أو تأجيل أي إجراء تتخذه السلطات المحلية، فيلجأ إلى حيله المعهودة، مثل هذه: يقترح على السلطات أن تطلب من الموزعين وأكشاك بيع السجائر المشاركة في الحملة ضد التدخين، أليست هذه فكرة شيطانية وذكية في الوقت نفسه؟

يلجأ جوركا إلى حيل أدهى من هذه، إذ يقترح على برومورتييم مساندة السلطات المحلية في مكافحتها للتدخين، فرسماً الشركة تساندهم، ولكن خفية تقوم بمناورات خبيثة لإقناعها وإقناع المدخنين بأن هذه الإجراءات عديمة الجدوى، من خلال هذه المناورات يقوم برومورتييم بالتعبير عن رفضه للتدخين في المصاعد مثلاً، لقد وصلته رسائل شكر عديدة على شجاعته وجرأته في التصدي لمن يدخن بالمصاعد، ذهب برومورتييم إلى أبعد من ذلك فطلب اتخاذ إجراء ومعاقبة كل من يخالف هذا القانون، ولكنه يضع شرطاً تعجيزياً. من يريد أن يدخن في المصعد، فيأمكنه فعل ذلك بحضور شرطي في المصعد، وجوركا بدوره يشتغل في الخفاء، فهو يقوم بتعطيل أي إجراء سلبي، ولو تم تنفيذ أي إجراء دون علمه، فإنه سيبدل مجهوداً كبيراً للحد من مفعوله، فمثلاً بخصوص التوجيهات الصحية لقد أصبح جوركا، ومن يساعده خبراء في تعطيل أي قانون يصدر، حتى ولو تمت رشوة من يطبعه بصورة رديئة؛ حتى يستحيل فهمه، حتى الدعاية التي تقول: «التدخين مضر لصحتكم» تصبح: «التدخين يمكنه أن يضر بصحتكم» والفرق شاسع بين هذا وذاك، فبعضهم يبتسم في الخفاء؛ لأن بعض التوجيهات الصحية المهمة يتم كتابتها بحروف صغيرة جداً؛ لتستحيل قراءتها.

في يوم من الأيام، هؤلاء (الفاشيست) المدافعون عن الصحة كما يحلو لجوركا تسميتهم قرروا استبدال القوانين، لقد أرادوا إلغاء نوعيات السجائر، أي الماركة

المميزة لها؛ لتصبح مثلها مثل الدواء، هذا يعوض ذلك. أضيف إلى ذلك كتابة إرشادات صحية مصحوبة بالصور، ويضاف إلى داخل العلبة ورقة تحتوي على إرشادات طبية، لكن جوركا استطاع وضع حد لهذه الإجراءات التعسفية، بالرغم من ذلك اضطرت الشركة إلى إجراء بعض التعديلات، كإلغاء 30% من المساحة المخصصة للكتابة على العلبة والتصغير من الحروف وإجراءات أخرى يمكنها إلحاق ضرر بمصالح الشركة على المدى البعيد.

وسط هذه الأجواء الساخنة بقي الأمل موجوداً؛ لأن أصحاب القرار اكتفوا حالياً بالنداءات الطبية فقط، وهذا طبعاً قد يقلل من فاعلية هذا الإجراء.

فتمسكهم بـ (الإجراءات الطبية الصحيحة) دون التعرّض لسلوك المدخنين وحالتهم النفسية، فهذا طبعاً يعد من صالح برومورتيم. بالرغم من حمق هذه الإجراءات إلا أنها تبقى خطيرة؛ لأنها تحد من عمليات التهريب وتقلل من إقدام المهريين على مواصلة عملياتهم غير القانونية.

لكي يعطل هذا الإجراء طلب جوركا من الجهة المعنية إرفاق صورة حادث مميت لكل مشروب كحولي متسبب، وإرفاق هذه الصورة أيضاً على واجهة كل سيارة وعلى لوحات القيادة، بالإضافة إلى كتابة مسبب للتسوس والسمنة والسكري، على علب الحلوة، وكتابة مسبب لتلوث البيئة على كل محطة بنزين، ومسببة لتسخين الأجواء بتلوث، هذه هي الوسائل التعجيزية التي اقترحتها جوركا لمواجهة أعداء التدخين، وقام جوركا بصنع حاملات علب سجائر بحجم العلب المحظورة، في بعض الأسواق ونشر المقولة الآتية: (الدخان يقي اللحم من التعفن) مستشهداً في ذلك باللحم المدخن.

من بين الأعداء الكبار لجوركا وأمثاله منظمة الصحة الدولية، فقام جوركا بتجنيد جيش من العملاء للتصدي لهذه المنظمة الخطيرة التي تعيق أعمالهم، فهي لا تكتفي بالعناية بمرضى التدخين وضحاياها، بل تريد التحكم في الاستهلاك لهذه المادة القاتلة. لقد قام جوركا برشوة موظفين سامين للتقليل من عمل هذه المنظمة،

وحاول مع آخرين دون جدوى، فاضطر إلى اللجوء إلى أشخاص آخرين لتحريف النتائج التي توصلت إليها بحوث هذه المنظمة وتخفيض الميزانية المخصصة لهذه البحوث.

كان جوركا يتصدى برفقة بواذر وأنتوكس لأي معلومات تصدر ضدهم، فيقوم بتشويشها وإبطال مفعولها، وعند أي مهاجمة للتبغ يقوم بإعداد ملف زاهر لإحياء هذه النبتة السحرية والترويج لها لدى الجمهور، وإثبات صحة أقواله يقوم بعرض نبتة ذات زهرة جميلة لم تستخدم أبداً في صنع السجائر، مدعياً أن هذه النبتة الجميلة هي المادة الأولية في صنع السجائر، نبتة جميلة مثل هذه لا يمكن أن تكون سيئة كما يحلو له القول، ويسترسل في كلامه، إذ يقول: إن مثل هذه النبتة يمكنها أن تجعل البشرية قادرة على إنتاج مادة الأتروكين 10، وهي مضاد حيوي ضد الالتهابات، وإذا اضطر جوركا فقد يلجأ إلى الادعاء بأن التدخين يساعد على التخلص من مرض (بركنسون) بالرغم من أنه يعلم أن المدخن يمكنه أن يموت قبل إصابته بمرض (بركنسون).

جوركا يعمل في السر والخفاء؛ لذا فهو حريص على عدم معرفة الجمهور لهذه الحقيقة: إنتاج سجائر أقل ضرراً؛ لأنها قد تزيد من نسبة النيكوتين بـ 50% وتقلل من مادة القطران، فهناك من المعلومات التي لا يريد معرفتها إلا هو وأصدقائه، خاصة تلك التي تتعلق بمادة النيكوتين.

عند مواجهة أي عميل من عملائه من أعداء التدخين أو الصحافة يلجأ جوركا إلى مقارنة التدخين بالكحول؛ فالسجائر التي تتسم بالطيبة عكس المشروبات الكحولية الشريرة، وهي لا تؤثر في الأعصاب ولا تغير الشخصية، وليس لها أي علاقة بالفشل في العمل والفشل الشخصي، هذا كذب وافتراء.

وكثير ممن يحضرون محاضراته يصدقون أكاذيبه ويخرجون من محاضراته، مطمئنين ويتمادون في تدخينهم والسعادة فتمرهم.

إنه يحلو لجوركا الظهور أمام الرأي العام بمظهر المضطهد المظلوم، إذ يقول في ذلك: كل المدخنين يعرفون أن التدخين مضر، لكنهم يدخنون بمحض إرادتهم، فهم لا يطالبون لا هم ولا وريثتهم الشركة بتعويضهم عن مضرات التدخين لهم، إن كانت هناك مضرة، وليزيد جوركا قوة رأيه يقوم بإجراء استطلاعات للرأي العام والمعنيين بالأمر في المحاكم، وتنتهي هذه الاستطلاعات بالنتيجة الآتية حسب قول جوركا: 91% ممن شملهم الاستطلاع عبروا عن استيائهم من الإجراءات المتخذة ضد الشركة المنتجة، والنسبة نفسها تعارض ارتفاع الضريبة على السجائر، كيف لا نصدق هؤلاء المشاركين في الاستطلاع، ألا تدل شهادتهم على أن برومورتييم فاعل خير؟ للعلم، فإن بعض هذه الاستطلاعات تتم عن طريق التعذيب.

في عصر الإنترنت أصبحت هذه الوسيلة من ضمن مناوراتهم بصفة مباشرة للترويج للسجائر أو بصفة غير مباشرة بتدمير مواقع هؤلاء المتربصين بمصالح الشركة والمحاربين لها، آدابارتييس يردد دائماً الغاية من كل هذا هي الدفاع عن مصالح الشركة والدفاع عن الأسواق الجديدة للمحافظة على المليارات التي تنهال على الشركة سنوياً.

قام جوركا بالمشاركة في عمل خلية، أعدت خصيصاً للتفكير في موضوع تغليف العلب والتعديلات المفروضة عليها، فاقترح على العديد من الدول إدخال علب جديدة في الخدمة تحتوي على خمس سجائر فقط، فهي فكرة جيدة للمنافسة على بيع السجائر بالسيجارة الواحدة، كما هو معمول به في العديد من الدول الفقيرة، من حين إلى آخر يحصل على موافقة بعض الدول لتوزيع هذه العلب على أطفال المدارس البالغ عمرهم 9 سنوات. هذا ما يمكن فعله لمساعدة العالم الثالث، وتتفنن الشركة في إضافة مادة غير مرغوبة لدى القوارض بكميات تجعل ضحايا التدخين يتمسكون بها بشراهة، كل طفل يقوم بإشعال هذه السجائر الغنية بالإضافات يتم منحه جائزة؛ تعبيراً عن حسن الاختيار، ولجذب الأصغر منهم وتحفيزهم تقوم الشركة بتزويدهم بولاعات وسجائر مماثلة مصنوعة من الشوكولاتة في علب شبيهة بعلبة السجائر الحقيقية.

هذا يذكّر (أنت) بأيام زمان، عندما بدأ يدخن أول سيجارة، فلا حاجة له اليوم لهذه الإغراءات للإقدام على التدخين، ويتباهى جوركا بالقول: إن 5% من المدخنين تم جلبهم عن طريق الشوكولاتة، بالرغم من أنه تم التحفظ على العديد من الشاحنات المحملة بهذه الشوكولاتة، غير أنها لا تكلف الشركة أموالاً طائلة.

لقد حصل جوركا على الموافقة بتصنيع علب تحتوي على ١٠ سجائر تسمى علبه الأطفال. فما هي هذه العلبه إلا فخ لهؤلاء الذين يحاولون التقليل من السجائر للتخلص منها تدريجياً، ولكنهم سرعان ما يعودون إلى هذه العلبه الصغيرة الجذابة، فهذه لعبه قذرة من ألعيب الشركة توحى بأن الشركة تلجأ إلى تصنيع علب صغيرة؛ لأنها تريد أن تتوقف تدريجياً عن إنتاج هذه المادة السامة، أما زيادة محتوى العلبه التقليدية من 20 إلى 25 سيجارة، فلم يغير شيئاً؛ لأن المدخنين استمروا في شرائها مما يوحي بأن مبيعات برومورتيتم قد تزيد بـ25% بالإضافة إلى المدخنين المحتملين الجدد، بعد هذه اللعبه القذرة والمفيدة سوف تلجأ الشركة إلى ابتكار علبه الثلاثين سيجارة التي يمكن إدراجها في السوق، إلا إذا جاءت ضرائب جديدة؛ لتعطل من مسيرتها، لحسن حظ الشركة، فالمهريون موجودون ومستعدون لبيع أي شيء، وبشكل أفضل.

كان جوركا يملك جبلاً من الأسهم في الشركة، وكان يعرف أنه مهما كانت الأسعار ومهما بلغت المبيعات فالشركة تستفيد وهو يستفيد، أما برومورتيتم وشركاؤه فلا يكتربون لتضارب الأسعار والمنافسة في السوق نفسه، فالنوعيات المعروفة الشهيرة هي التي تخرج فائزة من المعركة وتضمن مبيعات المستقبل.

بما أن جوركا ينحدر من أصول شرقية، فقد كان يحسن مخاطبة غيره بلهجة المتدين، وخاصة رجال الدين الذين يعاشرهم منذ زمن طويل، لقد قام بمخاطبة أحد المفتين الذي تجرأ على إصدار فتوى تحرم السجائر، فكان يجادله بالقرآن بالآية التي يستدل منها على أنه ينبغي على كل مسلم أن يلتزم بما جاء في الشريعة السمحاء وتجنب كل ما يمكن أن يضره أو يضر بصحته وبماله وأهله ومجتمعه،

وبهذه الكلمات الربانية واللغة المعسولة استطاع جوركا إقناع المفتي بأن التدخين غير ضار، وبالتالي فهو غير محرم.

تلك هي عبقرية جوركا التي تمكنه من تركيب أي عدو مهما كانت قدرته الاستفزازية، ففي سنة 1990م مثلاً قامت تايلندا باتخاذ إجراءات مضحكة ضد التدخين، والإجراء الأكبر ضد برومورتيوم لمنعه من ترويج إنتاجه في السوق التايلندية، معتمدة في ذلك على احتكار الدولة لهذا الميدان بالذات، فكان رد برومورتيوم قاطعاً، سوف ندخل. وهنا كان دور مافيا التهريب حاسماً، فازدهرت المبيعات أكثر من ذي قبل، بالرغم من أن السوق بقيت موصودة في وجه الشركة، لكن برومورتيوم لجأ إلى قوانين التجارة الدولية، بالإضافة إلى ضغوط سياسية على أعلى مستوى، فاضطرت تايلندا إلى فتح سوقها من جديد لمنتج برومورتيوم.

لقد قام جوركا بعمل جبار لرفع الضرائب على الاستيراد من تايلندا؛ لذا سارعت تايلندا بفتح أبوابها من جديد وفتحت أمريكا سوقها أمام المنتجات التايلندية بشروط منها: ممنوع الدعاية لمنتجاتها، وتبقى الضرائب مرتفعة، ومراقبة التوزيع، ويمنع استخدام الموزع الآلي لترويج منتجاتها.. وإدراج كل مواد إضافية لمنتجاتها في قائمة مفصلة، فاضطر التايلنديون إلى إنتاج سجائر تتضمن 16 مادة إضافية فقط، بينما إضافات برومورتيوم بلغت 600، نتج عن هذا معركة ساخنة، فالسفارات ورجال السياسة أصبحوا يخشون التعامل مع شركات السجائر، فاعترفت منظمة التجارة الدولية رسمياً بأهمية صحة الإنسان قبل التجارة، وإنها لظاهرة فريدة من نوعها. فبعد هذه الحادثة أصبحت تايلندا من الدول التي يقتدى بها في محاربة التدخين.

دخلت شركات الصيدلة في المعركة وهددت برومورتيوم لنزعهم شركات العالم وتهديد مصالحها، لكنها سرعان ما انتبهت إلى أن ازدهار شركات التبغ من شأنه رفع مبيعات الأدوية، فاقترح الصيادلة أن يُستبدل بالنيكوتين المعتاد نيكوتين اصطناعي تنتجه الصيدلية للتخفيف من أضرار السجائر، لكن أدباتريس لم يعجبه

هذا الاقتراح؛ لأنه سوف يشجع الكثير على التخلص من النيكوتين الذي يقوم بإنتاجه ويتجهون إلى النيكوتين الاصطناعي. اكتشف جوركا أن أحد المصنعين الكيميائيين المتخصصين في إنتاج بعض المواد القذرة، بدأ يفكر في إنتاج مادة النيكوتين الجديدة، واكتشف أيضاً أن شخصاً آخر ينتج مواد إضافية تدخل في تصنيع السجائر، في أول اجتماع للشركة تقرر عدم التعامل مع مصنعي هذه الإضافات المشكوك فيها والاكتفاء بما هو معمول به.

أما برومورتييم، فقد احتفظ بالكيميائيين حتى تتضح الأمور التجارية ثم تخلى عنهم، فتمرد أحدهم عليه وطلب من موظفيه الترويج للنيكوتين الجديد، فهذا طبعاً سيسيء إلى برومورتييم ويسبب له أضراراً بالشركة، خاصة بعد ما أثبتت إحدى الدراسات أن كل مدخن ينفق 60.000 دولار مدة حياته على صحته، وهذا الرقم يعادل تقريباً ما ينفقه على التدخين في أثناء المدة نفسها، وعلم جوركا أن هذا الكيميائي المتمرد يقوم بتمويل مجموعات محاربة التدخين، فطلب منه التوقف عن هذا التمويل مقابل شراء منتجه من النيكوتين من جديد، ثم أنهى أدباتريس الصفقة، قائلاً: الفاسق يجد دائماً لغة للتفاهم مع فاسق أشطر منه.

كانت آخر مهمة هي مهمة جوركا ألا وهي تنسيق الأعمال الخاصة للمجموعة ومراقبتها، ومن بين هذه الأعمال التخلص من بعض الأشخاص، والمزعجين منهم بصفة خاصة.



# الفصل 18

في يوم الإثنين سنة 1999م بدأ (أنت) العمل في شركة (شيم آر)، من البداية قيل لهم: إن خمسة فقط من بين الستة الذين سيشاركون في الدورة سيتم توظيفهم نهائياً، والدورة ستدوم ستة أشهر نظرية وعملية مرفوقة بزيارات للزيائن مع بائعين محنكين، أسبوع للدراسة وأسبوع لزيارة الزيائن، أكبر هؤلاء المتدربين عمره 26 سنة، من بينهم ثلاثة مدخنين، تم تخصيص ركن خاص بهم وأوقات محددة للتدخين.

شركة (شيم آر) شركة لا تنظر إلا إلى النتائج، وتولي اهتماماً خاصاً بالبحث العلمي والتنمية والموارد البشرية، وقام ثلاثة مدراء بتقديم الشركة وتعريفها إلى هؤلاء المتدربين مع إجراء توضيح جدول دورتهم.

كان تحمس أحد المتكلمين له إيقاع خاص في آذان المستمعين، فاقتنعوا كلهم أن من يعمل في هذه الشركة فهو من المحظوظين، والأهم من هذا أن من يعمل في قسم المواد المضافة للسجائر، فهو محظوظ أكثر؛ لأنه يفتح المجال للتصدير، فكل من يتوظف في الشركة يأمل في أن يصبح يوماً ما مترعباً على رأس هذا الهرم العظيم. الكيميائي المسؤول عن البحث العلمي والتنمية كان غير متحمس لما يسمع.. لكن ما قاله كان دقيقاً واضحاً وعملياً. وجد (أنت) أصدقاء قدامى، تفاجأ بوجود الكثير من المواد العادية والمواد الطبيعية من بين المواد التي تروج لها الشركة (هل تتناسق المواد الكيميائية مع المواد الطبيعية؟ هذا ما قاله (أنت بداخله) كانت الأصناف تشتمل



على 1400 مادة، يجب على كل متدرب معرفتها معرفة جيدة ومعرفة كيفية استعمالها من قبل الزبائن، كما يجب معرفة الغاية من استعمالها.

أما المحاضر الأخير، فهو مدير المبيعات، فهو من البائعين القدامى المحنكين؛ لأنه يستطيع بيع حماله إلى فيل حسب تعبيره، عمره 34 عاماً.

وقد بلغ هذا المحاضر القمة في هذا السن، فهو يجب نقل حماسه وخبرته إلى الشباب؛ فبرنامجهم يخصّ بصفة خاصة تقنيات البيع وكيفية التأثير في الزبائن وكيفية تقديم الدليل اللازم لإقناع الزبائن، بالإضافة إلى اختيار الألفاظ والحركات اللازمة المستخدمة في الشركات الكبرى، فالوضع هنا يختلف عن الجامعة، فيه الجدية والعمل والتطبيق أكثر من اللازم، كان (أنت) في منتهى السعادة؛ لأنه سوف يعمل مع عباقرة مثل هؤلاء.

قضى المتدربون الأسبوع الأول مع المسؤول على المواد الكيميائية، فعرفهم بالنباتات التي تدخل في صناعة السّجائر، تشمل هذه المواد اليانسون والحبق والبرغموث والكمون والجزر واليقطين وجوز الهند والقمح والشمار والياسمين وحشيشة الزوفى والخزامي والليمون، والليمون الأخضر، والكاشم، واليوسف أفندي، وجوز الطيب والسنديان، والبرتقال والمر والسوسن وسعف النخيل، والقصعين والنعناع الأخضر، والنعناع الفلفلي، والفلفل الأسود، والصنوبر، وخشب الزهور، والزعتر، وحشيشة القط، والনারدين الطبي، بالإضافة إلى أعشاب أخرى كثيرة.

يجب أن يعرف (أنت) خصائص كل نبتة ومصدرها والأجزاء التي يتم استخدامها ولماذا وكيف يتم جنيها وما هي الزيوت المستخلصة منها، والصبغة المستخرجة منها، بالإضافة إلى المواد المشتقة منها... إلخ.

عدد هذه النباتات كبير جداً، لكن فيه متعة ثقافية كبيرة، لكل واحدة من هذه النباتات استعمالها الخاصة والمعروفة، بعض الزبائن لا يريدون إفشاء سر استخدامها، صناعة السّجائر بسويسرا مثلاً سمحت بإضافة هذه النباتات حتى 25% من وزن السيجارة الواحدة.

أما الأسبوع الثاني، فتم تخصيصه لمرافقة المدرب في أثناء العمل. فكانت المتعة أكثر؛ فالمدرب يبلغ من العمر 27 سنة، فهو يحلم أن يصبح مدير المبيعات، له طموح بلا حدود، والغريب أنه لا يدخن. البرنامج كان زيارة للمصانع الصيدلانية، والمصانع الغذائية ومصنع سجائر، كان (أنت) يتابع كل ما يقال عن المصطلحات الفنية باهتمام زائد، بالإضافة إلى الجانب التجاري والإنساني، كان (أنت) يتابع ذلك بسعادة غامرة؛ لأن هذا هو العمل الذي يرغبه، فهو كالبديلة التي تم تفصيلها خصيصاً له.

في آخر شهر يناير قضى أياماً عديدة في التعرف على مواد الإستلبريدين والأمونيا والبنزلدهيد، والبنزيل، والبوليتيل، والسيناميل وأربعين من مادة الإثيل ومادة الإبزواميل و56 من مادة الميثيل المختلفة، تشبع (أنت) من هذه المواد وهضمها هضمًا جيداً.

وفيما بعد قام المدرب بتعريفهم على مواد أخرى تدخل في تركيبه السجائر، مثل: الأمونيا، وعصير التفاح، والمشمش، والبن، والكافيين وكربون الكالسيوم، والهندباء، والشوكولاتة، والكاكاو، والكونياك، والعسل وزيت النعناع، والروم، والوسكي، والسكر والشاي، والبرقوق، وحمض البول، والخميرة والخل... إلخ.

لكل هذه المواد البسيطة والمعروفة أضرار خفية، من يعرف مفعولها الخفي يمكنه إقناع المدخنين بالإقلاع عن التدخين، كما يمكنه إقناع شركات التدخين بالتخلص منها.

تعرف (أنت) على هذه المواد عن قرب؛ لأن صناعات السجائر من أكبر مستخدمي هذه المواد، ولتحلية كل هذا الخليط من المواد تقوم شركات السجائر بشراء كميات كبيرة من السكر والعسل والسوس والنعناع.

المعادلة المعروفة لدى المصنعين: معادلة السجائر = الحلاوة أصبحت سهلة المنال بإضافة الكاكاو، والشوكولاتة للمواد الحلوة السائلة الذكر، والغرض منها تسهيل بلع الدخان في العمق والتعود السريع على ذلك، مادة الكاكاو ومادة السوس هي أيضاً

من المواد المضرة؛ لأن مادة السوس عندما تحترق تزيد من المادة المسرطنة، ولكي يزداد تأثير النيكوتين تضاف مادة الخميرة لتسريع التفاعل.

في 31 مايو 1999م بمناسبة عيد ميلاد (أنت) قررت فلورانس أن تكون هذه المناسبة مناسبة اتخاذ القرار: قرار التوقف عن التدخين، فقال (أنت):

- أنت يمكنك اتخاذ القرار، لكن أنا لا

لازال غير مقتنع بالرسالة.

في آخر يونيو تعرف على 600 مادة مضافة للسجائر وتأكد من ذلك، وفيما بعد سوف تصبح 800، كل هذه المواد السامة القاتلة سوف تسهم في ضمان مستقبله الزاهر. لقد أكد له ذلك مدير لمبيعات بالشركة، بعد أداء مقابلة معه أثبت له فيها أنه يمتلك كل المقومات التي تجعل منه أفضل بائع في الشركة، وفي أول يوليو 1999م بدأ (السياسة) في هذا المستنقع الكبير، مستخدماً سيارة الشركة، كان عمله يقتصر على مراجعة الزبائن الحاليين دون البحث عن آخرين، فكان يكرس كل اهتمامه على هؤلاء.

بعد أربعة أيام استلم (أنت) من جديد ظرفاً حقيقياً، مع أنه يرفض مثل هذا التعامل السخيف، فقد قام بفتحه دون تردد وقرأ:

(لقد تم الحكم عليك بالموت)

يتبع

الجديد في هذه الرسالة كان غير سار، ففي الظرف الأول الذي استلمه من سنة تتبأ هو نفسه أنه سوف يموت من الضحك. لقد انزعج كثيراً من مضمون الظرف الأخير وتملكه القلق، قام (أنت) بعرض الظرف على والديه، طالبتهم الأم بمقابلة المفتش شامل وبأسرع ما يمكن، أما الأب فطلب التروي وتقصي الحقيقة، حقيقة هذه الرسالة قبل التصرف، تقصي الحقيقة إذا كانت هناك حقيقة أصلاً، ربما يكون الفاعل مجنوناً أو مهوساً أو مازحاً.

- لقد حكم بالإعدام على (أنت) لا طبعاً كلنا محكوم علينا بالإعدام المؤقت، وبعد فما الأمر في ذلك؟ هذا ما قاله الأب، وقرّر الجميع عدم فعل أي شيء وعدم إزعاج فلورانس بهذه اللعبة الحقيرة.

بما أنه تم توظيفه حديثاً ليس لـ (أنت) الحق في التمتع بالإجازة حالياً، بعكس فلورانس التي تتمتع بحرية تامة، خلال شهرين، اجتمع الحبيبان واتفقا على إعلان زواجهما في 17 يوليو سنة 2000م، فلورانس تبلغ من العمر 24 سنة أما هو، فعمره 21 سنة، بدايتهما قد تبدو ناجحة، فهي توظفت في التعليم، وهو توظف في شركة مرموقة، كانت فلورانس في منتهى السعادة مما جعلها تتفاوضى عن مطالبته بالعدول على التدخين في الوقت الراهن، يبدو أنها تعودت على هذه الظاهرة، سوف يكف عن ذلك في يوم من الأيام مثل والده ويتحرر من هذه الأغلال، لقد قالت في داخلها: إنه من السهل الانفصال عن الزوج أكثر من انفصاله هو عن السّجائر، هذه هي الحقيقة المرة.

في آخر شهر يوليو قامت فلورانس بتوضيح خطة زواجهما، زواجهما المستقبلي، يبدو أنها درست كل شيء بالتفصيل، قَبْل (أنت) كل اقتراحاتها دون تردد. يبدو أن زواجهما سوف يكون زواجاً يتسم بالإبداع، خطيبته تريد حفلاً كبيراً يكون لهما فيه الدور الأول في هذه التمثيلية الرائعة والفريدة من نوعها.

يجب الاعتناء باختيار الضيوف وملابسهم وكيفية استقبالهم؛ لكي يكون هذا السيناريو جميلاً ومتقناً، ولكي يتم عبور هذه المرحلة، فلا بد لهما أن يعبرا لهؤلاء الضيوف عن سعادتهما الغامرة، فرغبة كل واحد هي تسجيل هذا الحدث في ذاكرة التاريخ إلى الأبد.

أما بخصوص ملابس الفرح، فتحتفظ فلورانس بالمفاجأة السارة، أما (أنت) فلبدلة (سموكنج) الكلاسيكية هي الأنسب بالرغم من أنها تشبّهه بالطريق.

في أواخر شهر أغسطس اتفقت العائلتان على هذا المخطط، تبقى شيء واحد: أين سيسكن العروسان؟ لأن المسافة التي تفصل عملهما لا تقل عن 120 كلم، في مثل

هذه الحالة جمع الشمل هو الأنسب، هذا رأي فلورانس؛ لذا بدأ (أنت) بالتفكير جيداً في هذا الموضوع.

يبدو أن (أنت) بدأ يثق في نفسه شيئاً فشيئاً بمرور الوقت، إنه سعيد؛ لأنه حصل بالموافقة على تزويد إحدى شركات التبغ بثلاث مواد إضافية من الشركة التي يعمل بها، المواد هي مادة الكاكاو ومادة السوس والسكر، هذه المواد الصعبة في الاستعمال في تصنيع السجائر لما تتطلب من تقنيات عالية سوف تعزز من قبوله في الشركة، لقد أحس أنه مقبول من طرف الزبائن، همه الوحيد الآن هو معرفة كيفية استخدام هذه المواد في تصنيع السجائر، لكنه يعلم أن السيجارة تحتوي على 25٪ من وزنها من الإضافات.

مبيعاته الأخيرة لا تساوي إلا 3٪ من وزن السجائر.. يمكنه الاستفادة من ذلك للبيع من جديد... فما عليه إلا محاولة بيع مواد أخرى مثل المواد المرطبة ومواد مبيضة للرماد ومواد معجلة للاحتراق ومواد حافظة لاصقة وغيرها من المواد التي تدخل في مجال تصنيع السجائر. قد تصل هذه المواد إلى 1400 مادة.

منذ أن بدأ يعمل بمفرده أصبح يعتقد أكثر فأكثر بضرورة وجود السجائر، فهي الصديقة التي تسليه وتلهيه في أثناء انتظاره لذلك الزبون المتأخر أو ذاك الزبون المحتمل، فهو يكتفي بسيجارة واحدة يتحكم فيها كما يشاء دون أن يتدمر أو يقلق، فهي آمنة سره المفضلة التي يلجأ إليها عندما يرتفع ضغطه؛ لتهدئ عليه وتنقذه.

فهي أليفة ومطبعة فلا تتمرد عليك أبداً، فهي لا تغادر أبداً ليلاً ونهاراً، كان (أنت) عندما يواجه مدخناً مثله يتفنن في التدخين على طريقة (كلينت إستوود)، هذا ما قاله له أحد الزملاء يوماً من الأيام، وهو غير موافق على ذلك؛ لأنه لا يحسن التمثيل مثل إستوود.

لقد حرصه صاحب الشركة على متابعة التدخين، فقبل ذلك دون تردد، كان ذلك سهلاً، وما شجعه أكثر هو الشركة الصانعة التي تزوده مجاناً بكميات هائلة من

السجائر، فهو يدخن ويستهلك مجاناً مواد سكرية من إنتاج شركته مثل السكر والكاكاو والسّوس، كل هذه المواد تشجعه وتوحي إليه أن السجائر غير مضرّة، فهو يرى في السيجارة مصاصة من الحلوى محسّنة.

خلال السنة تأقلم (أنت) على اليورو؛ فالعملة الأمريكية بلغت ذروتها من الوقاحة، فأصبح التطلع إلى أوروبا من الضروريات؛ لذا فعالباً ما يستمع إلى الراديو وهو بالسيارة للاطلاع أكثر فأكثر، فأصبح يتساءل مثلاً لماذا يقال: إن قبلة ذكية ضريت بغداد وتوصف القبلة نفسها بالفبية والمجرمة عندما تضرب غروزي؟ في هذه الأثناء تنشر الهند خبر بلوغها المليار نسمة دون ضجة تذكر، بينما الإسلام أصبح الطرف المتهم بإشعال الفتنة في العالم. شهدت سنة 1999م رحيل الملك المتزن حسين وملك المغرب الحسن الثاني، تأثر (أنت) برحيل هيلموت كول؛ لأنه كان يعدّه من أعظم رجال القرن العشرين، فبدونه ربما كان من المستحيل أن يسقط جدار برلين.

بخصوص عيد ذكرى المسيح السنوي جاءت حمامتان بريتان؛ لتخبرنا أمام الوالدين أن فلورانس سيتم نقلها؛ لتعمل على بعد 16 كلم من المصنع الذي يعمل به زوجها؛ لذا اتفقوا على البحث عن سكن بداية من أول يونيو، ورسوم القروض في هذه المدة ضعيفة جداً، وهذا سوف يكون حافزاً للزوجين؛ لكي يفتتيا قرضاً يسدان به حاجتهما، وقد تم بالفعل منحهما قرضاً بشروط سهلة ومناسبة. قضى الزوجان عطلة آخر سنة 2000م في أرقى المطاعم مع مجموعة من الأصدقاء.

- قالت إحدى الحاضرات بشيء من الخيث: ألا أزعجكم إذا امتعت عن التدخين؟

- وقال آخر: أما أنا، فقد قررت أن أتوقف عن التدخين.

- أجابه: (أنت) أنت لا تدخن أصلاً.

- لهذا قررت ألا أدخن أبداً، وأنا متأكد من النجاح!.

فهم أنت أنه يجب عليه التقليل من التدخين خلال تلك السهرة، غضب وهو يشعل سيجارة، حتى إنه أشعلها من جهة الفلتر مما تسبب في احتراقه، لا تعليق

لفلوراسن على ذلك، أما أصدقائه فقد عبّروا له وبكل خبث عن انزعاجهم من التدخين وعن عدم رضاهم عن تلويثهم بدخانها.

حلت السنة الجديدة وحل معها قرن جديد وألفية جديدة على أحسن ما يرام: سنة الحب والزواج والعمل والصحة، في الأشهر الأخيرة من السنة كان الحصول على سكن ليس من الأمور السهلة، وبحلول السنة الجديدة تيسرت الأمور وأصبح السكن متوافراً للجميع.

من حظ (أنت) أن مصنع السجائر يوفر له السجائر، علباً تحتوي على 25 سيجارة.. تفاعاً (أنت) أنه أصبح يدخن 50 سيجارة بعد أن كان يدخن 40، فأدرك أن هذا الرقم غير معقول وأن السجائر بدأت تأخذ من وقته أكثر مما يكرسه لزوجته، لكنه كان يعتقد من جهة أخرى أن هذا ضروري.. كيف يمكن له أخذ مواعيد مع الزبائن دون زيارته المفضلة للمكان الذي خصص للتدخين بالشركة؟ كيف كان بإمكانه قهر الزمن وهو يقطع الطرقات للوصول إلى الزبائن؟ كيف كان بإمكانه الصبر في أثناء جلسات الانتظار لمقابلة الزبائن؟ وكيف كان بإمكانه التركيز لإعداد تقاريره لولا السجائر؟ كيف يمكن التعبير عن سعادته وفرحته بدونها؟ وكيف كان بإمكانه الصمود أمام الإخفاقات دونها أيضاً؟ فهي ضرورية وحاضرة عند الاستيقاظ من النوم وبعد الأكل بصفة خاصة، فهي لا تكل ولا تمل طوال النهار، كيف يتصرف غير المدخن في هذه الحالات، فهذا لا يهمه، فهو يعي تماماً أن السجائر تسيطر عليه وله إحساس مزدوج: رضا وعدم الرضا في الوقت نفسه.

كان بإمكان (أنت) إيقاف التدخين لو سمع نصيحة والده، فالمسألة ليست مسألة تكلفة؛ لأن الشركة الصانعة توفر له ما يحتاجه من هذه المادة السامة، على سبيل التسلية قام (أنت) بعملية حسابية استنتج من خلالها ما استهلكه والده خلال مدة تدخينه، فبلغت التكاليف 70.000 دولار، وهذا نصف المبلغ الذي اقترضه قبل أيام من البنك، استنتج أيضاً أنه لو استمر في التدخين مثل والده لبلغ 27 كلم من السجائر، صدم من هذه النتائج، وبالرغم من ذلك ضحك من هذه النتيجة المرعبة،

كان كل همه ألا تقوم فلورانس بالحسابات نفسها وتكتشف أمره، في اليوم الآتي استيقظ مضطرباً لقد كان يحلم، ولم يفهم من هذا الكابوس إلا أنه توقف عن التدخين، جاء هذا الكابوس لينضم إلى فلورانس في حملتها ضد التدخين، زيادة على ذلك فالكل لا يتكلم اليوم إلا عن خطورة التدخين ومضراته، كان يجد في كل هذا إزعاجاً وعدم راحة، فمن قال له يوماً ما إن التدخين علاج بواسطة الأعشاب؟ بالرغم من هذا كان كل همه أن يبيع كميات كبيرة من الخمسين عشبة المصنعة في شركته والتي تباع إلى شركات التبغ، يتساءل أحياناً حول خطورة السيجارة، فيقول في داخله: لو كانت السجائر فعلاً خطيرة لمنعتها الدولة من السوق. كل مدخن يقابله يوحى إليه ويؤكد له أن التدخين عملية ممتعة، لو لم يكن ذلك صحيحاً لما تمسك به، في أثناء ذلك كان يفكر في تلك الرسائل الحقيرة. كل شيء في وقته كما يقول المثل، فالיום سوف يدخن وغداً سنرى، فهو لا ينقطع عن التدخين إلا في المساء عند عودته إلى البيت. فكل شيء يوحى من خلال تصرفه هذا أنه على صواب ويوحى في الوقت نفسه أنه يجهل أو يتجاهل الحياة الواقعية كما يتجاهل أخطاءه وعدم رؤية خطورة الوضع الذي يعيشه.

لقد قامت فلورانس قبل الزواج بتأنيبه من جديد، قائلة له: انظر إلى السيجارة، وكأنها مسدس مسلط عليك، وبه ثلاث طلاقات، هناك فرصة نجاة واحدة من بين الثلاثة، انزعج كثيراً من كلامها وهي تقول له: أنا لا أرغب ولا أريد خسارتك، ماذا تريد أن تثبت من خلال التدخين؟ كان لكل ذلك وقع الجبل عليه؛ فقد كاد يقع في غيبوبة.. لمدة ساعة كاملة.

بمناسبة عيد ميلاده الواحد والعشرين كان من الأفضل له اكتشاف ما يأتي خلال اليوم العالمي دون تدخين: (الدخان قاتل، فلا تخادع نفسك).

- قال وهو يبرم سيجارة: كل العالم أصبح يعي ذلك، وتابع: (أتظنون أنكمم بتخويفكم لي سوف تشوني عن التدخين؟).



كان منزعجاً للغاية وانزعاجه هذا مرتبط بما حققه من نتائج إيجابية لدى شركة تصنيع السّجائر، لقد استطاع بيع كمية كبيرة من مادة الجليسرين وحمض الأستون ومادة الإثيلين (3 و5 و6) ومادة الميتوكسيبيرازين، من خلال هذه الصفقة حقق ما يكفي لتغطية ما هو مطلوب منه سنوياً.

قام الخطيبان بالإعداد الجيد لرفاههما المنتظر بتاريخ 17 يونيو سنة 2000م الساعة التاسعة والنصف للزواج المدني، والساعة العاشرة وأربعون دقيقة للزواج الشرعي بالكنيسة، تم الزواج وتم فعلياً، كانت سعادتهما لا توصف، كان الزوج ينتظر هذه الإجراءات بفارغ الصبر؛ لكي يعود إلى معشوقته الثانية السيجارة.



# 19 الفصل

كان أدباتريس يجلس في الصالون في الدور الثاني من اليخت، فهو يحلم في إحدى محاضراته مع المستثمرين حيث وضّح لهم في أثناء هذه المحاضرة بعض الأحداث بالإضافة إلى بعض النتائج المهمة؛ ليخفف من مطالبهم المتزايدة ويطلعهم على الطريق الذي تسلكه الشركة، فكأنه يذكرهم أن برومورتيم ليس المنتج الأكبر في العالم، فالصين هي المنتج الأكبر في العالم حيث تنتج ضعف ما ينتجه برومورتيم، إذ الإنتاج العالمي يقدر بـ 560 مليار سيجارة سنوياً مما يعادل أقل من 3 سجائر يومياً لكل ساكن، تعد هذه الكمية قليلة، لكنها تدر دخلاً هائلاً بشروط كتم أفواه أولئك المتربصين بشركات تصنيع السجائر.

في التسعينيات تم التخلص من الشركات المحكرة للسوق الداخلية، بذل أدباتريس مجهوداً كبيراً للسيطرة على السوق الغربية. من قبل كان الناس يقولون في تشيكستان: أعطني سيجارة، أما اليوم فأصبحوا يقولون: أعطني أمريكية، فبرومورتيم استطاع غزو أوروبا الشرقية وإفريقيا والشرق الأدنى.

كان العالم كله يجري وراء العولمة، لكن برومورتيم سبقهم واستغل ذلك جيداً، لقد وعد بإدخال تعديلات حديثة على مصانعه والمحافظة على الحد الأعلى من العمال والموظفين، مقابل ذلك حصل على مزايا مهمة، كزيادة الاستثمارات وتخفيف الضرائب، بدأ برومورتيم في رأي الكثير أنه الرجل المنقذ ودون رشوة أحياناً، وفي بوعده وطوّر

المصانع خاصة تلك التي تقوم بتصنيع نوعية (PM) التي تتميز عن النوعيات الأخرى في العالم، بعد بلوغ الهدف والهيمنة على السوق يقوم بإغلاق المصانع لإعادة فتحها في دول أخرى متضمة أكثر فأكثر، وبهذه السياسة قضى برومورثيم على الكثير من المنتجين المحليين في الدول الشيوعية ما عدا روسيا التي حافظت على 90% من سوقها، محققة أرباحاً تفوق الميزانية المخصصة لمكافحة التدخين.

تتميز سوق السجائر بوجود القليل من المسؤولين الكبار، أدباتريس لا يثق إلا في أقرب أصدقائه الذين ينتمون إلى فئة كبار المافيا مثله، منذ سنة 1953م تم إنشاء نادٍ هو عبارة عن محمية أو عبارة أخرى نقابة تتولى الدفاع عن مليار ومئة مليون مدخن من هؤلاء الأشرار الذين يريدون سلب حقهم في التدخين، وتم تطوير هذا النادي سنة 1997م ليصبح أكثر قوة، وليصبح المنبر الذي من خلاله يتكلم صاحب المصلحة وبلغة واثقة، فهو يعتبر كما ردد في عدة مناسبات من قبل أن التدخين اختيار شخصي لا دخل للآخرين فيه، وما دور الشركة إلا تلبية طلب هؤلاء المدخنين، تلك هي روايتهم المعهودة.

السلطات المعنية بصحة المواطن تقوم من حين إلى آخر بمضايقة هذه الشركات المجردة من الأخلاق، فيقوم بوادر وأنتوكس وجوركا بالدفاع عن مصالح شركتهم، وذلك بإجراء المناظرات ونفي أي علاقة للتبغ بمرض المدخنين، فهم يقومون من خلال ذلك بدس الثعلب في حظيرة الدجاج كما يقولون، لقد قرر النادي إصدار قانون خاص بحسن السيرة وحسن السلوك، قانون يمنع اتهام السجائر بأنها سامة، كما يمنع وصف النيكوتين بالمادة المخدرة، فالقانون يعتبر ذلك بدعة، إذ ضحايا التدخين هم من الشباب والحريم والجاليات الأقلية، وشركات التبغ تقوم بتقوية ثلاثة ميادين لغزو هؤلاء الضحايا، وهي: التسويق، والدعاية، والوسائل القانونية.

أما بالنسبة لموقفها تجاه الحكومات، فهي تركز سياستها الخاصة على الضرائب، وتشجيع المهريين والاحتفاظ بالدول التي تعفيهم من الضرائب، وتتمى عمليات تبييض الأموال التي هي إحدى تخصصاتهم الخادعة.

ومن بين مهامهم تمويل حملات اللوبي الذي يسهر على الدفاع عنهم، هذه الواجهة المحترمة تساعدهم في التصدي لمن يعترض سبيلهم، باعتبارهم أناساً أشرافاً ينتجون مواد غير مضرّة تخضع للقانون ولا يتجرأ أحد حالياً على المساس بمصالحهم، ومن ضمن المهام الأخرى لهذا النادي تطوير تجارة السجائر عبر الإنترنت وتعطيل أي زيادة في الضرائب، بالإضافة إلى عمليات التشويش ضد أعداء الشركة.

صناعة التبغ لها أعداؤها، وهم مدخنون قدامى يتمتعون بصحة جيدة وآخرون على وشك الموت، وأطباء وجمعيات من كل الأشكال بما فيها المؤسسات الحكومية، وتلك التابعة للأمم المتحدة.

يتم التعامل معها كلها بحذر، آخر مهمة من مهمات النادي الاهتمام بوسائل الإعلام التي يجب التعامل معها بكل الطرق لكسب ودها، حتى لو تم استخدام بعض الوسائل المخادعة لم لا؟

في سنة 1973م كان أدباتريس قد رفض إعطاء أي معلومات حول المواد المضافة في تصنيع السجائر، بالإضافة إلى معلومات حول مبيعات الشركة.

لكن زملاءه بحثوا ووجدوا الإجابة لإقناع مستجوبيه. زميل آخر رفض إعطاء أي معلومات حول المادة التي تسمح للمدخن بامتصاص مادة النيكوتين بسرعة، يشمل النادي سبعة أقسام كلها مجندة للدفاع عن مصالح الشركة والتصدي إلى أعدائها بتوحيد جهود الأقسام السبعة، ويشمل دفاعهم المحافظة على الأسعار والسلطة المستهدفة من قبل الأعداء. وهذه المهمة ليست سهلة أمام تحديات منظمة الصحة الدولية التي تتهم شركات التبغ بقتل 4.9 مليون شخص سنوياً بمعدل شخص كل ست ثوان ونصف الثانية، وقد يرتفع هذا العدد في المستقبل إلى 10 ملايين سنوياً وإلى مليار آخر القرن، هذه الأرقام أزعجت أدباتريس، إذ من المفروض أن يفرح؛ لأن 15% من سكان العالم سوف ينتقلون إلى العالم الآخر.

المصنعون يواجهون متاعب كثيرة، منها التهديد والعدالة وحتى الأحكام القاسية، فسكان العالم في زيادة مستمرة، فمن غير السّجائر يستطيع تحقيق التوازن في هذه الزيادات الخطيرة؟ الأكل السريع يلعب دوراً مهماً في تحقيق هذا التوازن، لكنه يبقى دوره ضعيفاً مقارنة بدور السّجائر التي تقتل عشرة أضعاف ما يقتله مرض الإيدز (السيدا) بأوروبا وحوادث المرور مجتمعة، أما إفريقيا الأهلة بالسكان فالإيدز والسّجائر يتنافسان من يقتل الأكثر؟ باعتبارهم أحسن الزبائن، وقد سمحت الدول الإفريقية للشركة بالتوسع، فرؤساء الدول الإفريقية طيبون ومتعاونون، أما الجمارك فهي حديثة العهد ومتعاونة أيضاً، وأدباتريس يستحق جائزة نوبل على عمله الدؤوب في تنقية البشرية، بدلاً من ذلك وصفوه بالخبير الدولي في القتل والإجرام، وزملاؤه أيضاً ينعتونهم بكل الأوصاف الدنيئة، وخاصة في الدول التي تدر عليها السّجائر دخلاً مرموقاً، تناست هذه الدول الخدمات المقدمة لها من شركات السّجائر التي تخلصها من الكثير من المتقاعدين من جراء موتهم بالتدخين كما يقولون.

أما بخصوص أولئك الذين يدّعون أن السّجائر تسهم في فقر الناس وبؤسهم، فيجب تذكيرهم بأن ميدالية ذات وجهين لا يمكن أن تسمح لبعضهم بالفرح لتخلص البشرية من جزء منها وبعضهم الآخر بالتذمر من الأمراض التي تتسبب فيها السّجائر في آن واحد، إما هذا أو ذاك. فلا يمكن محاسبة مصانع السّجائر على أنها تريد المضرة للناس، فهي لا تحلم بتقليص عمر المدخنين بل تقوم بذلك فعلاً وتخلص البشرية من شخص في مدة أقصاها قراءة سطر على أمل أن يتم تعويضه لاحقاً، لا يزال أدباتريس يحلم حتى رأى بجاراً مسلحاً يحمل هاتفاً خلويًا. دوبوا أحد رجال الصحافة المفترسين طلب إجراء مقابلة، فأعطي موعداً صباح الغد على الساعة الحادية عشرة.

بروموتيم يعرف كيف يستقبل زواره، سوف يرسل زورقاً فخماً لاستقباله في الشاطئ ثم نقله إلى اليخت، الاستقبالات في هذه الساعة هي عبارة عن دعوة على الغداء وبداية التنازلات، لا يرى مانعاً من إجراء المقابلة في هذه الساعة، تم

استقباله من طرف رجاله الساهرين على سلامة اليخت والمافيه بالإضافة إلى كابتن اليخت وطاقمه بالكامل. تم تقديمه إلى صاحب اليخت، (جي دوبوا) وهو رياضي سابق ومدخن محنك أيضاً، وقد ترك التدخين منذ مدة، شكله وقبضة يده ونظراته الشرسة توحى بأنه مستعد للقتال في أي لحظة، أدباتريس يحب هذا النوع من الرجال، فذلك أحسن من هؤلاء الرجال الذين يقبلون أي شيء وفي أي لحظة، ولا يحب المتساهلين؛ لذلك لا يحب المدخنين أيضاً.

كان دوبوا على علم بالاستقبال الجاد الذي أعد له، لم يسبقه أحد من الصحافيين في ركوب هذا اليخت، هذا اليخت الذي يبلغ طوله 75 متراً، فهو معتاد على استقبال رجال الأعمال الكبار له، لكن استقبال أدباتريس له يشعره بتجمد في دمه، بعد مقدمات بسيطة شرح له دون أي رهبة أن تطور أحوال البورصة هذه الأيام هو الذي دعا جريدته أن تطلب منه كتابة دراسة حول صناعة السجائر والمستثمرين الذين يسهمون في ازدهارها، اغتتم أدباتريس الفرصة؛ ليطمئن السوق بالإفصاح عن بعض أكاذيبه وألعيبه، ودار الحوار الآتي:

- أنا أصغي إليك.

- سعادة السيد أدباتريس ما هي العناصر الأساسية التي ضمنت نجاحكم

العالمي؟

- سوف أطلعك على خمسة منها: خبرتنا القديمة، والتسويق الجيد، والدعاية، والتطور والمحتويات الكيميائية، وأخيراً التخلص من احتكار السوق، أما بالنسبة للخبرة فشركة برومورتيم تم إنشاؤها منذ أكثر من قرن ونصف القرن، قرن ونصف من المجهود والبحوث والتحسينات المستمرة، تحسينات النوعية والطعم، كل ذلك من أجل إرضاء الزبائن؛ فالزبائن في زيادة مستمرة، أما بخصوص التسويق فهو قوي ومنافس، وهو العنصر الأبرز في الشركة، لا أخفي عليك شيئاً وأنت تعلم أكثر من غيرك أن التسويق في ميدان السجائر يختلف عن أي مادة أخرى، وأنه يعد استثماراً

في حد ذاته، وخاصة على المدى البعيد، فمهمته هي إعطاء دفعة قوية إلى الضغط المسلط على المدخنين لتحفيزهم على التدخين أكثر، فعملية التسويق لا تحرض على البيع، لكنها ترغب في التأثير أكثر فأكثر على الوسط الاجتماعي والثقافي حيال منتجاتها، لا أذكرك أنه خارج الصين سيجارة من 6 هي سيجارة برومورتيم، والمدخنون البالغون من العمر بين 24 سنة و50 مدخنون لسجائرتنا أيضاً، هذه أرقام تم استنتاجها في أحسن الجامعات، فبعض منها كتبت أن كل مولود جديد في العالم يعد ميكنة نقود محتملة، فالدعاية والتطوير يُعدّان الشق الثالث من هذه العناصر، وتصرف الشركة على الدعاية والتطوير أكثر من 11 مليار سنوياً، فالعديد من القوانين تضيق علينا المجال في هذا الميدان، فنواجهها بعمليات تحفيزية، وأنا أفخر وأعتز بما سوف أقوله لك:

- بالرغم من أن الميزانية بقيت ثابتة إلا أن النتائج بقيت أيضاً ثابتة، وعدم وجود الدعاية لا يخدم مصالحنا، لكنه لا يشكل مأساة مالية ولا صناعية. نحن نستعمل وسائلنا المعتادة لجذب الزبائن، مستعينين في ذلك بشجاعتنا وإقدامنا ومغامرتنا وحب الإنتاج والرياضة (مثل الفورميولاون) والأشياء الغريبة والفريدة من نوعها، بالإضافة إلى الطبيعة، شعارنا أخذ ومرتز وحديث ويعبر عن الحضارة الغريبة البحتة، فهو مبني على البحث عن اللذة الفورية وضد أي تهرب مثل ما يدعي أعداء التدخين الذين لا يتجرؤون على التمتع بسيجارة لذيدة، أما السبب الرابع في هذا النجاح فهو التركيبة الكيميائية لسجائرتنا، فكل العالم يعرف مذاق سجائر برومورتيم، فسجائرتنا تحتوي على 600 مركب بموافقة السلطات المعنية، من بين هذه كثير من المواد الطبيعية أو مواد ذات استهلاك عادي ويومي، ما أمامك ليس تلميذاً لمكيا فيل، كل هذه الإضافات لا نريد منها إلا المظهر والمذاق وانسجامنا مع السوق، وخاصة الجديدة منها، وتتميز من هذه المواد الأمونيا بمذاقها اللذيذ ومادة الأمونيا موجودة أصلاً في نبات التبغ.

فقال دوبا، متسائلاً: أيتهمون هذه المادة باحتوائها على مادة النيكوتين؟

هذا هراء مثل ما قلته لك من قبل، أوراق التبغ نفسها تحتوي على مادة النيكوتين، ونحن نضيف هذه المادة لتحسين المذاق.

أما كمية النيكوتين، فلا يحدث عليها أي تغيير، لعلمك فكل منتجنا يخضع لفحوصات في مخابر خارجية ومعتمدة من السلطات المعنية وفقاً لقوانين معتمدة كما يأتي: 3308 - 3400 - 3837 - 7210 - 8454 - 10315 - 10362-1 - 10362-2 - المطبقة في جميع أنحاء العالم، وأغتمت هذه الفرصة للإجابة عن سؤالكم بخصوص مادة حمض السيانيديريك، فكل ما قيل بخصوصها كذب وافتراء، وقرأوك يعرفون ذلك، لعلمك أيضاً أننا نقتني موادنا المضافة بعناية فائقة، كما نقوم بمراقبة منتجي التبغ وكيفية تجفيف تبغهم، كما نقوم بمراقبة كل مراحل الإنتاج، فالمدخن لا يعرف أن سجارته عبارة عن مصنع مصغر صنع خصيصاً من أجله.

- وماهي قصة التخلص من المحتكرين؟

هذا هو العنصر الرابع الذي أسهم في نجاحنا، فكل الشعوب التي تحررت من الاستعمار حديثاً ترغب في التعرف على عالمنا الغربي وفضائنا وقيمنا ونحن سعداء بذلك، ثم جاء تحرير التجارة العالمية في العشرية الأخيرة من التسعينيات، ليتغير كل شيء، فاختلطت الأوراق، كل الأسواق مفتوحة الآن، بينما من قبل كانت الحكومات تحتكر كل شيء، وبعد فتح الأسواق قمنا بإدخال الاستثمارات إلى هذه الأسواق كما قمنا بترتيب المصانع وتحديثها وتوظيف الكثيرين فيها حتى ازدهرت السوق وأصبحت واجهة من واجهات هذه البلدان، ففي تركيا مثلاً كانت الدولة تحتكر سوق السجائر بالكامل، أما اليوم فلم يبق من ذلك إلا 60% من السوق، من سنة 1990م إلى 2000م أسهمنا في زيادة عدد المدخنين بنسبة 50% ولكي نشكر الحكومة التركية على تعاونها ونعوضها عن هجرة مزارعي التبغ من الريف إلى المدينة قمنا بتمويل مشروع كبير في البحث عن الآثار.

- وما هي مدخولاتكم بعد هذا الانفتاح؟



- خلال عشر سنوات بقيت مبيعاتنا الداخلية كما هي، ولكنها تضاعفت دولياً والفائدة أيضاً، إذ قفزت هذه الفائدة من 800 مليون دولار إلى خمسة مليارات سنوياً، وقد ترتفع إلى 7 مليارات في المستقبل القريب، وهذا الرقم سوف يجعل من شركتنا الرابعة دولياً من ناحية المردود، نود أن يتوصل العديد من الدول إلى الاستهلاك السنوي البولندي، أي 3620 سيجارة سنوياً لكل ساكن. ولكي أكون صريحاً معك فهناك من الدول من خيب آمالنا، فنلندا مثلاً لا تشمل إلا 25٪ من المدخنين الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين 18 و25 سنة، أما كندا فيجب الاكتفاء بما تيسر أي 15٪ فقط.

- وهل تعتقدون أن أرباحكم الطائلة هذه سوف تضطرب مستقبلاً؟

- سوف تزداد وتتضخم، تصور أنه من بين المليار ومئة مليون مدخن، ثلث هؤلاء المدخنين لهم من العمر 15 سنة فقط، هذه حالة فريدة من نوعها سوف تفتح لنا كما ترى آفاقاً كبيرة ألا تصدق؟

- ما هي حصة العالم الثالث من هؤلاء المدخنين؟

- حوالي 800 مليون أي ما يعادل 73٪ من المجموع.

- ولكن 73٪ من أرباحكم تأتي من هذه البلدان الفقيرة غير القادرة على سداد ديونها أليس في ذلك مغامرة بالنسبة لشركتكم؟

- مغامرة كبيرة جداً!

- لا، لا يا سيد دوبوا؛ لأنه مهما كانت أساليب التوزيع، فمبيعاتنا مضمونة ولا تتعرض لأي خطر وفوائدها مضمونة أيضاً.

ليس هنالك أي خطر أبداً، أما المدخنون فمهما كان فقرهم فهم دائماً يحصلون على ما يمكنهم من شراء علبة أو علبتين في اليوم، وفي هذه البلدان بالذات يمكنك شراء سجائرنا في كل الشوارع وبالواحدة إذا أردت، للعلم فإننا نقدم مساعدات هائلة لهؤلاء الباعة المتجولين، فلولانا لانتهى كثيرون منهم في قبضة التسول.

في الخمسينيات كانت السجائر تسيطر على الشارع، حيث كان 70% من السكان يدخنون.

- هذا غير صحيح وغير صحيح على الإطلاق، أنت ضحية ادعاءات كاذبة ومعلومات مزيفة، أنت تعرف أننا ندلل الشباب، والدليل على ذلك أن قليلين من الناس يبدؤون التدخين وهم كبار السن، هؤلاء الشباب لا يلتفتون إلى أولئك المعارضين للتدخين؛ لأنه من جهة هؤلاء يخاطبونهم بلغة لا تتماشى مع سنهم، ومن جهة أخرى فهذه المطالب لا ترتقي إلى طموحهم، فالدراسات والأبحاث تشير إلى أن عدد صغار السن من المدخنين أصبح يتلاشى شيئاً فشيئاً، فقد أصبح لا يتجاوز 11.4% حالياً، في هذا العمر لا يمكن التأثير عليهم كثيراً، أنت تعرف أيضاً أن أي شاب يبدأ التدخين مبكراً هناك احتمال كبير أن يبقى مدخناً بقية حياته، زد على ذلك، فالبنات يحظين باهتمامنا أيضاً، ونحن نكن لهن كل الرضا والعرفان للمساهمة في ازدهار أعمالنا، فخلال ثماني سنوات قفز معدل المدخنات من 8 إلى 30%. ما هي التجارة التي يمكن أن تفتح لك آفاقاً مثل هذه؟ لقد فهمنا قبل الأطباء أن البنات أشد قلقاً من الأولاد، فقمنا بعمل اللازم لإرضائهن وإسعادهن والنتائج كما تراها، هناك أكثر من 200 مليون مدخنة حول العالم، نحن نعرف كيف نرضي المراهقين وكيف نحافظ على استقلاليتهم، دراساتنا واضحة في هذا المجال، حتى إن العديد من الأساتذة الكبار وعلماء علم النفس يحسدوننا على ذلك، بالنسبة لنا لا فرق بين الأولاد والبنات، فمبدوؤنا هو المساواة بين الجميع، ومعادلتنا في ذلك هي مساواة = مبيعات أكثر = أرباح أكثر.

- وبهذه الطريقة ضمنتم لهن الرشاقة الدائمة.

- هذا صحيح، هل تتذكر شعارنا الذي يقول: تدخين سيجارة أفضل من تناول حبة حلاوة، كل المدخنات يعرفن كم نحن حريصون على رشاقتهن.

- كل ذلك على حساب صحتهن؟

- لا تقم بخلط الأشياء إذا كنت ترغب في متابعة الحوار.

- أنت تريد التعبير عن قلق قرائك، يجب أن يعرف هؤلاء أن أسباب التفاؤل متوافرة وكثيرة، سوف أزودك ببعض منها، في الدول التي كانت تخضع للنفوذ الشيوعي، كانت السوق تشكل 65% من المدخنين بالرغم من احتكار الدولة آنذاك للسوق، وبالرغم من زهد الأسعار وضعف المستوى الدراسي والتشاؤم الدائم المخيم على هذه الدول وندرة الفرص، كل هذا أسهم في كسبنا للمعركة، هل تتصور أن هذه الدول بالرغم من كل ما تقدم ذكره كانت تشكل احتياطاً كبيراً لنا ومصدراً مهماً لأرباحنا، مع أن 5% فقط هم من المدخنات، إنك لا تصدق ذلك أليس كذلك؟ يجب أن تعرف أيضاً أن الفتيان والفتيات الذين تتراوح أعمارهم بين 13 و18 سنة مدخنون، وحتى في الولايات المتحدة ارتفعت نسبة التلاميذ المدخنين في المدارس من 28% إلى 36% خلال ست سنوات، بالرغم من كل العراقيل التي اعترضت مسيرتنا.

- طبعاً كل هذا بسبب الإجراءات والقوانين الصارمة ومنع الدعاية والمتابعة القضائية وغير ذلك.

- ليكن ذلك صحيحاً، ماذا تريد الولايات المتحدة منا؟ وماذا نريد نحن منها؟ مثلاً: منع بيع السجائر إلى فئة 13-18 سنة هذا من صالحنا، فهذا ما يزيد في إصرار هذه الفئة على التدخين، موافقتنا على هذا المبدأ سوف تزيد من فرصتنا وسوف تزيد من تمرد هذه الفئة على الآباء وعلى السلطة، فالشباب يجدون متعة في هذا التحدي، ونحن أيضاً نشاركهم هذه المتعة، أما منع الدعاية فهذا لا يقلقنا. وتصوراتنا لا تتفد. أتتذكر أن أكبر محارب للتدخين هو هتلر الذي قاوم التدخين بحملاته العلنية سنة 1939م فالجهود الذي بذله خلال ست سنوات ضاعف المدخنين خلال سنة. العديد من الدول مضطربة عقلياً ونفسياً، فهم يريدون من جهة الكسب الكثير (82% في الدنمارك) والمحافظه على صحة مواطنيهم من جهة أخرى، بعض هذه الدول توصلت إلى تخفيض نسبة المدخنين ومضاعفة

دخلهم في الوقت نفسه، الحمد لله أن هناك الكثير من رؤساء الدول الأذكيا الذين لا يريدون المساس بحرية المدخّنين، من بين هؤلاء مرغاريت تاتشر وهيلموت كول، الأولى كانت من أنصارنا واستطعنا الاطمئنان على خدماتها لنا، كل ذلك له مقابل بالطبع، مليون دولار كل ثلاث سنوات، هذا مبلغ لا يستهان به، وهذا يعد من استثماراتنا الجيدة، أما الثاني فقد تم تسميته يوماً من الأيام (كولبورو)، لم أعرف بعد لماذا سُمِّي بهذا الاسم؟ أعرف أننا نعدّ ذلك تدخلاً سافراً في تصرف الأشخاص؟

- لهذا قام اللوبي البلجيكي المناصر لكم بالتهجم على جاك دولور رئيس اللجنة الخاصة بالتّدخين وهدده بالضرب، ثم قام بحملة فيما بعد ضده وضد كل المؤسسات الأوروبية.

- لنقل: إنها فعلاً مبالغة منه، لا تتس أنه لنا ثقل كبير في الاقتصاد بالوظائف التي نوفرها للعديد من الناس.

- عن أي وظائف تتحدثون، وأنتم تقومون بتحديث كل شيء واستعمال الحاسب الآلي والروبوتات لإنجاز العمل، وتغلقون مصانع هنا وهناك؟

- ما هو المصنع الذي لا يستعين بهذه الأجهزة؟ أنت تعرف أن مصانع تنتج 14.000 سيارة في الدقيقة فأكثر يجبر أصحابها على غلق مصانع قديمة في بلدان لا تحظى باهتمامنا كثيراً. لنرجع إلى السوق الأوروبية المشتركة بما أنك تحدثت عنها، أعرف أنها تخصص 976 مليون يورو لمساعدة المزارعين على إنتاج التبغ، بينما تخصص 1.3 مليون يورو لمكافحة التّدخين؟ فأنا أتلذذ فعلاً بهذه المفارقة وأجد فيها متعة، نحن نجتهد أكثر للدفاع عن غير المدخّنين، فمن يريد أن يتصف بأخلاق حسنة فليبدأ بنفسه، أما بالنسبة لنا فنحن نستغل أي خلل داخل قوانين الدول، فنحن لا نقوم بكتابة هذه القوانين، ولا بإعدادها فنحن نتهرب منها ونلف حولها فقط.

- وهل تشاركون في إعدادها أحياناً؟

- نحن نقوم فقط بإحاطة رجال القرار الأخير بالجوانب الخفية من الموضوع.

- وماذا حول منع السجائر التي تحمل علامة لايت؟

- هي زوبعة في فنجان؛ لأن الباحثين الكيميائيين لدينا وجدوا منذ زمن البديل، إنها

سيجارة تحتوي على القليل من مادة النتروزامين. فهمنا الوحيد هو تلبية الطلب

وإرضاء المستهلكين، كل مصنع متفتح لابد له أن يسبق غيره في ابتكار الحلول.

- لماذا لم نرَ هذه السيجارة في السوق حتى هذه اللحظة؟

- من يطلبها؟

- ماذا سوف تكون إجابتكم حين ينعتكم الناس بـ(مارمور)؟ أو بمعنى آخر (بائع دولي

للموت) وما هي إجابتكم عندما يقوم الناس باتهام شركتكم بقتل 4.9 مليون

مدخن سنوياً؟

- وقتلكم مستقبلاً مليار إنسان في نهاية القرن الحالي؟

- أنت صحافي وتعرف أن أحد المصنعين للأدوية يريد تصنيع مادة النيكوتين

وتسويقها بدلاً منا.

- لنفترض ذلك، ولكن القراء والمستثمرين يتساءلون اليوم حول كل ما يقال، وخاصة

حول ما يقال بخصوص التدخين السلبي.

- لقد أصبح التدخين ممنوعاً بالطائرات، وحتى القطارات أصبح التدخين فيها

عملة نادرة، وكذلك في الشركات والمؤسسات، فهذا يمس العديد من السجائر

التي لا تُدخَّن، وقد يؤثر سلباً على مبيعاتكم وفوائدكم على المدى البعيد.

- هذا هراء، ملاحظتك هذه تخص بعض الدول فقط، إنها دول يقتصر التدخين

فيها على بعض الشبان فقط، ولكن العديد من الدول لا تتساءل عن هذا الموضوع

الذي يهتم به الأغبياء فقط، ليكن في علمك أن الشاب غالباً ما يجري وراء ما هو محروم منه، زبائننا مدربون تدريباً جيداً، وأقول لك أكثر من ذلك: كثيرٌ من أعدائنا يستفزون الشباب، وهم يدخنون في العلن في الشوارع.

- وبأي وسائل يستفزونهم؟ ربما برادارات خاصة تم تعميمها بالشوارع، فهذا أيضاً ستكون نهايته الفشل، بالمناسبة بخصوص التدخين السلبي أقوله وأردهه مثل ما قلت من قبل: حسب دراساتنا، فإن التدخين السلبي لا يضر أكثر مما يضر أكل بسكويت أو شرب كأس من الحليب، إن من يعتمد على هذه الادعاءات يجب متابعته قضائياً ومعاقبته على التفرقة بين المدخن وغير المدخن، فهذه فضيحة وعار.

- ولكن..

- إذا استمرت في عنادك، فسوف تعود من حيث أتيت سباحة...

- إذن أنت واثق أن المستثمرين بالشركة سوف يستمرون في الثقة بك وفي الثقة بمستقبل الشركة؟

- لقد فهمت كل شيء، ثم أضاف (جوركا) على ذلك، بما أن الزبائن ملوا من دفع الضرائب على السجائر، فهم يشترونها أكثر فأكثر من الإنترنت وبنصف السعر، من قبل كان بعض الناس يجمعون بقايا السجائر ويفرغونها من محتواها ثم يقومون بتصنيع سجائر بإضافة لحاء الذرة وأوراق البطاطس والعديد من الأعشاب الجافة الأخرى، أما اليوم فهو عصر الإنترنت وعصر الشباب أيضاً؛ لأنه يسهل عليهم شراء ما يحتاجونه وبأقل الأسعار.

- أما بالنسبة لنا، فهي وسيلة ناجحة للتعريف بنا وزيادة مبيعاتنا.

- بهذه الطريقة أيضاً يمكنكم معاقبته من يعارضكم بعدم البيع له.

- أنت تعرف أن عدم البيع ممنوع ويعاقب عليه، أنت لا تجهل ذلك أليس كذلك؟

- وماذا حول حماية المراهقين غير البالغين؟

- اسأل المعنيين بأمرهم، فلست مسؤولاً حتى أجيبك على ذلك.

- وماذا حول الضرائب في الولايات المتحدة؟

- هي حقاً سرقة؛ لأن من يجبرك على دفع 82% ضرائب، فهو فعلاً سارق؛ لأن كثرة الضرائب تقتل؛ فنحن لا نكف عن قول ذلك إلى الحكومات، لكن الإنترنت تقتل إذ تقوم بإثبات ذلك، أنت أيضاً يمكنك استخدامها لشراء ما يلزمك.. فلماذا لا تلجأ إلى هذه الوسيلة الناجحة، 20% من مبيعاتنا أصبحت تتكفل بها إنترنت.

يبدو أنه في اللحظة الأخيرة ظهرت أجهزة كمبيوتر خاصة لمنع الوصول إلى مواقع الإنترنت الخاصة ببيع السجائر والترويج لها؟

هذا صحيح، أولاً: هذا خبر غير معروف، ثانياً: لا أعرف الكثير من الآباء الذين يريدون الإقدام على شراء هذه الأجهزة لمراقبة أبنائهم، ثالثاً: أنا لا أرى ضرورة استعمال مثل هذه الأجهزة للحد من حرية المدخنين، وبما أنك تتحدث عن المستثمرين أنت لا تجهل أن من بين كبار المستثمرين بشركتنا أكبر شركة تأمين في العالم وأكبر بنوك في العالم أيضاً، لم يكتف هؤلاء بالاستثمار في شركتنا فقط، بل اتجهوا للشركات الأخرى أيضاً، فهذا يدل على ثقتهم العمياء في صناعة السجائر، أما المستثمرون الصغار فأغلبهم من الشيخوخ، إنهم يفتنمون هذه الفرصة لجني الأرباح أيضاً.

هم من غير المدخنين طبعاً.. أما الباقيون...

إن غالبية المستثمرين، بل 95% منهم يوافقوننا الرأي وعدم قبول كتابة العبارة المشهورة: (الدخان مضر بالصحة)، الدخان السلبي مضر أيضاً، فنحن مقتنعون بنتائج دراساتنا حول هذا الموضوع، أذكرك أيضاً أنه منذ عشرين سنة انخفضت مبيعاتنا بنسبة 42% بينما زادت أرباحنا بشكل عظيم، فهذا يسمى التجارة الراجعة، أنا أكلفكم بنقل هذه المعلومة إلى قرائكم.

- وماذا حول مقاضاتكم؟

كل من يحتك في نحلة، فسوف تلسعه! سواء أكان من القطاع الخاص أم القطاع الحكومي، اسأل السوق الأوروبية المشتركة، فلقد أنفقت أكثر من مئتي مليون يورو لملاحقتنا قضائياً بتهمة التهريب دولياً، كما اتهمتنا بالتهرب من الضرائب بإخفاء 2.4 مليار يورو سنوياً، لكن دعوتها رفضت، وانتهى الأمر.

قاضي التحقيق اعتذر باعتباره غير مختص في القضايا المالية والضريبية، وسوف تنتهي هذه الدعوة بمسمى آخر، ألا وهو (تبييض الأموال).

- أنت تعرف أن برومورتيم ليست بألة غسيل، وسوف ترى ذلك في الجلسة القادمة.

- وماذا عن الدعوة المرفوعة عليكم من قبل المدخنين؟

- في هذه اللعبة قلائل هم الفائزون، لدي أربعة أدلة قاطعة:

أولاً: نحن لم ولن نجبر أحداً على التدخين، ولسنا مسؤولين عن اختيارهم.

ثانياً: التعويضات المطلوبة زهيدة جداً 28 ملياراً مطلوبة كتعويض لعجز عمرها (64) عاماً.

ثالثاً: التدخين في حد ذاته غير خطير، ربما تكون التجهيزات الأنزيمية لبعض الأشخاص هي السبب، والدخان أيضاً لا يشكل أي خطورة، إن أردت أن تعرف أكثر فسوف أفتح لك أبواب مختبراتنا المتخصصة في هذا الميدان ولتكن هذه هديتنا لك بالمناسبة، أما الدليل الأخير فأوروبا لا تعرف الأحكام الجماعية عكس ما هو معمول به في الولايات المتحدة مثلاً.

- بالرغم من ذلك، فقد تمت معاقبتكم لعدم صدقكم عمداً.

- إنني أعترف أن ذلك حصل بسبب فقدان الذاكرة؛ فالشيخوخة تدهمنا، فمنذ 14 أبريل 1994م حيث وقفت أنا ورفقائي أمام اللجنة البرلمانية حصل تحسن طفيف على ذاكرتي.



- كانوا على وشك إيقافك في أثناء هذه الجلسة؟

- هذا غلط؛ لأن مستشارنا قد أشعرنا بذلك، حيث قال لنا: «أظن أنه سيتم إيقافكم بسبب مادة النيكوتين من هذه الناحية؛ فالقانون يحمينا في بلد ديمقراطي لا يسجن الإنسان بمجرد الظن يا سيد دوبا».

- وهكذا تم الكشف عن 33 مليون ورقة من الأسرار أمام الرأي العام.

- ثم 5 ملايين في بريطانيا، وسوف تتمكن من القراءة بقية أيامك.

- والآن أدعوك لمشاركتي الأكل المعتاد.

- هل يمكن تمديد المقابلة لبعض الوقت، بعض الدقائق؟

- أنا أتعاطف معك بسهولة؛ لأن تعاطفي مع الإعلاميين الآخرين ليس بالهين.

- أنت متهم بتدمير الغابات وتعريضها للحصول على الخشب لتجفيف التبغ.

- نحن نقوم بإعادة التشجير، حتى نعوض ما تم تدميره من قبلنا في أقرب وقت.

- إن السجائر تفوقت على الحشيش وعلى الويسكي.

- لاشك أننا تفوقنا أيضاً على من يدخل الكنيسة، لا أعرف؛ لأن هذا لا يهمني،

بالنسبة لزيائتنا، الحياة لها معنى خاص، فمصيرهم بأيديهم.

- أنتم متهمون أيضاً بتلويث البيئة؛ فالنفايات التي يتم جمعها من شواطئ برشلونة

مثلاً 60% منها مكونة من بقايا السجائر وعلب السجائر الفارغة.

- صحيح أن إسبانيا هي إحدى زبائتنا المفضلين.

- وأخيراً لو سمحتم: هل تهايون الإرهاب؟

- الإرهاب ضد الأفراد أو ضد الشركات ككل؟

- الاثنان.

- قبل أن تصل إلى هنا أعتقد أنك رأيت بنفسك قدرة رجال الأمن الذين يسهرون على حراستي، أما بالنسبة للتهجم على موادنا فلم أسمع بها إلا في القصص، إذ قام أحد الكتاب المريضين باستفزازنا في المرحلة الأخيرة من كتابه، إنه سوف يدخل في تركيبة السجائر كمية قاتلة من مادة السيانيد، فقمنا بشراء كل ما طبع من هذا الكتاب وعملنا على عدم طبعه من جديد، هيا بنا إلى طاولة الطعام أيها الجلاد.

- قام أدباتريس يأخذ (غي بوادر) إلى غرفة الأكل، فشاهد عند دخوله لوحة كتب عليها: لا ضير من السجائر، فهي هواية الشرفاء.

- من جديد أسألك عن مصدر هذه الحقيقة.

- بلا شك أحد المدخنين، لا أنت ولا أنا.

- مولير أيها السيد، في (دون جوان).

- عرف الصحافي من خلال معرفة أدباتريس لهذه المقولة أنه مطلع على أعمال المجموعة بدقة، فهو باستطاعته الإجابة عن أي سؤال يتعلق بهذه الأعمال، دوبوا يحظى باحترام الجميع كصحافي متمكن، الجريدة التي يعمل بها من أحسن الجرائد المتخصصة في الاقتصاد؛ فماذا يريد هذا الصحفي منا؟

- أنت وأنا نعتي بصحتنا؛ لذا سنأكل طعاماً خفيفاً.

- قدم الطباخ في رمشة عين وطرح علينا (المونو) أي تشكيلة الأكل: ريش خروف، محشي بالفرن، مصحوب بشرائح من البطاطس وسلطة خضراء، وفي الأخير آيس كريم معطر بمادة الإكليل.

- مع الخروف أفضل تناول شاطو مرغو، وبصفة خاصة ذلك المصنع سنة 1982م سوف ترغبه بلاشك!

بدأ أدباتريس يحاضر حول مهنة المتذوق للشراب ومهنة المصنّعين له في ميدوق، زود دوبوا بوصف دقيق للدالية والأرض التي تنبت فيها وما تحتاجه من أمطار، ثم

تطرق فيما بعد إلى خبرته في التدوق، تناول دويوا الكأس بطريقة تدل على أنه متمكن في التدوق أيضاً، ولإثبات ذلك أخذ يحرك ويقلب كأس النبيذ قبل احتساؤه والتأمل في لونه، وشم رائحته وتحريكه ثم تذوقه دمة دمة كما يقولون وشمه من جديد ولعدة مرات وبلعه تدريجياً وعيناه مغلقتان، وأصبح دويوا كأنه في عالم آخر: فهو يتفحص هذا الشراب المنتج سنة 1982 في داخل البحر برفقة صاحب أكبر شركة منتجة للتبغ في العالم، رجل وصف بأنه رجل السنة.. وجد دويوا ضالته، شريكه في التدوق، حتى رائحة حطب السدر استهوتها، مظهر الحطب وبعض الزهور جذبهما أكثر فأكثر، توقف دويوا عن إبطاره بالأسئلة؛ لأن النبيذ كاد أن يخدره دون أدنى شك، فبادر جليسه قائلاً:

- لاشك أنك تفكر في شراء قصر يتربع على مزرعة كروم.

- لا.. لا، برومورتيتم لا يستثمر إلا في المنتجات الموجهة للشعب التي من اختصاصه، ونحن نتفنن في توفيرها، أما القصر فهو كالأراقصة يمكن يوماً من الأيام اقتناؤه للتسلية فقط، أحد المستثمرين الكبار لدينا يملك العديد من القصور، أختار ما يعجبني منها سنوياً للاستجمام مدة قصيرة، أجد في ذلك متعة وراحة، أما العيش فيه بصفة دائمة فهذا من نصيب نخبة قليلة، لكن بالنسبة لي، فهو يستهويني للراحة فقط.

- توج هذا الغداء بقهوة كالعادة.

- طبعاً سوف تزودني بنسخة من هذا التحقيق قبل نشره، أريد أن أجري عليه بعض التعديلات وإضافة بعض التوضيحات ربما بعض المفاجآت أيضاً.

- ليس من عادتنا فعل ذلك.

- لكنها من عاداتي أنا، وأنت على علم بذلك قبل مجيئك هنا.

- سوف أزودك بنسخة.

- نسخة أصلية يا سيد دويوا .

- بعد هذا استأذن بأدب واحترام ورجع من حيث قدم مرتاح البال لعودته سليماً  
أمنأ، كان ينتظر التقرير الذي قام جوركا بإعداده، وهو عبارة عن تحذير لكل من  
يتجرأ على إجراء هذا النوع من التحقيق؛ فالمقابلة مصورة والغداء أيضاً، جاءت  
نسخة من التحقيق عن طريق الإنترنت بعد ثلاثة أيام، كان العنوان هو المفاجأة  
الأولى: الحقيقة تضر كثيراً بصحة برومورتيم أنا أتهم.

تحول دويوا من الكاتب الكبير إلى دويوا زولا، لقد دون كل ما قيل له وقام  
بتصحيح الأخطاء، وأضاف ما تم نسيانه أو المبالغة فيه، فكان يكمله بعناوين حقيقية  
لا يتجرأ أحد من المجموعة على تزويده بها، تتلخص في الآتي: صناعة الإجرام  
المنظم وتبييض الأموال، والتهرب الضريبي، والنهب الاقتصادي بالعالم الثالث،  
إفريقيا أصبحت عبارة عن طفاية سجائر، والرشوة، والتلوث البيئي، بالإضافة إلى  
ذلك قام دويوا بالتدديد بعدم معاقبتهم جنائياً على الأضرار التي تحدثها السجائر  
على الشباب والشابات وعلى انتهاكهم لحقوق الإنسان، وعلى التعدي على البيئة  
وغلاق المصانع، ومن ثم تخفيض الوظائف أو إلغاؤها بالكامل، والتستر على عدد  
المواد المضافة ونوعيتها وضررها ومخاطرها، وتطرق أيضاً إلى الأعياب الدعائية  
وخداعاتهم، وانتهى التحقيق بخاتمة كهذه: السجائر سلاح قاتل وغالي الثمن، أدخن  
اليوم.. وأموت غداً، نهايتي فقر وعذاب. أدباتريس تفاجأ من هذه العبارات اللاذعة  
والقاتلة، ذلك هو السفاح المزعج.

عند قراءة المقال قد يقوم كل مستثمر عاقل بالعدول عن المطالبة بفوائده  
ومطالبة الشركة بالتعامل مع الزبائن بإنسانية أكثر، لو عرف المستثمرون ذلك من  
قبل ربما انتحروا من شدة التأثر، لكن أدباتريس يعرف أن المستثمرين يتسمون  
بالحكمة، ويعرف أيضاً أن أصحاب القرار سوف لا يشكرونه على عمله؛ لذا سوف  
يرفض هذا النص.

إنه يعرف أن كل ما كتب صحيح، كان بإمكانه التلاعب بأرقام الضحايا وظاهرة التسمم، لكنه يعرف بموجب خبرته أن ذلك سوف لا يجدي ولا ينفع، والخطير في كل هذا أن الجريدة صاحبة التحقيق لا تخضع لأي تهديد كان؛ لذا عزم أدبائنا على عدم مهاجمتها، معبراً بذلك عن حقه تجاه هذا الصحفي المتفطرس السفاح. طلب التحريات أكثر فأكثر عن هذا الصحفي العنيد والغاية من ذلك الحذر والتحضير للانتقام بسيط.



## الفصل 20

رجعت فلورانس وزوجها من السفر لقضاء شهر العسل بعد خمسة عشر يوماً، كانت شديدة التردد بعد عودتهما، وبعد شهر أعلنت لزوجها المندesh أنه سيصبح أباً عن قريب، في 20 مارس القادم إن شاء الله، يمكن إحداث بعض التغييرات في البيت بهذه المناسبة السعيدة، اغتمت فلورانس هذه الفرصة لتذكر زوجها أن التدخين سيضر بصحتها وصحة الجنين، وتذكره في الوقت نفسه بوعده إيقاف التدخين، وكانت فرصة سانحة لتذكيره أيضاً بواسطة إحدى حكايات لافونتين، إذ قامت إحدى جمعيات مكافحة التدخين بتعديلها على الشكل الآتي:

الزير والنملة:

قام الزير بالتدخين كل الصيف.

لكنه تفاجأ بحاجته لذلك عندما نفذ المخزون من السجائر. لا يوجد حتى جزء بسيط منها ولا حتى من فضلاتها، فذهب الزير للبحث عن النيكوتين لدى جارته النملة، طالباً منها إعارته شيئاً من النبات يسد به جوعه حتى الفصل الجديد.

- سوف أقوم بتسديد ذلك قبل الوقت، بكل أمانة وصدق، قال لها الزير:

- من المعروف أن النملة لا تدخن، ولا أجد في ذلك عيباً.

- ماذا كنت تفعل في الأيام الحارة؟ مخاطباً السائل.

- كنت ليل نهار وفي كل وقت أذخن، وهذا لا يعجبك طبعاً.

- كنت تدخن! لذا تمتع بالسعال الآن، أما أنا فمرتاحة.

أنصت الزوج إلى هذه القصة المعدلة بأدب وإعجاب، لكنه شرح لها كم أصبحت السجائر جزءاً لا يتجزأ من حياته، أصبحت تسيطر عليه لدرجة أنه أصبح عبدها، شرح لها أيضاً أن التدخين أصبح ضرورياً لأداء عمله كما يجب، وأصبح عادة من عاداته اليومية، بكل هدوء كالمعتاد أصغت فلورانس إلى مبرراته وفندتها الواحدة تلو الأخرى، لقد وعدتها ولا بد أن ينفذ وعده، قامت أيضاً بتذكيره أن والده استوعب الدرس بعد ستة وعشرين عاماً متذكراً ما عاناه من ألم وسعال وضعف جنسي إلى آخره، سنوات طويلة من المعاناة وتقييد الحرية وتبذير المال والمظهر السيئ أمام الآخرين، بالإضافة إلى إيذاء نفسه وإيذاء الآخرين، تغير كل شيء اليوم، فوسائل الإعلام مسلطة الأنباء كلها على هذه الظاهرة السيئة، وتجربة أبيك في هذا المجال تكفيك وتساعدك على تنفيذ وعدك فوراً إذا أردت.

- ثم قالت بكل ثقة: لا أريد منك وعداً مستقبلياً، مقتدياً بمن قال: «ابحث عن نصيبك في قلة الترتيب الذي تعاني منه».

- ثم تابعت.

- (فرويد) هو الذي قال هذا، لعلمك أن الشركة التي تعمل فيها يمكنها مساعدتك في التخلص من الإدمان على السجائر ومتابعة علاجك لمدة سنة، لقد أشعرك والدك بذلك وأفهمك كم هو مدين للشركة لمساعدته على التوقف، وأنه لا يندم على قراره وكم هو سعيد بذلك، أتراه كم هو سعيد بحياته الجديدة، أسمعني، ماذا تنتظر؟ فأنا لا أريد أن يأتي المولود الجديد ويرى أباه يدخن، لا أريد أن يرى ذلك أبداً، اليوم وأنا أتصفح الدليل العام وجدت جمعية لمساعدة المدخنين، أنا متأكدة أنها قد تعجبك، عنوانها كما يأتي:

مدخنون - الدخان - المداخن - الجنازة وما يلزمها.

- طيب سوف أأخذ قرارى وىجد.

- بين لى أنك تقدر وتعى توسلاتى، فهى فعلاً توسلات!

يمكن البدء بتناول سجائر لايت؛ لأنها خفيفة لكنها تبقى مضره، أو يمكنك أن تستبدل بها ماركة أخرى تحتوي على كمية أقل من النيكوتين ومحاولة تدخين نصف ما كنت تدخنه من قبل، أنا لا أريد إلا مساعدتك لتخطي المرحلة الأولى من هذه التجربة القاسية، من أجل ولدنا ومن أجلك ومن أجلى، بل من أجلنا كلنا.

بما أنه عرف الآن أن إحدى المكونات للسجائر هو الأمونيا الذى يبيعه لهم افقتع بمضرة السجائر حتى الخفيفة منها.

حتى لا تتماذى فلورانس فى توسلاتها قال لها:

- أعدك أنه ابتداءً من اليوم فصاعداً سوف أكتفى بعلبة واحدة.

- إذن كنت تدخن أكثر من علبة؟

- نعم كنت أدخن أكثر من علبة، وسوف أدخن فى المستقبل أقل من ثلثي السيجارة ثم أرميها، حاولى مساعدتى لأننى؛ سأكون متوتراً هذه الأيام.

- هل أعتمد عليك فى ذلك؟

- يمكنك، ابتداءً من اليوم، سوف أخبرك بنجاحى أو رسوبى فى هذا الاختبار الصعب.

- كيف يمكنك الرسوب، وأنت تعرف الغاية؟

- هذه مهمة صعبة ومعقدة، لقد سبق وأن قلت لك: إن مادة النيكوتين تستعبدنى، وأنا خائف من التخلص منها بطريقة عنيفة.

- فى آخر سبتمبر أوضحت الأشعة الصوتية أن المولود القادم بنت، فتمّ اختيار الاسم فوراً.



- اتفقا على تسميتها (أورور) بمعنى (الفجر).

- في 12 أكتوبر 2000م ولأول مرة منذ مدة تسلفت رسالة غريبة كالعادة لتعكر جو العائلة، تعرفت فلورانس على الظرف والكتابة، ففتحت الرسالة فوراً وقرأتها:

(لقد تم الحكم عليك بالموت من)

يتبع

كانت فلورانس على وشك نسيان هذه اللعبة القذرة، آخر رسالة استلماها منذ ثلاث سنوات، حتى نصها لازال عالقاً بذهنها، انتهت إلى أنها لم تكن على علم برسالتين، عندما دخل عليها زوجها بادرتة بالسؤال عن الرسالتين.

- لقد أخبرك والدي بذلك، ماذا تريدان أن تفعلين لهذا الأبله؟

- لقد قررنا ألا نزعجك بهذه الألاعيب.

- لقد أخبرتك أنني قادرة على اكتشاف هذا اللغز وحدي.

- بما أنه هناك رسالة تتبع لنتظرها ونرى، إلا إذا كانت لك الرغبة في اكتشاف الحقيقة دون معرفة ما سيتبع.

- هذا هراء.

رجعت فلورانس من جديد تسأله عن التّدخين، وهل بدأ يخفض الكمية كما وعد، صدّقت ما قاله لها؛ لأنه يطبق ما قاله عندما يكون معها، ولكنها تلاحظ أن مزاجه يتغير في أثناء ذلك.

قررت أم الزوج وأم فلورانس أن يذهب الزوجان إلى البندقية للتمتع بإجازة قبل قدوم المولود الجديد، كانت السماء تكتسي بحلة رمادية، وكأنها تبشر بقرب نزول المطر، بالرغم من ذلك كان للغروب الجميل رأي آخر؛ فالشمس وهي تودعك تستهويك لمشاهدة منظر نادر لا مثيل له، كله دفء وحنان، في جو مثل هذا لجأ

القليل من الزوار إلى التمتع بفرن هذه المدينة الساحرة والفريدة من نوعها، أما فلورانس وزوجها فركبا زورقاً، وكأنهما من عشاق التايترك. تلك هي رحلة كل عاشق يلجأ إلى هذه المدينة المغمورة بالمياه التي تحتضنك بدفء، وكأنها تقول: لا خوف من الفرق اليوم.

أوشكت السنة على الرحيل، كان (أنت) ينتظر ذلك بفارغ الصبر؛ لأنه سوف يحتفل بترقيته وزيادة راتبه؛ فهو الوحيد المتميز من بين الخمسة الذين تم توظيفهم. أخبر فلورانس بهذا الحدث القريب، وكان يسبح في السعادة، وفي الدخان أيضاً.

كان (أنت) يرى أن سنة ألفين كانت سنة (البوردو) ذلك الشراب الفرنسي المتميز، فلا مثيل له للاحتفال بهذه المناسبة، بعد الانتخابات الأمريكية الساخنة اكتشف العالم أنه تم ضرب الصرب بقنابل ذكية، ذكية لكنها مشحونة بمادة اليورانيوم، هذه الكارثة ليست الكارثة الوحيدة في العالم، أنغولا وليبريا مسرح عنف ونهب لا مثيل له، ناهيك عن الجفاف والفيضانات التي اجتاحت العالم، سوف يتذكرها علماء الأرصاد الجوية لمدة طويلة، أما الديك الرومي الذي تشتهر به أمريكا فلم يصب بمرض جنون البقر بعد، ولكنه لا يزال غنياً بمادة الديوكسين، في كل سنة يقوم رجال الإعلام بسرد كل الأحداث المهمة لتذكير من يعلم ومن لا يعلم. عرض (أنت) على (فلورانس) مراجعة علاقاتهم الغرامية منذ بدايتها حتى اليوم.

مثل ما يطلب منه بالشركة التي يعمل بها، فمن المفروض أن يقوم هو وزوجته بإجراء موازنة لمقارنة ما تم تحقيقه وما هو مطلوب.

تفاجأت (فلورانس) من طلبه، ولكنها وافقت، يبقى الحوار والمناقشة أحسن وسيلة للتفاهم.

بقي يوم واحد على قدوم (أورور) فكان ذلك في يوم 21 مارس 2001م، يا لها من بنت جميلة! طولها 52 سم ووزنها 3.4 كغ، كانت مضطربة النوم ليلاً ووالدها

أيضاً، كان الأب يدخن، كي لا ينام لتستريح زوجته، وكان ذلك يتعبه جداً، وكان من الصعب عليه استعادة قواه.

كان ينتظر المشاركة في دورة بأمريكا في فبراير 2002م تمكنه من ترقية أخرى بالشركة، الشركة تثق في كفاءته وهو يثق في ترقيتها له، شركات التبغ التي تتعامل معه أيضاً تثق فيه، ولكافأته طلبت منه إحدى الشركات تزويدها بعدد من المواد الإضافية منها مادة الإيزوبوتيل ومادة الفورمول ومادة الغواياكول ومادة البيريدين ومادة الديهدور ومادة المنتيلتيانو، ومادة البيريمدين، تشكل هذه الطلبية وحدها 43% من مبيعاته فهذه فرصة العمر، ولكن يا لها من مواد سامة!

بينما كان يحلم بهذا الرقم القياسي وهذه المبيعات الهائلة، تذكر شيئاً مهماً، تذكر أن إحدى شركات السجائر الكبرى تعتمزم الإغلاق؛ لتنتقل إلى إحدى الدول المنافسة في أسعار اليد العاملة الرخيصة التي تتسم قوانينها بالمرونة.

أصيب (أنت) بسعال حاد من جراء هذه الصدمة المفاجئة، فذهب للطبيب فوصف له مشروباً مصنوعاً من الغواياكول المذكورة أعلاه، وهو مادة مهيجة ومهدئة للسعال، فهي من المواد المصنعة في الشركة التي يعمل بها.



# الفصل 21

(أما ماظر) تدل على جمهورية (عادية شعبية، ديمقراطية) أو تدل على مملكة، يتم انتقادها باستمرار، ولكنها مملكة مرغوبة كما يبدو، مرغوبة لاستغلالها في تحقيق بعض المكاسب الشخصية، مهمة أيضاً لسهولة الحصول على الأموال فيها وعلى العبث بقوانينها، بمرور الزمن أصبحت المملكة الأم الحنون التي تتفانى في حماية ولدها، فهي الأم الثانية بعد الأم الحقيقية، في الزمن القديم كان يحكمها محاربون تخلوا عن بدلة الحرب واستمروا في الحكم، أما الشعب فلا هم له إلا الطاعة والولاء، لكن الزمن تغير والشعب أيضاً، فهو يطالب بالمرونة، فالكل يرغب في العيش في رفاهية وأمن، بعض المنافقين لازالوا يلعبون بمصير الشعب.

ونتيجة كل هذا واضحة: بدل توجيه الحياة الاجتماعية نحو الطموحات الكبيرة تقوم الحكومات المؤقتة باستغلال الوقت الحاضر، بعد إجراء استطلاع بسيط وانتخابات أبسط من أجل إجراء تعديلات جذرية على الدستور، (أما ماظر) لا تعبر عن إرادتها بل تكتفي بالاستماع فقط، تبخر الحكم وتبخر السلطة أمام القرارات، فإذا تم تنفيذها فمفعولها رمزي فقط، لا يمكن للحكومة أن تعترض أو تقول مجرد: (لا).

أصبحت السلطة خلال القرن المنصرم في يد المؤسسات المالية والمجموعات المختلفة، أصبحت الديمقراطية لا تخضع إلا إلى المال والمال فقط، من الملاحظ أن

هذه الديمقراطية تخضع لسيطرة شركات التبغ فقط، لا تهديد من أي كان، من قبل كان أي تهديد مثل هذا يحدث ردة فعل قوية من الشعب، أمام (تبغ قايت) مثل هذا لا أحد يتكلم وخاصة تلك الجمعيات وأولئك الأفراد المناهضين لصناعة السجائر، فلا حول ولا قوة لهم، فهم مجردون من أي سلاح لمقاومة هذه السلطة الخفية، الصعوبة الأولى التي تواجههم هي شرعية صناعة التبغ وقانونيتها، ولاشك أن (الما ماطر) لا تتجرأ ولا تريد منعها، بالإضافة إلى هذا فهذه الشركات مصدر رزق للكثير من مزارعي التبغ، بالإضافة إلى المساعدات المقدمة من الدول الأوروبية بمقدار 7.400 دولار لكل هكتار من الأرض.

فالزراعة مضمونة لماذا التخلص منها؛ فالحكومة أصبحت مشلولة اليوم بإهمال من الناخبين بالأمس، أولئك الناخبون الذين استسلموا للأمر الواقع وتركوا السرطان يتغلغل في مملكتهم المسالمة.

كان لهذه الملكة ابنة عم تدعي (حمص) اشتهرت بمقاومتها للتدخين، فقد قامت ابنة العم بتحريضها على التحرك، لكن ملكة ألما ماطر لا تحب الضغوط ولا الإكراه، تريد فقط التصرف من تلقاء نفسها، فقامت بتكليف أحد الشيوخ البارزين بتولي هذه المهمة الصعبة وإعداد تقرير بخصوص ذلك، قام بذلك فذكرهم أن السجائر قاتلة وأن أدباتريس، سوف يفتك بمليار شخص خلال هذا القرن، لا يكفي التقرير بذلك، بل يؤكد أن المشكلة هي مشكلة الإنسانية كلها. مملكة (ألما ماطر) ليست المستسلمة الوحيدة، بالرغم من هذا اعترف الشيخ أن هناك إيجابيات للسجائر، فقال ساخراً: «إنها ضريبة على الجميع، الضريبة الوحيدة التي يدفع ثمنها أطفال أعمارهم (11) سنة أو أقل».

زيادة على ذلك ضريبة رسمية قدرها 76٪، حسب رأيه يجب التفكير جيداً في العواقب قبل أي تحرك، فهو يتصور أن أي تحرك قد يحدث ثورة عند الشباب الذين يحملون لوحات كتب عليها «أيها اللصوص تمتصون أموال دافعي الضرائب»، وأخرى من طرف غير مدخنين كتب عليها: تسممون المواطن الذي يدفع لكم الضرائب، هذه

الضرائب تمثل 7 إلى 15% من ميزانية الشؤون الصحية، و7% من الضرائب المفروضة على السجائر قد تغطي النفقات المستقبلية. و15% منها تغطي فقط نفقات اليوم، ولا تكفي لتغطية نفقات الغد.

بموجب ما تقدم يتضح أن نفقات هذه المملكة على المدى القصير تغطيها ضرائب المدخنين، أضاف الشيخ الخبير أن أي ميزانية تخصص للوقاية من التدخين لا تمثل إلا واحداً من ألف من الضرائب المفروضة على التدخين، ولا تمثل إلا جزءاً زهيداً منها. فهو يتنبأ بمخاطر جانبية سوف يتعرض لها الوزراء بسبب هذه المبالغ الزهيدة التي لا تكفي لحماية المواطن من خطر السجائر، سوف يحصل لهم ما حصل في بلد مجاور، بما أن الوزير المسؤول عن الصحة العمومية بلغه هذا الخبر وخوفاً من مقاضاته بتهمة عدم إغاثة المواطن المعرض للخطر، فقد أمر بمضاعفة هذه الميزانية إلى أربعة أمثالها.

وبهذه الطريقة يكون الوزير قد أغلق هذا الباب واحتمالاته السيئة.

بالرغم من هذا الإجراء أعمت سحابة من الغضب مملكة (ألمانيا ماطر). ليس هناك مجال للراحة أبداً، يتابع شيخنا، ويقول: إن محاربة التدخين ضرورية؛ لأنها تحسن من زيادة فرص العمل، ويبدو هذا شيئاً غريباً طبعاً، ويتابع ويقول: إن عدد مزارعي التبغ قد لا ينخفض من جراء محاربة السجائر؛ لأن استهلاك السجائر في تزايد حول العالم، ودخل هؤلاء المزارعين مضمون بالمساعدات الحكومية، نهايتهم مربوطة بشركات السجائر التي تبحث دائماً عن مزارعين أرخص، وخاصة مزارعي الدول الإفريقية، والدول المهتدة بالتصحر؛ لذا التزمت المملكة السكوت على هذه الظاهرة السيئة، غير أن كل مدخن يتوقف عن التدخين يتم منحه راتبين أو ثلاثة رواتب إضافية سنوياً يتجاوز 1.500 دولار على العلبة الواحدة، أيتصور المدخن أن ما يصرفه على السجائر زيادة عن القهوة اليومية ومشروبات أخرى، كل هذه المصاريف سوف تخصص للرفاهية، فتسهم في زيادة الوظائف، إذا انخفضت نسبة المدخنين بنسبة 40% سيسهم ذلك في إيجاد 500.000 وظيفة جديدة، هذا يهم مملكة (ألمانيا

ماطر) التي تبحث عن أي وسيلة تسهم في الحد من البطالة؛ لذا اختارت الشعار الآتي: كل يورو يذهب إلى شركات السّجائر يسهم في اختفاء وظيفة، ومن التوصيات المطروحة محاربة التهريب والمهربين؛ لأنهم يسهمون في التهرب من الضرائب والحد من التدخين والاستيلاء على جزء من السوق بصفة غير قانونية، هؤلاء المهريون يحرمون الدول الأوروبية من مليارات نتيجة التهرب من الضرائب، جزء من هذه الخسارة تتحمله مملكة (ألمانيا ماطر)، أما الجانب الإيجابي للسجائر (فهذا في الخيال فقط)؛ لأن شركات السّجائر يستفيد منها بعض الناس فقط، لو تم التخلص من بعض المدخنين في سن الصغر (7-14 سنة) سوف تقتصد المبالغ التي كانت ستخصص لعلاجهم، بالإضافة إلى نفقات تقاعدهم المبكر، وبهذه الطريقة يتحقق التوازن المفقود حالياً، (ألمانيا ماطر) تود لو يحصل ذلك وتأسف لعدم تحركها هي وزميلاتها الأوروبية لإيقاف شركات السّجائر والمهربين عند حدهم ووضع نهاية لعملياتهم الإجرامية.

يتضح أن أوروبا تأوي العديد من العملاء المتعاطفين مع شركات السّجائر لأسباب معروفة وأخرى غير معروفة، منها التمويل لبعض الأحزاب السياسية، هؤلاء سمحوا باستمرار الدعاية بدعوى أن السّجائر تباع قانونياً، من هؤلاء العملاء كثير من رجال الأعمال الذين يعملون في الخفاء لصالح شركات السّجائر، ولا بد من اكتشافهم ووضع حد لأعمالهم المدمرة.

انتهى التقرير الذي أعده الشيخ الخبير بالتوصيات الآتية:

### (الإجراءات اللازم اتخاذها فوراً)

- إلغاء كل أنواع الدعاية مباشرة أو غير مباشرة، ومنع كل وسائل الإعلان مثل اللوحات المضيئة، والملابس وسباق السيارات والفورميولاون بالذات، كما يمنع تمويل ندوات المودة والمسابقات أيأ كانت التخفيضات على الأحذية المروجة للسجائر والإكسسوارات وأغلفة الجوالاات وغير ذلك.

● تخفيض محلات البيع والتوزيع ومنح أصحابها تعويضاً مناسباً.

● تحديد سعر أدنى لعلبة لا تتجاوز 20 سيجارة.

● رفض أي احتكاك بشركات التبغ، سواء للوقاية منها أو لتقبل أموالها، وخاصة تلك التي كانت تخصص للأحزاب السياسية.

● تقويم كل المساعدات، غير المساعدات الصيدلانية.

● تحطيم صورة السيجارة بحملة كبيرة تساوي حملة العدو اللدود ووسائله المدمرة، يجب التركيز على الشباب المدخن، خاصة الشاب المعرض للفشل المدرسي، المهضومة حقوقه، الحزين الوحيد، المهدد بالانتحار، المحروم من لذة الطعام ويفتقد إلى حنان الوالدين وقبلاتهما، حتى وسائل الماكياج وأجود الكريما لا تؤثر في وجهه، كما يجب التركيز أيضاً على الدعاية الكاذبة حول الحرية والاستقلالية، كل هذا من أجل شباب يتمتع بحياة صحية أفضل، حياة مقبولة من الجميع، ويجب التخلص من الشعار الزائف الذي يدعي أن السجائر هي رمز من رموز الثقافة والاقتصاد.

● بالإضافة إلى أنها مسببة للسرطان، فهي تقيد الحرية وتمتص المال.

● استخدام المشاهير من ممثلين ورياضيين وكتاب إلى آخره للإدلاء بشهادتهم بعد أن تحرروا من التدخين.

● إعلان 31 مايو (يوماً عالمياً بدون سجائر) وإيقاف العمل مدة دقيقة واحدة ترحماً على ضحايا تدخين السنة الماضية.

● تعويض بائعي التبغ عن الخسارة التي سوف يتكبدها بمنحهم مساعدة مناسبة ودمجهم بصفة قانونية في لجان مقاومة التدخين.

● رفع أسعار السجائر؛ لكي يتخلى الناس عن شرائها واستفادة الدولة من الضريبة العالية وفقاً للمعادلة.



● 10% على سعر البيع = -4% من المبيعات إذن: +6% من دخل الدولة.

● تشجيع المزارعين على التخلي عن زراعة التبغ وزراعة محصول آخر يستفاد منه.

● إجراء دراسة حول نتائج هذه الإجراءات ودراسة حول أضرار السجائر بعد إدخال مادة لماعة على ورق السجائر: وما هي إجابة من تبقى من المدخنين حول هذا الموضوع بعد أن تخلى الكثير عنه.

● تسهيل عملية التخلص من التدخين بحملات توعية تشمل الجمهور والمؤسسات، بالإضافة إلى المسؤولين عن الصحة العمومية.

● وضع خط هاتف أخضر يتلقى مكالمات المدخنين لإرشادهم وتقديم النصح.

● إلغاء الضريبة الإضافية على المستوصفات والمصحات التي تساعد على التخلص من التدخين.

● التكفل بجزء من نفقات العلاج (علاج إيقاف التدخين).

● إجبار رجال السياسة بمن فيهم من الإداريين، والمدرسين، والأطباء والمرضى الذين لازالوا يدخنون على عدم التدخين بالمرافق العامة وبصفة صارمة.

● إجبار كل المرافق العامة، بما فيها المدارس والمؤسسات على تطبيق الأنظمة الخاصة بحماية الجميع من التدخين السلبي.

● إشعار المؤسسات بـ (ضرائب السجائر) أي كل الضرائب التي سوف تتحملها المؤسسات التي تبيع التدخين، وتقدر هذه الضريبة بـ 1500 إلى 5600 يورو على كل مدخن سنوياً.

● توعية المؤسسات؛ لكي تشعر أن مكافحة التدخين سوف تحسن من إنتاجها وتزيد من المنافسة بين العمال وتسهم في رفع نسبة الفنين السامين في المستقبل، بعد أن تتبأ الاقتصاديون بندرتهم سنة 2010م.

● توجيه المؤسسات لتتحول إلى مؤسسات خالية من التدخين، وفيما بعد إلى مؤسسات خالية من المدخنين.

● إجبار مصنعي السجائر على تجهيز كل علبة سجائر بمسطرة صغيرة لقياس آثار التدخين على لون الفلتر؛ ليسهم ذلك في إيقاف التدخين.

● مطاردة المهريين بصفة مستمرة وتسليط العقاب عليهم دون شفقة ولا رحمة ابتداءً من المتعاونين محلياً إلى الرؤوس الكبيرة المسترة.

### إجراءات يجب على أعضاء السوق الأوروبية المشتركة اتخاذها

● إجبار شركات السجائر على كتابة: (التدخين مضر بالصحة) على واجهة من علبة السجائر وإرفاق صورة في الواجهة الأخرى تعبر عن كل مضار السجائر من سرطان وموت مفاجئ، وبتر الأطراف، والتجاعيد، والوحدة، والملل وضيق المعيشة.

● وتخصص مساحة قدرها سنتمراً مربعاً واحداً للدعاية على كل علبة، وتكتب باللون الأبيض والأسود ويتم تغميم اللون الأبيض والأسود على كل العلب ومنع استعمال الألوان الأخرى عليها منعاً باتاً؛ لكي لا تتميز نوعية (ماركة) على أخرى.

● تغميم النصوص الصحية على المواطنين وجعلها تتماشى مع سلوك المدخنين لتشجيعهم على التخلص من أي مادة مخدرة.

● إخضاع المصنعين لقوانين صارمة كتحديد نسبة النيكوتين والقطران وتحديد كل المواد الإضافية ومضراتها وخاصة تلك المعروفة من الجمهور والخطرة منها، بالإضافة إلى تلك غير المعروفة كالفورمول ومادة النيتروزامين والبنزوبيرين وحمض السيانييد، والكروم والنيكل والبولونيوم 210 المشع.

● يجب إشعار المدخن أيضاً بمضار التدخين على الجينات وعلى سلوكه، وبهذه الطريقة تصبح العلبة أداة تسهم في محاربة التدخين ومحاربة أصحابه.

- إجبار أصحاب شركات السجائر على التكفل بتكاليف العلاج لمن يصاب بواحد من الثلاثة والعشرين مرضاً المعروفة التي يسببها التدخين.
- منع كل السجائر التي تدعي أنها (لايت) خفيفة؛ لأن الميت ميت، سواء قتل بطلقة أو طلقتين أو ثلاث، فمنهايته الموت.
- إجبار الشركات على تحديد المواد المضافة كافة دون استثناء وعمل قائمة لها دون إخفاء أي مادة مضرّة بالصحة العمومية.
- إجبارهم على التخلص تدريجياً من هذه المواد الإضافية.
- إصدار قانون جديد لتحديد نسبة النيكوتين والقطران وقياسها.
- العمل على تعميم قانون على دول الاتحاد الأوروبي لرفع أسعار السجائر إلى أعلى مستوى، تاركين لهم الحرية في الزيادة أو النقصان بنسبة 5٪.
- وضع نظام تتبّع لكل علبة سجائر تباع.
- وضع برنامج عمل للتسيق مع المنظمة العالمية للتجارة.
- يُقترح على المنظمة العالمية للتجارة بالتسيق مع الدول الأوروبية أن تتخذ إجراءات المراقبة والحد من الطلبات على المواد التي تدخل في تصنيع التبغ، إذ إن ذلك من صالح صحة الناس، والصحة أولى من أي ربح كان.
- لهذا الغرض يجب إنشاء ديوان عام مستقل عن الحكومات التي تتعاقب وتزول، بينما التدخين باق ويدوم، مهمة هذا الديوان ليست مهمة مالية ولا ضريبية، ويجب تدوين ذلك في دستور هذا الديوان، ويجب أن يلتزم الديوان بهذا الدستور كلياً، وألا يحارب، ويلغى مثله مثل السجائر، وتقتصر مهمته على الآتي:
- يكون هو المشتري الوحيد لمواد التبغ.
- يقوم بتوزيع هذه المواد على نقاط البيع بصفة انتقائية.

- إلغاء أي تخفيضات وأي حوافز عن السجائر.
- التصدي لأي عملية مضادة لعمليات الوقاية من التدخين.
- إجبار المصنعين على تصنيع سجائر أقل مضرّة من السجائر الحالية.
- مساعدة نقاط البيع على التخلي عن بيع السجائر وتشجيعها على بيع مواد أخرى.
- القيام بحملات توعية بالتنسيق مع الحملات الأخرى لحماية الشعب.
- إجراء دراسة عن إمكانية شراء مصانع السجائر من أصحابها بالتنسيق مع المنظمة العالمية للتجارة.

● بموجب كل هذه الإجراءات الصارمة لا بد لمملكة (ألمانيا) أن تتحرك، فقد قررت أن تستشير جارتها (حمص)، فهذا الجار العنيد يتسم بقوة أهل الشمال الذين لا يؤمنون إلا بما هو ملموس، عكس تماطل (ألمانيا) وتردها ونفاقها، فإن حمص تتسم بصلابة الأب الصارم المتمكن المتحد، غريب أمره هذا الجار، فهو يتسم بصلابة (تاتسر) ولا يتساهل مع السجائر.

قبلت مملكة (ألمانيا) كل توصيات الجارة بما فيها إجبار الشركات على استعمال ورق بالموصفات المطلوبة دولياً، (فليو) كما يسمونه، كل اقتراح يضر بمصالح شركات السجائر مرغوب ومطلوب دون انتظار وتباطؤ (ألمانيا) في تنفيذ الإجراءات. واقترح الجار العنيد تكاتف كل الدول الأوروبية العالمية من أجل محاربة السجائر؛ فالكل يحلم بعالم خالٍ من التدخين، وأصررت على أن صناع الموت العالميين متكاتفون ومتحالفون لتنفيذ جرائمهم النكراء.

لمواجهة هؤلاء المجرمين تقوم 215 دولة باتخاذ إجراءات انفرادية تختلف من دولة إلى أخرى لا تفيده ولا تجدي؛ لأنها تفتقد إلى الجدية والصرامة؛ فالجار حمص يرى أنه كفيلاً بالقيام بهذه المعركة إذا تعهد الجميع بالاشتراك فيها دون تردد. فهي تقترح اتباع سياسة متناسقة وإعداد خطة واضحة.

لمحاربة للسجائر غايتها ما يأتي: مراجعة قانون حرية التدخين المسؤول عن موت الكثير من الأبرياء؛ ففي هذا القانون إجحاف وتجاهل للإجرام والمآسي التي تلحق بعائلات المدخنين ضحايا السجائر، حمص يريد استشارة الشعب حيال هذا الموضوع.

عندما تذهب إلى بريطانيا تلاحظ أن الناس يسوقون على اليسار، تتعود على ذلك بسرعة، المدخنون أيضاً يستطيعون ذلك؛ فالمدخن الذي توقف عن التدخين مثل السائق الجديد ببريطانيا، إن ذلك يشبه إلزام الناس على استعمال حزام الأمان والنتائج معروفة في كل أنحاء العالم، هنا أيضاً استطاع العالم بأسره أن يغير سلوك السائق وعاداته، حتى السجائر فمن له الرغبة في الإقلاع وله الإرادة فيمكنه تغيير سلوكه وعاداته.

هنا فطنت مملكة (ألمانيا) وتساءلت:

- ماذا أستطيع فعله؟ وماذا يجب أن أفعل؟

- يمكنك البدء قبل إمضاء الاتفاقية بين أعضاء السوق المشتركة، فيمكن البدء بتنفيذ بعض الاقتراحات التي سبق وأن اقترحها عليك شيخك الحكيم: برفع أسعار السجائر بزيادة بين 20 و30٪، وبعد مدة عمل الشيء نفسه، فهذا سوف يقع على الصانع وقع الصاعقة وعلى الشباب المدخنين أيضاً، قم بذلك ولا تخف من أعمال المصنعين الشيطانية، فسيقومون دون شك بمهاجمة شحنات السجائر أو حرق بائعيها لبث الرعب لديكم لثيكم عن تأجيل قراركم أو إلغائه أو عدم تنفيذه أصلاً، ويمكنهم أيضاً التلاعب بالتغليف لإهانة أصحاب القرار، وخاصة الشؤون الصحية، يمكنهم أيضاً إلغاء مفعول الزيادة بتخفيض عدد السجائر في العلبة الواحدة لتخفيض سعرها، انتظر أي شيء تتوقعه من هؤلاء الأوباش.

يمكنهم فعل أي شيء، لقد حذرتك، فلا تنس عند كل زيادة تفرضها عليهم أن تقوم بتعليقها: من أجل صحة المواطن، لا من أجل الضرائب. إذا لم تفعل ذلك فسوف

تخسر الانتخابات القادمة، يمكنك أيضاً ملاحقة المهريين في كل مكان ومنع أي نوع من الدعاية المباشرة وغير المباشرة، ومنع التدخين في الأماكن العمومية وغيرها ووقاية غير المدخنين في المؤسسات وفي كل الأماكن العامة، يمكنك أيضاً منع بيع السجائر بالسيجارة الواحدة ومنع سباقات السيارات الفورميولاون الممولة من قبل مصانع السجائر، وإشعار المدخنين وغير المدخنين أنكم تفضلون ذلك من أجل حمايتهم، يجب مخاطبتهم بكل صراحة وإقناعهم بالعمل معكم للكف عن التدخين، ويمكنكم أيضاً منع وضع مكائن التوزيع الآلي في الأماكن العمومية والمقاهي وغير ذلك، ومنع تمويل النوادي الرياضية أو الثقافية من شركات التدخين، يمكنكم أيضاً الاقتراح على القائمين على التلفاز أو موزعي الأفلام إلغاء اللقطات التي تستخدم التدخين أو تهديدهم بالمقاطعة، وسوف يرفضون لكنهم سرعان ما يستجيبون وهذه فكرة رائعة لثيهم، وذلك باستخدام الشعار الآتي: إذا أردت أن تصبح غنياً فتوقف عن التدخين، ويمكنك استغلال هذا الشعار واستخدامه كسلاح جيد .

يمكن تصعيد معركة محاربة التدخين التي كانت تقوم بها حتى الآن بعض الجمعيات وبعض الندوات وقله من الباحثين وبعض التجمعات والاتحادات والجماعات وغيرهم بما فيهم الاتحاد ضد التدخين، والاتحاد هو ما يلزمك؛ لأن كل هؤلاء يحاربون الشركات دون تنسيق مجهودهم، بينما شركات السجائر تدافع عن مصالحها وتقاوم مع بعضها، ويمكنك إنشاء منظمة تقوم بالتنسيق مع كل من يحارب التدخين لتوحيد المعركة، بعمل برنامج وتحديد الوسائل لمتابعة هذه المعركة، فتايلندا تعد من الدول الرائدة في هذا المجال، وقد أثبتت نجاحها. يجب أن تقفوا موحدين ضد هؤلاء الأشرار، يمكنكم تكليف هذه المنظمة بعملية التوزيع لكسر جناح الشركات المصنعة التي تعتمد على العرض والطلب، ولا يمكن أن تقوم بهذه المهمة إلا منظمة قوية ومتماسكة، فلا يقوم بالمعالجة إلا الطبيب، كما يقول المثل .

أنا أظن أنه يلزم إيجاد مدير محنك لإحدى شركات السجائر، بحيث يعمل على اكتشاف أسرارهم وألعايبهم، ويعمل بصفة فاعلة، مع مضاعفة المجهود إلى 100٪،

ويمكن تخصيص 1% فقط من الضرائب لإنجاح هذه المهمة؛ لتُكسر شوكة السجائر وتُحطّم صورتها السيئة القبيحة.

- وهل تظن أن هذه الطريقة ستجح؟

- في كاليفورنيا مثلاً انخفض عدد المدخنين بـ 700.000، فكل دولار استثمر في معركة التدخين رجع بالفائدة على الشؤون الصحية بتوفير ثلاثة دولارات وخلق وظائف جديدة، وكندا هي الأخرى أصبحت نسبة المدخنين فيها لا تتجاوز 15%، وتكاليف كل سنة يعيشها المدخن هي (30) يورو، أما تكاليف المريض بالسكر فتساوي 15000 يورو.

- ولكن لتكون المعركة ناجحة يجب على أوروبا كلها أن تشارك في المعركة نفسها، ولتكون أنجح يجب مشاركة العالم أجمع فيها.

- هذه طريقة للتهرب من المعركة، إذا قمت بمواجهة شركات السجائر اليوم فلن تكون الوحيد في العالم ولا آخر من يواجهها، أوروبا كلها ومنظمة الأمم المتحدة أيضاً ستشارك في هذه المعركة، ولكن لا يستطيع لا هذا ولا ذاك القيام بمعركتك.

- برأيك ما هي الطريقة السهلة وغير المكلفة للقيام بحملة ناجحة؟

- إقناع كل طبيب، وكل ممرض، وكل مدرسة باقتناء جهاز قياس نسبة النيكوتين وتدريبهم على دقة استخدامه لإجراء هذه القياسات.

- سوف أواجه معركة شرسة مع شركات السجائر؛ لأنها سوف تطالب بمناطق للمدخنين في المرافق العامة، وسوف تطالب بحق المواطن في التدخين.

- دعها تطالب بما تشاء وقم بتغيير القوانين التي لا تخدمك وعدلها بقوانين تساعدك على رفض مطالبها.

- فغير المدخن له الحق أيضاً في تنفس هواء نقي غير ملوث، أما المدخن فله الحق

في التدخين بشرط ألا يصل دخانه إلى أماكن تأوي غير المدخنين، أماكن لا ترغب الدخان أصلاً، في هذه الحالة يصبح التدخين عملية غير قانونية؛ فالمدخن وغير المدخن له الحق في السلامة والأمن، ومن أجل سلامتهم يلزم التقليل من الدخان أو الحد منه ومنع شركات السجائر من إغرائهم بإعلاناتها المعسولة الخادعة، لكل فرد الحق في التدخين أو عدم التدخين أو التوقف عنه وله الحق أن يسمع رأيه، كما له الحق في المطالبة بالتعويض في حالة إثبات ضرر التدخين على الصحة، بالإضافة إلى حقه في العيش في جو سليم خال من الدخان، أود لو تجردتم نهائياً من أي شعور بشيء من المودة التي كنتم تبدونها لأصحاب هذه الشركات المدمرة، أنتم لا تجهلون أن القضاء الدولي يهتمهم بإحدى عشرة تهمة من بينها تهم القتل العمد والمنظم ضد البشرية كالتعذيب والإبادة الجسدية وغيرها من الأعمال التي تسبب إعاقة دائمة أو مرضاً مزماً أو إعاقة عقلية، تولد آلاماً دائمة ومميتة. تلك هي الاتهامات الموجهة إلى صناع التبغ المميت، سوف أعمل كل ما في وسعي لمحاكمة هؤلاء القتلة في المحكمة الدولية، إنني أنتظر مساعدتك في هذه القضية حتى ميلوزفتش السفاح لا يثير الخوف مثل هؤلاء المجرمين، فهو قاتل هاو بالنسبة لهؤلاء المحترفين.

اقتنعت ابنة العم (ألماماطر) وانصرفت مستعدة للتحرك، تم استدعاء وزير المالية المشهور بتدخينه، وفوجئت أنه قام بزيادة الضرائب على التدخين آخر لحظة وتخصيص جزء منها لخدمة الشعب، وشاركه وزراء آخرون في استخدام جزء من هذه الضرائب لصالح المصلحة العامة أيضاً، وزير الداخلية مثلاً استغل هذه الأموال لمحاربة الإرهاب على المدى القصير، المهم هو زيادة هذه الضرائب وعدم الاهتمام لمن تذهب هذه الأموال، يقول المفكر الكبير (تاليراند): أتعهد بالقضاء على هذه الآفة الرهيبة يوم تدلونني على فضيلة واحدة قادرة على أن تدر الملايين على الدولة سنوياً؛ لذا المهم أن نسلبهم الملايين والمليارات إذا أمكن.





## الفصل 22

بلغ (أنت) 22 عاماً من عمره، بمناسبة عيد ميلاده كانت هدية ابنته (أورور) (الفجر) ابتساماتها المتواصلة، كاد يذوب أمام هذه الابتسامات البريئة وهي في حضن أمها فلورانس، نسي (أنت) الشعار العالمي الذي يدعو إلى عالم دون سجائر، لكن أباه ذكره بحملة سنة 2001م الجديدة: «الدخان السلبي يقتل، فلنقم بتقوية الهواء»، ثم قال الأب بعد أن كف عن التدخين وأصبح من أشد المحاربين له:

- هذا ما قمنا به في العمل وفي البيت.

تساءل أبو (أورور) كم من قارئ وقارئة يعرفون معنى هذا الشعار الجديد؟ فهو يعرف معناه جيداً، ولكنه يعد نفسه غير معني بهذا الشعار؛ لأن أغلب غير المدخنين فرضوا عليه عدم مجالستهم أو المغادرة لتلويث الهواء في مكان آخر، في الشركة التي يعمل فيها يمنع التدخين إلا في المكان المخصص لذلك في القبو الذي يفترق إلى التدفئة ووسائل الراحة، غير أنه مجهز بجهاز شفط الدخان.

حملة محاربة التدخين هذه لا يرتاح إليها أحسن زبائنه، فهي تطارد المدخنين في كل مكان ولا تسمح لهم باسترجاع أنفاسهم، لقد فقدوا حقهم في التدخين، هذا ما قاله هذا المشتري المهم، أبو (أورور) الذي تنبأ بأكثر من ذلك، فسوف يفرضون

حصاراً كاملاً على المدخنين، شبه (أبارتايد) ضد المدخنين، وهذا سوف يؤثر في الاستهلاك للسجائر، وربما تضطر الشركة إلى البحث عن مكان آخر أكثر أمناً لنقل مصنعها إليه.

سوف تلتحق زوجته بالتدريس هذا الصيف في شهر يونيو، أما ابنتهما (أورور) فكانت تنتقل من جدة إلى أخرى، بينما العطلة الصيفية فقد تم الاتفاق على قضائها في بيت ريفي صغير، يبعد 100 كلم عن بيتهم، فهو بيت مريح يؤمن لهم الهدوء والطبيعة الجميلة، وفي شهر أغسطس قام الزوجان بإجراء تعديلات في سكنهم لتحسين المعيشة، فكان لابد من اللجوء إلى البنك من جديد لأخذ قرض لهذا الغرض.

وفي 9 سبتمبر تمت الموافقة على إجراء الدورة بأمريكا، وتقرر سفر أبي (أورور) في شهر فبراير 2002م على أمل البقاء هناك شهراً، كان لذلك أثر كبير عليه، فهذا دليل على أنه سوف يُثبَّت ويستمر على رأس وظيفته مهما كان قرار أحسن زبائنه الذي يفكر في الرحيل؛ لذا يجب عليه إتقان لهجة تكساس التي سوف يقيم بها مدة شهر كامل، بعد يومين انهارت أبراج المركز العالمي بنيويورك وانهار معها مشروع الدورة ككل. تابع هذا الحدث مليارات من المشاهدين، هذه المناسبة تعادل جرائم صانعي التبغ حول العالم مدة 5 ساعات أي 0.05% من إجمالي ما يفتك به التدخين سنوياً، وكان لابد من التوقف عن العمل دقيقة ترحماً على ضحايا هذه الجريمة النكراء.

لقد خيم جو من الهلع لا مثيل له، شمل الأسواق المالية وغير المالية، قامت الشركة التي يعمل فيها بإلغاء كل السفريات الدولية التي كان مخططاً لها منذ مدة، وبقيت الحجوزات الداخلية سائرة المفعول داخل أوروبا، لم يحصل أي تغيير على مبيعات أبي أورور، حتى تلك الخاصة بأحسن زبون له ارتضعت لطمأنة الزبائن المدخنين، وفي هذه الأثناء تفاجأ من جديد بالرسالة المجهولة ففتحها وقرأها باحتقار ثم سلمها إلى فلورانس، فكان مضمونها كالاتي.

## لقد تم الحكم عليك بالموت من طرف

### يتبع

منذ 5 سنوات وهذه اللعبة تدوم، هذا خبر جيد: إنه يوحي أن الرسالة القادمة سوف تكون الأخيرة.

- لكن، قل لي ماذا فعلت قبل سنة 96م حتى يتم الحكم عليك بالموت؟

- لا شيء، كان يمكن أن تتجه هذه الرسالة إليك، أنت أيضاً مهددة كلنا مهددون، أليس كذلك؟

- طبعاً كلنا مهددون؟ لكن سوف يتضح ممن في الرسالة القادمة، لنتنظر هذه الرسالة، قالها الزوج وهو يسعل.

- هذا لا يمنعنا من التفكير، قالت فلورانس ذلك بشيء من الدهشة: باستمرارك في التّدخين تذكرني بركاب طائرة تمكن منها الإرهابيون، فصار ركابها ينتظرون نهايتهم وكأنهم يشاهدون لقطة سينمائية لإحدى الكوارث.

بعد شهر من استلام هذه الرسالة قام الزوجان بإجراء موازنة لحياتهم الزوجية واستعراض الإيجابيات والسلبيات، تم ذلك في أحد المطاعم الراقية في أثناء العشاء، قرر الزوجان إجراء بعض التعديلات على حياتهما لتحسين الوضع، وقررا أن يتم ذلك في أوقات معينة، كان كل واحد يعتقد أن علاقتهما إيجابية، فقررا بموافقة الطرفين الاستمرار سنة على هذا المنوال، النقطة السوداء في هذا كله هي التّدخين اليومي، كما يجب عليه أن يعطي وعداً على نفسه أن يقلل من التّدخين للوصول إلى 5 سجائر يومياً قبل عيد ميلاده الثالث والعشرين، بالرغم من الصعوبات التي واجهها من قبل، فقد قبل هذا التعهد، إنه يعرف أنه سيواجه الصعوبات نفسها لكنه سوف يصمد للتقليل من أثر النيكوتين المتزايد عليه، إنه يعرف أيضاً أن موافقته بالتقيد بعهده مرهونة بمدى صدقه في الوفاء بذلك، وهذا يضايقه بالطبع، هرب من الواقع وأخذ يحلم، فرأى فجأة أن عروساً سحرية ذكرته

بأحاسيسه الأولية عند بدايته التدخين، في الواقع ليس هناك أي عروس سحرية، بل إن إحساسه الشديد بالرغبة في النوم هو الذي جعله يشعر كأنه في حلم، لقد خدعه صديقه فيليب وكذلك موريس، كلامهما كان مجرد كذبة، كذبا عليه عندما قال له في بداية تدخينه: إنه يمكنه التوقف عن التدخين متى ما شاء، فكانت العبارة الأولى عبارة عن علبه محشوة بالكاذب.

غادر الزوجان المطعم، وكان أبو أورور يتململ بين الحلم والواقع، كيف لعب عليه موريس وفيليب بأكاذيبهما؟ عند توقفهما عند أول إشارة فاجأهما أحد المارين بتوقيف سيارته وتفريغ طفايته أمامهما، كان أبو (أورور) لا يتوقف عن التدخين، لقد توقف عن تناول الشراب التي أعطاه إياه الدكتور؛ بدعوى أنه يحتوي على مادة النيكوتين المضادة للسعال.

منذ زواجه توقف عن مزاوله الرياضة وكل نشاط فيه خطورة على قلبه، في السنة السابقة كان يزاول رياضة الهرولة مدة ساعة يوميا، أما هذه السنة فاكتفى بالمشي فقط؛ لأن نفسه ضعف ثم قال في داخله:  
- سوف يزول كل شيء.



## الفصل 23

بعد أربعة أيام وصل ملف (دوبوا)، كان آدباتريس في اجتماع مع الستة زملاء بمقر الشركة الرئيس بسويسرا، موضوع اللقاء التنسيق حول سياسة الدفاع عن المصالح، بتعبير آخر مقاومة الأعداء، أعداء التّدخين مهما كان حجمهم، فالموضوع مهم جداً، لدرجة أنه تم تجنيد كل المحامين العاملين لصالح الشركة، بالإضافة إلى أعضاء اللوبي.

هؤلاء الأعضاء يتمتعون بقدرة مالية كبيرة مثل تلك التي يتمتع بها اللوبي الصهيوني المدافع عن إسرائيل أو ذلك اللوبي القوي الذي يدافع عن صناعة الأسلحة، فهم يتدخلون على ثلاث جبهات:

أولاً: يدافعون عن حق المدخّن في التّدخين، ويعدون الجمعيات والمؤسسات المناهضة للتّدخين، وحتى بعض الحكومات أعداء لهم.

ثانياً: يحاربون الأحزاب بتقديم الرشوة لهم.

ثالثاً: يقومون بعرقلة كل القوانين التي تصدر ضد التّدخين، فلا يتصور أحد قوة هذا اللوبي في التأثير على عالم السياسة، وعالم التجارة سواء أكان حراً أم عاماً، وحتى منظمة الأمم المتحدة لم تسلم من شرهم، فهم يلجؤون لكل الحيل، حتى أصحاب القرار لا يسلمون من مؤامراتهم. وزير بريطاني سابق شغل وزارة الصحة ثم وزارة المالية، ومدخن شرس ومدمن على الشرب وقع في قبضتهم وزوّدهم بما يريدون.

كانت الشركة تقاوم على كل الجبهات، تقاوم الدول وتقاوم المقاطعات، والمدن ومنظمات الأمم المتحدة، أما اللوبي فكان يركز ضغطه على رجال السياسة، ناصحاً إياهم بالتنسيق معهم وإلا.. في حالة فشلهم في الانتخابات يستغلهم اللوبي ويوفر لهم من المال ما يكفيهم بقية حياتهم، مقابل ذلك يبدون ولاءهم لشركات السجائر وإباحة التدخين، أما شركات السجائر فتقوم بتمويل حملات سياسية من أجل نشر الديمقراطية كما يدعون، يقومون بتقديم الرشوة لرجال السياسة وكبار الموظفين وحتى الصغار، كلهم يشاركونها في هذه المؤامرة القذرة، دور الموظفين الصغار مهم جداً، فهم الذين يقومون بتعطيل بعض الدراسات أو بإلغائها، كما يقومون بإعاقه بعض التحقيقات، وإخفاء أو إبطال بعض الإجراءات المهمة، ويقومون أيضاً بتغيير أو استبدال بعض القوانين بأخرى، وبهذه الطريقة يسمحون لرؤسائهم بالتصرف بكل حرية وتجنب المتابعة المباشرة أو النقل الاضطراري، في بعض الأحيان يحتاج السياسيون إلى دعم إضافي لتبرير مواقفهم، فيقوم بواذر وجوركا بتزويدهم بدراسة وهمية تسهل من مهمتهم، فقد كان التنسيق بين رجال السياسة وصناعة التبغ ورجال الإعلام في غاية من التكامل، أدباتريس أراد أن يضع تقويماً خاصاً بنقطة الضعف لكل من يتعامل معهم، لكن زملاءه منعه من ذلك؛ خوفاً من اكتشاف أمرهم، فطلب منهم الاهتمام بكل الجمعيات المدافعة عن صحة المواطن التي تتجرأ على المساس بمصالح الشركة، وخاصة عندما يقوم المدافعون عن مصالح الشركة بمحاولة إلغاء أو تأجيل أي قانون يعترض عملها، وكانت مهمة جوركا التأكد من صلاحية هذه القوانين وصحتها، يجب إجراء تحقيقات مع كل مسؤول لاكتشاف وسائل الضغط المحتملة، بما أن الرشوة لا تفيد أحياناً فيجب استخدام هذه الأموال في الإجراءات القضائية، إذا أهينت هذه الجمعيات أمام القضاء فسوف تتدم بسرعة على التحرش بصناعة السجائر.

أما بخصوص تشجيع العلوم والكتّاب فقد قررت شركة التبغ التحرك على ثلاثة محاور، الأول: يخص المؤسسات الصحية، وخاصة تلك التي توجه عناية خاصة

لمرضى التدخين، المتفرقين الذين يتم اختيارهم من بين الأطباء والممرضين المدخنين، وسوف يتم تخصيص مبالغ خاصة لهؤلاء؛ ليستمر توهجهم وحبهم للسجائر، وربما جعل بعض منهم من الأنصار الكبار للشركة الصانعة أو على الأقل تحييدهم، أما المحور الثاني فيهتم بالأماكن التي يوجد فيها الشباب وصفار السن، وخاصة تلاميذ المدارس، مثل المدارس والمرافق الثقافية وقاعات العرض والفنون والمرافق الرياضية، أما المحور الأخير فيشمل وسائل الإعلام، حيث يتم تخصيص ميزانية خاصة لدعوة الصحفيين والكتّاب ومشاهير آخرين لإقامة محاضرات تشارك فيها الجماهير تكون عناوينها مثلاً هل اللذة أصبحت في خطر؟ يمكن البدء بموضوع كهذا وبهذه المناسبة، ولقد خصص مبلغ محترم لدعوة بعض الشخصيات المميزة لتأكيد المقولة المفضلة: «الأفضل التحدث عن اللذة بدلاً من التحدث عن المرض».

أما جوركا، فقد تم تكليفه بمهمة خاصة، وهي تخويف وإرعاب متعاملين قدامى تخلوا عن مناصرتهم؛ فالعديد من كبار الكوادر وكبار الشخصيات الذين كانوا يحملون لواء الشركة أصبحوا يناصرون أعداءنا ويقفون ضدنا، بالرغم من أنهم لا يشكون من أي مرض، لقد تقرر التخلص منهم بأي وسيلة، فالشركة لا تريد أن تسمع صوتهم ثانية، بخصوص الحقيقة المرة وهي «تألم المدخنين أو موتهم المحتوم»، فهي لا تريد أن تسمع ثانية «إنها تتهرب من الضرائب» أو «تقوم بتبييض الأموال» أو «تزوير دفاتر المحاسبة» أو «تحويل أموال عمومية» أو «التهرب من العدالة» و«انتهاك حقوق العمال» و«تلويث الهواء» و«التهرب من الدخل القومي» و«المشاركة في جنازة القتل بعد التخلص منه» أو «بائع السرطان بالإنترنت»...

وبعد أسبوعين جاء دور محاضرات من نوع آخر، محاضرات حول عصابات التهريب، وهو الموضوع المحبب لشركات التبغ، فعصابات التهريب تعد العنصر الأساس في توزيع السجائر حول العالم فقد تم تحديد الكميات التي سيتم تهريبها في المستقبل القريب إلى 350 مليار سيجارة، قررت الشركة أن لا تتجاوز كمية السجائر المهربة إلى بعض الدول 30% من مبيعاتها، ولقد ساعدت الشركة في السبع



سنوات الأخيرة في مضاعفة عمليات التهريب، بينما انهار دخل الدول المعنية بالتهريب إلى أدنى مستوى؛ مما جعل الكثير منها تفكر في رفع قيمة الضريبة الجمركية إضافة إلى الضرائب الأخرى، بالنسبة لشركات التبغ، فإن عمليات التهريب تساعد على بيع السجائر بأسعار معقولة نظراً لعدم رفع الضرائب، بالإضافة إلى سهولة تمريرها إلى دول أخرى. فعلى سبيل المثال يقول أدباتريس: إن مبيعات السجائر بإسبانيا ارتفعت بنسبة 37% بمساعدة من المهريين ودون أي دعاية، وقد قررت الشركة الحد من أعمال المورد بدويلة (الأندور) الذي استطاع توريد سجائر مجهولة الهوية وغزو السوق حتى أصبح معدل التدخين فيها 65 سيجارة يومياً، ولكل ساكن.

وما هو دور المحامين في كل هذا؟ عادة هم من المتعاملين مع كل شيء اسمه نصب واحتيال؛ لذا طلبت منهم إدارة الشركة مراجعة العقود المبرمة مع الموردين المهمين الذين لا يتجرأ أحد باتهامهم بالمهريين، طلبت منهم طمأنة هؤلاء التجار؛ ليناموا مرتاحين آمنين، كما طلبوا منهم إشعارهم بأن 10.000.000 سيجارة سوف يتم تخزينها في مستودعين في بلد أو بلدين قبل أن تصل إلى وجهتها النهائية.

طلب من أحد المحامين إعداد دورة خاصة لبعض الموردين يعلمونهم فيها كيفية التصرف في حال اكتشاف البضاعة المهربة؛ حتى لا يتكرر الشيء نفسه مرة أخرى وتقع الشركة في موقع حرج. تقرر أيضاً المحافظة على العلاقة الجيدة مع بعض الوكلاء الذين يتعرضون للمحاكمة والدفاع على كل من هو مخلص للشركة أديباً ومالياً.

قامت الشركة وشركاؤها بالتمسك بالتهريب إضافة إلى عمليات غسل الأموال، بالرغم مما يكلفها من متاعب وملاحقات من طرف السوق الأوروبية المشتركة، مقاومة أوروبا تزداد يوماً بعد يوم، قُدمت دعوى ضد الشركة تتضمن 200 صفحة من الاتهامات، لكن القضاء عجز عن معاقبة الشركة، عجز القضاء في إدانة الشركة واستخدام قانون مالي خارج بلده، طلب القضاء من السوق الأوروبية إعادة صيغة

الشكوى بتهمة التعدي على الحقوق العامة، نتيجة عملية غسل الأموال والتهرب، فتم ذلك فعلاً، العديد من أعضاء السوق سحبوا موافقتهم على مقاضاة الشركة، ولم يبق إلا خمسة منهم متسامحون ومتعاونون مع الشركة.

بالرغم من هذه الدعوى الجديدة؛ فالشركة استطاعت الخروج سالمة من ادعاءات السوق بأن الشركة تساعد عمليات التهرب وتمولها.

بعد هذا تم اتهام الشركة بتبييض أموال وبيع المخدرات وبيع الأسلحة، وحتى تلك التي تأتي من الدعارة والمتاجرة بالجنس البشري، من ضمن الاتهامات الموجهة للشركة من السوق المشتركة جمع الأموال من المافيا وأحد أولاد صدام حسين.

لقد تم وصف عمليات تبييض الأموال بدقة كبيرة في الحسابات السويسرية، أو القبرصية أو البنمية، بالإضافة إلى المواني المستخدمة في عمليات التهرب كفلانسيا، وبنما، وانتوارب ومواني قبرص وتركيا، حتى الحاويات وأرقامها تم وصفها بمنتهى الدقة.

بعض العاملين داخل المافيا الذين استسلموا للسلطات المعنية اعترفوا بكيفية تهريب الأموال بواسطة تهريب السجائر، إذ السوق المشتركة هي المتضرر الأكبر؛ لأن فوائد السجائر لا تدخل في خزنتها، بل يتم تهريبها إلى بنوك آمنة خارج أوروبا، أكثر من 95 مليار يورو تفلت سنوياً من أيديهم.

تجارة السجائر حولت الساحة الأوروبية إلى قلعة إجرام، تحاربها الدول الأوروبية وتطلب التعويضات الناتجة عن هذه الجرائم، وقد تم تجنيد كل الدوائر القضائية لمحاربة هذه العصابات الإجرامية، أكثر من 300 عملية تفتيش تمت بأوروبا وسويسرا. بعض من المئة والخمسين الذين وجهت لهم التهم كانوا على وشك الانهيار.. لكن القضاء كان غير منظم، وإلا تعرضت الشركة إلى كارثة قضائية، بعد ثمانية عشر شهراً قامت إحدى الدول الأوروبية برفع قضية ضد برومورتم بسويسرا.



# الفصل 24

في عيد ميلاد (أنت) الثالث والعشرين تمت دعوة أبو (أورور) وفلورانس و(أورور) إلى وليمة لدى أبي المدخن، عمت الشوارع بلوحات كتب عليها رياضة دون تدخين بمناسبة اليوم العالمي بدون تدخين، بعض المعارضين لهذه الحملة تركوا تحت هذه اللوحات علب سجائر فارغة، بالإضافة إلى بقايا سجائرهم، بعض الهواة للسخرية قالوا: إن هذا من الفنون التشكيلية الحديثة، قام الوالد بالاستماع إلى مقطع موسيقي ناعم للاحتفال بمناسبة يوم دون سجائر، بالإضافة إلى تخلصه من هذه الآفة السامة، فكل هذه المعلومات كان لها وقع إيجابي على أبي (أورور) الذي كان بحاجة إلى مساندة الحاضرين.

- قال أبو (أورور) مازحاً: يا لك من بائع شاطر.

لأول مرة أحس المدخن بقدم عطلة الصيف بنكهة خاصة؛ لأنه كان مرهقاً من جهة أغلب زبائنه المترددين عليه، والآخرين الذين أجّلوا طلباتهم أو قاموا بإلغائها، من حسن حظه حصلت معجزة ووصلت مبيعاته إلى 84% مما هو مطلوب منه خلال ستة أشهر، كيف ستكون المبيعات في الستة أشهر القادمة؟ الله أعلم، ومن جهة أخرى فقد أتعبه السعال وأنهكه، إنه يعرف أن سعاله هذا مصدره برومورتيتم، أما ضيق التنفس الذي ينتابه في المساء، فهو نتيجة تدخينه اليومي، بإمكانهما اصطحاب ابنتهما في سفرهما؛ لأن العائلة تستعد لتغيير الجو على الساحل

الأطلنطي، في ذلك الشاطئ الجميل الذي زاره وأحبه من قبل، رجع أبو (أورور) إلى ذلك الشاطئ الذهبي الذي تظله أشجار الصنوبر العطرة، وكانت تتخلل أوقات السباحة زيارات لحديقة الحيوانات في البالمين والميدوك، كل العائلة في منتهى السعادة.

كان أحد المتسولين يجمع بقايا السجائر من القمامة؛ ليبرم سجائره، تأثر أبو (أورور) من هذا المنظر، وكان في منتهى السعادة؛ لأنه لم يحصل له ما حصل لهذا المسكين، فهو من المحظوظين، وقصد هذا المسكين وسلمه ما تبقى من علبة سجائر كانت بجيبه فقالت له فلورانس متعجبة:

- إذا كانت مضرة لك، فهي مضرة له أيضاً، بالرغم من ذلك فرحت؛ لأنه تخلص من بعض السجائر.

عند عودته إلى العمل في شهر أغسطس من سنة 2000م اكتشف أبو (أورور) زملاء لم يعرفهم من قبل، أصبح لا يتحمل البرد، وأي نزلة قد تسبب له سعالاً شديداً، يجبره السعال أحياناً على التخلي عن سجارته في أي لحظة، لكنه سرعان ما يعوضها بأخرى، نصف زملائه لا يدخنون فهو لا يحسدهم على ذلك، ولكنه يرى أن أوقات التدخين في المكان المحدد لذلك بالشركة يعرفه على زملاء يدخنون، فيتناقشون في أشياء أخرى غير بيع المواد المضافة إلى جناح الموت...

بادره أحدهم قائلاً:

- ما بك؟

- إنها نزلة اعتدت عليها، ربما بداية ربو؟

- وهل أجريت كشوفات على ذلك؟

- لقد كشف علي الطبيب وأعطاني شراباً لم أستفد منه كثيراً. مثل ما جاءت هذه النزلة سوف تنصرف وتزول.

- في سبتمبر اشتد مرضه حتى أصبح يرى في بصاقه نقاطاً من الدم، لم يهتم بذلك إطلاقاً.

- في 6 أكتوبر دعت زوجته إلى المطعم، اكتشف الزوجان أن علاقتهما الزوجية ليست على ما يرام بسبب التدخين طبعاً.

- بادرتة فلورانس قائلة:

- لو أخبرتك نبأ يفرك بمناسبة عيد ميلاك القادم أتعدني بالكف عن التدخين فوراً؟

هذا تهديد، وأنا لا أقبل التهديد! أخبريني إذن؟.

- يجب أن تعدني أولاً.

- سوف أفاجتك لو قلت لك: إن التدخين قد ولى وأصبح من الماضي، أنا لست راضياً عن نفسي؛ لأنني خفضت من عدد السجائر اليومية، وبالرغم من ذلك لا أشعر بالتحسن، فالسعال يرهقني أكثر فأكثر ويعيق عملي، عندما أسعل في الصباح عند تناول أول سيجارة فهذا يبدو لي طبيعياً؛ نظراً للمواد السامة التي أبيعها، أما أن أسعل طول النهار فهذا أمر خطير ويزعجني كثيراً، هذا يذكرني بالأيام الأخيرة لمعاناة والدي قبل أن يتحرر من عبودية السجائر، أظن أنني سأصاب بالربو، منذ رجوعنا من العطلة الصيفية فقدت 4 كلغم، وأكاد أفقد نفسي باستمرار، بالرغم من أن السجائر ربما ليست هي المتسببة في كل هذا، لقد قررت التوقف عن التدخين، بما أنه لا يوجد برنامج خاص بإيقاف التدخين في الشركة فسوف أقوم بتجربة وحدي دون أي مساعدة ما عدا مساعدة والدي، فهو يقول: إنه تعافى من السعال بعد الكف عن التدخين، ربما ينفعني ذلك أيضاً، صرخت فلورانس قائلة:

- حسناً! هذه أجمل هدية قمت بتقديمها لي، هذا شيء إيجابي، سوف نرى كيف تكون في عيد ميلادك الرابع والعشرين؟ ماذا سيحدث؟

- سوف نكتشف لعبة الرسائل المجهولة.

- لقد نسيت هذا الملعون ليس هذا ما أقصد.

- سوف نساغر من جديد، ربما سوف نرحل أو نريح في لعبة اللوتو.

- لا، لا، سوف نصبح أربعة.

- قام أبو (أورور) بسرعة البرق وراح يعانق زوجته، وهي جالسة على الأريكة المقابلة، تناول الاثنان كأسين من ماء الصحة الغازي للاحتفال بالخبر.

- في 7 أكتوبر جاءت مكالمة هاتفية من الطبيب المعالج للتدخين؛ ليوجه له بعض الأسئلة ويعلن له البرنامج الذي أعده له. قرر الاثنان أن يتقابلا بعد الغد، يبلغ هذا الدكتور الثلاثين من العمر لكنه يرتاح إليه أي واحد يقابله، فكانت المقابلة مريحة جداً، بعد مراجعة الأسئلة التي وجهها إليه بالهاتف سلمه سلسلة من الاختبارات، وبعد التأكد من تصميمه على التوقف سأله عن بداية تدخينه وعن سلوكه قبله وبعده وعن اللذة التي يجدها في التدخين، كما سأله عن سبقه ثم أهله في التدخين، ثم سأله عن قلقه المتزايد، وبعدها أمره بفتح فمه وفحصه ثم فحص عينيه وفحص أول أظلاله، وبعد وزنه قام بقياس ضغطه ودقات قلبه ونسبة أحادي أكسيد الكربون المتصاعد من تنفسه، ثم أخذ يشرح له فوائد التوقف عن التدخين.

لو كانت سيارتك تحتوي على النسبة نفسها (38) من ثاني أكسيد الكربون التي يحتويها نفسك لرفضت في الفحص الدوري، لو فحصك طبيب شؤون العمل لأوقفك عن العمل فوراً.

قام بتزويده ببروتوكول لتخليصه من التدخين ويسمح له فوراً بالتخلص من الرغبة في التدخين، ثم شرح له أضرار هذا التدخين على جسمه، بعد أن أعطاه التعليمات والتوجيهات اللازمة الخاصة بهذا البروتوكول، اكتشف أبو (أورور) ومن خلالها كيف يقاوم الرغبة في التدخين، وكيف يكيف سلوكه الجديد. قام الطبيب

بتزويده أيضاً بملف مكمل لعلاجه، وطلب منه قراءته والاستماع إلى الشرائط المرفقة له، كما زوده بمستندات التأمين الصحي لتسليمها إلى الشركة؛ لتسهم في تحمل نفقات العلاج، وطلب منه أيضاً مراجعة الطبيب المعالج في أقرب وقت لعلاج السعال.

كان أبو (أورور) هادئاً جداً، فهو يقترب من الدخول إلى نادي غير المدخنين.

ذهب أبو (أورور) إلى طبيبه في 18 أكتوبر، في العادة كان طبيبه يستقبل مرضاه لمدة وجيزة، واليوم كان استقباله لأبي (أورور) أطول من العادة، عشرون دقيقة بالضبط، شكره أولاً على هذا الحدث العظيم وشجعه على المواصلة، لكن الطبيب لاحظ أن سعاله المتواصل أصبح مصحوباً بنقاط من الدم في البصاق، وضيق في التنفس وبداية تصفير في الصدر، ولهات سريع، بالإضافة إلى بحة في الصوت وألم في الكتف وضعف عام ونقص في الوزن، كل هذه العلامات لا تبشر بالخير؛ لأنها ليست من علامات شاب عمره 23 سنة، زيادة على هذا لقد أصبح يشتكي من آلام في القفص الصدري، قام الطبيب بجس رقبته والبحث عن الأضلاع التي تؤلمه، فلاحظ تورماً في القفص الصدري، وقام بالضغط على الوريد الرئوي الأعلى، وسأله:

- هل سبق لك العيش في مكان تنتشر فيه المواد الآتية: الأميانت والأرسنيك، والسليس، والبرليوم ومشتقات الكروم، والنيكل والقطران ومادة الرادون والإثير وهيدروكربون البولسيليك.

- لا، لا، ولكنني حضرت بعض التجارب عند الزبائن، كما شاركت في تجارب أخرى في مختبر الجامعة.

- طيب، وما عدا مشكلاتك التنفسية، هل لاحظت شيئاً آخر؟ فكر أبو (أورور) لحظة ثم قال وكأنه يعترف بشيء كان يخفيه.

- لقد لاحظت انخفاضاً كبيراً في علاقتي الجنسية، وأحياناً أشعر أن زوجتي تستحق كل التقدير، ولكن أطمئنك، إننا ننتظر مولوداً ثانياً.



- هذا ليس خطيراً بخصوص الانتصاب سوف تتحسن حالتك بمجرد إقلاعك عن التدخين، ولا تحتاج إلى أي دواء، إن التدخين يدمر أي نظام معقد بما في ذلك النظام العصبي المركزي، والهرمونات ونظام الدورة الدموية الخاصة بالقلب... إلخ، إنك مصاب بانسداد الأوعية الدموية مما يؤثر على الدورة الدموية. أما بخصوص مشكلات التنفس فسوف أرسلك فوراً إلى الطبيب المختص في المستشفى، فليس هناك وقت للانتظار، أليس كذلك؟

دون أن ينتظر موافقته تناول الساعة وحدد موعداً في يوم الإثنين القادم على الساعة الثامنة صباحاً، فهي الساعة الوحيدة المتبقية للمواعيد مع الطبيب، فيجب أن يحضر إلى المستشفى، وهو صائم.

كان أبو (أورور)، صامتاً لا يتكلم غير قادر على التحرك من كرسيه، وكأنه تم تثبيته عليه، كان يفكر كيف سيدخل إلى المستشفى لإجراء الفحوصات اللازمة؟ استطاع أخيراً أن ينهض، فشكر الطبيب على المقابلة وانصرف، عند رجوعه إلى البيت وصف لزوجته المقابلة مع الطبيب بالمطمئنة؛ حتى لا يزعجها بمشكلاته الصحية، وفضل التحدث أكثر عن إقلاعه عن التدخين، غير متيقن من ذلك، لكنه في الطريق الصحيح.



# الفصل 25

في يوم الإثنين 21 أكتوبر حضر أبو (أورور) إلى المستشفى عند الساعة الثامنة صباحاً وهو صائم، كان فرع الأمراض الصدرية والرئوية يتربع على أفخم مكان في المستشفى، لاحظ أن أغلب الممرضات لا تتمتعن بالشباب، بل أكثرهن متقدمات في السن، فقال في نفسه: ربما تتمتعن بوافر من الخبرة، ولاحظ لوحة كتبت عليها الاختصاصات وأسماء الأطباء، مختصو أمراض صدرية، مختصو أمراض رئوية، وتخدير وغير ذلك، عرف أن فرع العلاج البيولوجي هو الذي يقوم بفحص الخلايا المستخلصة من البايوبسي لتحديد طبيعة المرض ومواصفاته، كان أطباء الأشعة وأطباء التخدير وأطباء العلاج الطبيعي في انتظار الفحوصات، وكان من بينهم أطباء نفسانيون ومختصات اجتماعيات، كل يترقب فحص أبي (أورور).

بعد الإجراءات الإدارية تم استقبال أبي (أورور) بحفاوة زائدة من قبل طبيب مختص في الأمراض الرئوية، هو الطبيب (لابانيير)، استأنس أبو (أورور) من هيئة هذا الطبيب الأنيق بيدلته الفاخرة دون ارتداء الزي الأبيض الخاص بالأطباء، بدأ الطبيب يوجه له الأسئلة ويعمق، ثم قال له:

- ما رأيك؟

لم يجب أبو (أورور) فسأله الطبيب من جديد .

- لو كنت تعاني من التهاب حاد كانت حرارتك عالية، أما السعال فليس ضرورياً إنه علامة السل، أو السرطان، لكنها فرضية محتملة، ليتضح الأمر، فلا بد من إجراء

العديد من التحليلات الضرورية، فلنبدأ وبسرعة، لابد من إجراء فحص القصبات الهوائية، ثم عمل تصوير للرئتين، ولتكلمة هذا وذاك يجب عمل صور للمخ والكبد.

- سوف أراك يوم الأربعاء في الساعة الثانية وعشر دقائق بعد الظهر؛ لنقوم معاً بتحليل كل هذه الفحوصات ومناقشتها.

كاد أبو (أورور) يفقد وعيه من شدة المقابلة، كلمة سرطان كادت تخدره، تتم أبو (أورور) بما يأتي:

- يمكنكم إعطائي أي دواء لمساعدتي؟

- مساعدتك على ماذا؟

- للتقوية مثلاً، لتحمل السعال لا أدري!

- طبعاً، طبعاً لكن طالما لم نتعرف بعد على المرض، فلا داعي لإعطائك أي دواء، أما الدواء لإيقاف السعال، فهو يسبب الإمساك، فلا داعي لإضافة مشكلة جديدة.

نظر إليه الطبيب نظرة صريحة، ثم مدّ له يده اللطيفة وطمأنه بابتسامة عريضة جعلته يفادر بشيء من الأمل، بعد أن أخذ منه أحد الأطباء عينة من الدم وكمية من البصاق، جاءت ممرضة وأدخلت في أنفه أنبوباً (أندوسكوب) لفحص القصبات الهوائية. كانت هذه العملية مزعجة ومؤلمة، عندما دخل لغرفة التصوير أحس كأنه يدخل التابوت المخصص للموتى، هذه هي بدلته الخشبية كما يحلو له القول.

عند الساعة الثانية وعشر دقائق يوم الأربعاء 23 أكتوبر حضر إلى المستشفى، كان الطبيب لابانيير يرتدي بدلة بيضاء هذه المرة، استقبله في مكتبه كالمعتاد دون ابتسامته المعتادة.

أمامي النتائج وسوف نقوم بمناقشتها وشرحها: الفحص السيتولوجي موجب، فحص الصدر بالأشعة والفايبروسكوبي أيضاً موجب، تصوير الكبد أيضاً موجب.

- قال أبو (أورور) بصوت خافت:

- إذن كل شيء على ما يرام كما يبدو!

- أنا لم أقل ذلك، عندك سرطان في الرئة.

- لا يا دكتور هذا مستحيل لا بد أنك قرأت ملفاً آخر غير ملفي!

- للأسف، هذه هي الحقيقة.

أخذ الدكتور مجسماً من فوق مكتبه، وبدأ يشرح بهدوء المعلومات الواردة من تحليل الأشعة، أشار أولاً إلى الأجزاء الثلاثة المكونة للرئة اليمنى، ثم أشار إلى اثنين من الرئة اليسرى، ثم أشار إلى موقع القلب، قام فيما بعد بشرح مفصل عن القصبات الهوائية، ثم عرفه على موقع الورم، لقد أصاب القصبه الهوائية، ثم وضح مدى حجمه، ووصف له أيضاً بعض التشعبات التي تشبه الدهليز والتي تقع بين الرئتين وتحتوي على كل من القلب والقصبات الهوائية والشرايين والأوردة والمنشور والمريء والغدد اللعابية، وهذه الأخيرة مشكوك فيها أيضاً.

أوضح الطبيب أيضاً أن تصوير الكبد أظهر كذلك بعض الشكوك.

- الحمد لله أن الجهة الملاصقة للكلاوي سليمة، وهذا ما يجعلني متفائلاً شيئاً ما.

منذ أن سمع مصطلح سرطان بدأ أبو (أورور) وكأنه يغلي، غلياناً داخلياً بالطبع، كان يستمع إلى شرح الطبيب وقوته تنهار. كان تائهاً ومخدراً وكأنه فقد الذاكرة، أما الطبيب فكان هادئاً؛ لأنه يريد أن يفهمه أن يتفهم حالته، لهذا استرسل من جديد في شرح بعض الأشياء التي سبق شرحها، حتى شعر أن أبا (أورور) استوعب كل شيء.

- أنا آسف وقلق في الوقت نفسه، لتكملة أبحاثنا يجب أخذ عينة من المخ، سوف نقوم بإجراء (بايوبس) على مستوى الحذبة الحرقوفية، ثم تخضع إلى عملية

تخدير كامل، أريدك أن تعرف أن نهاية التخدير ستكون مصحوبة بآلام شديدة، لكن هذا ضروري.

تأكد الطبيب أن هذه العملية يمكن إجراؤها في اليوم نفسه.

- خبر جيد سوف تبقى بالمستشفى، هذا هو البرنامج: اليوم نأخذ عينة من المخ وغداً تستريح، ويوم الجمعة عند الساعة العاشرة وأربعين دقيقة نتقابل من جديد هنا للتعرف على النتائج ثم تعود إلى بيتك، أتريد أن أكلّم زوجتك وأخبرها بذلك أو والديك؟

لا، لا، شكراً، لقد أحببت كثيراً طريقتك الواضحة في شرح حالتي. أشكرك كثيراً على أنك أطلعتني على الحقيقة، كما أشكرك على نوعية تعاملك معي، أما زوجتي فإنه لا تزال هناك تحاليل قد يكون لها تأثير على تشخيص المرض، فلا داعي لإزعاجها حالياً، سوف أخبرها بأني سوف أبقى بالمستشفى لإجراء تحاليل تكميلية، يجب ألا أصدّمها إنها حامل.

- أنا أتفهم ذلك: أما من ناحية عملي، فسوف أمنحك أسبوعين من الراحة.

غادر أبو (أورور) الطبيب لإكمال المرحلة الأخيرة من التحاليل، فرجع إليه الأمل بعد أن كاد يغيب، أسبوعان من الراحة فقط، إذن ليس هناك خطورة كبيرة، ولكن بعد دقائق قليلة انحطت معنوياته من جديد، عادت الاضطرابات، والهواجس وغزت مخه من جديد.

كيف يحصل هذا؟ لي 23 سنة من العمر ويصيبني سرطان الرئة، هذا مرض يصيب عادة كبار السن الذين لا يقل عمرهم عن الخمسين، ربما هو سرطان حميد، وقد تؤكده الفحوصات القادمة، بالرغم من هذا البصيص من الأمل فأنا مريض، هل هذا عقاب من الله سبحانه وتعالى أو نتيجة هذه الرسائل اللثيمة، أو من لعنة برومريتيم؟ وهل فعلاً السّجائر هي السبب؟ ولماذا أنا بالذات وفي هذا التوقيت؟ ماذا ينتظرني أنا وفلورانس و(أورور)، والمولود القادم وأمي وأبي وأختي ليتيتيا وأخي بونوا؟ هذا غير عادل ولا أقر به.

ثار أبو (أورور) وانتفض وهاج ثم تراجع وسكن وقال في نفسه:

- يمكن أن أشفى، لا بد أن أشفى، سوف يخبرني الطبيب عن إمكانية شفائي من عدمه، وما هو دور الطب في ذلك؟ أنا على استعداد لمواجهة المرض، وما ينتج عن ذلك من آلام، ولكن هل هناك آلام أصلاً؟

قام أبو (أورور) بالاتصال بزوجته ووالديه؛ ليخبرهم بوجوده بالمستشفى، وأخبر الشركة التي يعمل فيها أيضاً، أخضعت زوجته إلى وابل من الأسئلة، فباح لها بالحقيقة المرة، سرطان الرئتين، فامتلكها الشك، سلمت ابنتها إلى أمها، وذهبت مسرعة إلى المستشفى. لحق بها أبو زوجها وأمه، كانت الأم منهاراً؛ لأنها كانت تعرف سلفاً أن كل بلاء العالم ومشكلاته تأتي من مصانع السجائر، وكانت تشعر أيضاً أن ابنها مهدد قبل الآخرين، أما الأب فكان يحاول كتمان انفعاله، متسائلاً عن وضعه كمدخن سابق، حاول أن يقنع من حوله أن ما تبقى من الفحوصات ما هو إلا شيء روتيني يتم إجراؤه لكل مريض؛ لذا لا يجب الاكتراث والخوف، بالرغم من تفاؤل الأب كان الجميع في بالغ التأثر، يتخللهم مزيج من الغضب والحزن والخوف، قرر الثلاثة أن تكون فلورانس هي أول من تدخل على زوجها، يتبعها الأبوان إذا أمكن، اتفقوا أيضاً على عدم إزعاجه بالبكاء وعدم محاولة طمأنته بابتسامات كاذبة، هذه كانت وصيتهم الأخيرة، تابع الأب مستشهداً بمثل صيني:

- إشعال شمعة صغيرة أفضل من لعن الظلام.

دخلت فلورانس على زوجها، فاستقبلها بهدوء، وكأنه غير مكترث بما يحصل له، تعانق الاثنان بعنف، وبعد هدوء العاصفة أخذ يشرح لها حالته، فقالت الزوجة:

- يمكن أن ندعو والديك للتكرم بالدخول.

- طبعاً، طبعاً ليس هناك بيننا وبينهم أسرار.

تفاجأت فلورانس بوجود أبي زوجها في محادثة مع أحد الأطباء، دخل الأبوان على ولدهم فخف ألمهم عند رؤيته مبتسماً ماسكاً بيد زوجته في يده، أخبرهما بما قاله الطبيب لابانير وطمأنهما بخروجه يوم الجمعة.

- إذا كنت ترغب في ذلك يمكن لزوجتك البقاء معك حتى يوم مغادرتك، فسوف نعنتي بـ (أورور) حتى ذلك الحين، أما بخصوص عمك فسوف أقوم بتزويدهم بالمستندات الطبية اللازمة؛ لنخرج جميعاً من هذه المعركة مرفوعي الرأس، كل الناس يعرفون أن من يواجه المرض بشجاعة حليفه النصر. نحن نعرف جميعاً إرادتك وشجاعتك وأسلوب تفكيرك الذي يتسم بالإيجابية، أنت تعرف أيضاً أن الجو في هذا المستشفى من أحسن الأجواء نوعية، لقد تحدثت قليلاً مع الأطباء الذين سوف يتابعونك، فعبروا لي على أن مهمتهم لا تقتصر على المتابعة فقط بل التعبئة الكاملة والدائمة.

عند الساعة العاشرة وأربعين يوم الجمعة استقبله الطبيب وحده، وكان يرتدي بدلته الرسمية كالعادة.

- لي خبر جيد: فحص المخ كان سليماً، لكنني لازلت أخشى بقية الفحوصات، هل تريد أن أصارحك بكل شيء، بما في ذلك أشياء قد تؤلمك كثيراً؟  
- نعم، أريد ذلك بالرغم من أنني متأكد من أنها ليست بالخطيرة. تناول الطبيب مجموعة من الصور وضعها تحت النور وأخذ يوضحها له بالتفصيل وبكل صراحة.

ترى هنا هذه الكتلة اللحمية التي تغطي القصبية الرئيسة للرئة اليمنى، فهي التي تؤثر على الرئة نفسها، هذا سبب سعالك، الغدد المصابة والمریضة توجد هنا حول الرغامى، الصور التي تم عملها بالفايبروسكوبي لا تدع مجالاً للشك: إنه فعلاً سرطان.

بعد التلطف بكلمة سرطان سكت الطبيب برهة من الزمن، ثم تابع:  
- ماذا تتصور أنت؟

شعر أبو (أورور) باختناق لكنه تمتم قائلاً:

- أنت متأكد من ذلك يا طبيب؟ أنت متأكد أنه سرطان الرئة؟ في سن 23 سنة، هذا مستحيل!

- للأسف هذه الحقيقة، بعد أخذ عينة من مخك قمنا بأخذ عينة من داخل القفص الصدري عبر الفتحة الصغيرة التي تراها في صدرك، هي عينة لبعض الأنسجة التي قمنا بتحليلها لتحديد نوعية السرطان، فاكشفنا نوعاً من السرطان ذي خلايا صغيرة يصفه الأطباء بسرطان حبيبات الشوفان، وسببها عندك هو التدخين، هل يمكن إعادة ما شرحته لك؟ وأي نوع من السرطان هو؟

- أجب أبو (أورور) بدقة وحدد حتى المتسبب.

- لدي معلومات أخرى أريد أن تعرفها، بعد تصوير الكبد قمنا بأخذ عينة من الكبد والغدة الكظرية، بعد تحليلها لم نجد أي خلايا سرطانية، أتعرف ما هي هذه الخلايا؟

- ثم قال الطبيب: أنت لست في حالة جيدة لشرح ذلك، سوف أشرحها لك.

هي أجزاء من الأورام تتسلل عبر الدم؛ لتتمركز حيث تجد الجو الملائم، إذن فهي عبارة عن ورم في بدايته بالنسبة للسرطان الموجود عندك، فهو غير قابل للعملية، فيجب معالجته بالعلاج الكيميائي، هذا النوع من السرطان ينمو بسرعة ويتطور بسرعة؛ لحسن حظك فهو من النوع الحساس للعلاج الكيميائي، هل يمكن لي الاستمرار في شرح العلاج أم نترك هذا لجلسة قادمة؟

- لا، لا أكمل من فضلك يا طبيب.

- ماذا تعرف عن العلاج الكيميائي.

- أعرف أنه يسبب تساقط الشعر، ولا يطلق، وأن هذا العلاج لا ينفع في كثير من الحالات.

- سيدي العزيز، فرع أمراض الرئة هذا ليس بمحرقة للنازية؛ لأن العلاج الكيميائي يقضي على الخلايا السرطانية، وهي في حالة تكاثر.

إن هذه الخلايا تتميز بالتكاثر بسرعة عن طريق الانشطار، وبصفة خاصة الخلايا الموجودة لديك، بإمكان أي خلايا أخرى غيرها أن تتكاثر ولكن بسرعة أقل،



فندما تتكاثر الخلايا السرطانية تقوم بمهاجمة بصيالات الشعر فتسبب تساقطه،  
يمكنها أيضاً أن تهاجم الكريات الدموية فتسبب لك تعباً وفقر الدم، أما مهاجمتها  
للغم، فيسبب التهاب اللسان والشففتين، ومهاجمتها للمعدة يسبب الإسهال، يوم  
الإثنين على الساعة الثامنة صباحاً نبدأ بأول حقنة عبر الوريد، ولا تعود إلى البيت  
إلا الساعة الثانية بعد الظهر، وفي الغد سنقوم بالعملية نفسها، أما يوم الأربعاء فلا  
تمكث عندنا إلا ساعة واحدة.

وتبدأ أول مراحل العلاج الكيميائي، وذلك بأن أقوم بعمل برنامج أعده مع  
طبيب مختص، سوف يتابعه بعناية، وبعد ثلاثة أو أربعة أسابيع سيحدد قابليتك  
للعلاج من عدمه، وبموجب النتائج التي يحصل عليها يقوم بإجراء التعديلات  
اللازمة.

الطبيب لاكروا طبيب ممتاز، فهو أحسن من يقوم برعايتك في هذا المستشفى،  
الأحظ يا سيدي، أن التّدخين تمكن من العديد من الشباب، لقد تعرف كل المستشفى  
على حالتك، هنا سوف نقوم بعلاجك أحسن من أي مستشفى في العالم، إنك حالة  
استثنائية؛ لأنه لا يمكن تقديم الرعاية نفسها إلى كل المرضى الذين يقصدون هذا  
المستشفى، أوكد لك أننا سوف نعمل المستحيل؛ كي لا تلتحق بضحايا برومروتيم  
الكثيرون، أنت تعرف مكتبي، فهو مفتوح لك في كل أوقات وجودي بالمستشفى، سوف  
أرسل غداً تقريراً إلى طبيب العائلة، وسوف أبقى على اتصال دائم معه.

يوم الإثنين 28 نوفمبر 2002م الساعة الثامنة صباحاً فتح أبو (أورور) صفحة  
جديدة من تاريخ مصيره، إذ الطبيب الذي سيتولى أمره أصبح مختصاً في العلاج  
الكيميائي بعد أن أكل الدهر وشرب على شهادته في اختصاص السرطان،  
فالمستقبل أمامه؛ لأن له أربعين سنة من العمر فقط، حضر أبو (أورور) فاستقبله  
الطبيب لاكروا وجلس بجانبه وأمسك بذراعه وأخذ يسرد عليه ما قص عليه  
الطبيب لابانيير من قبل، شرح له أنه خلال أربع عشرة سنة من الدراسة في  
الجامعة لم يعلم أحد كيف يخاطب مرضاه، وكيف يحدثهم، ولا كيف يواسيهم،

بالرغم من هذا فهو يحاول بكل ما يملك من كلمات وابتسامات أن يجعل من مريضه شخصاً متعاوناً وحليفاً للقيام بمهمته على أحسن وجه، عرف أبو (أورور) أنه أصغر مريض يصاب بالسرطان بأوروبا، وربما أصغر مريض بسرطان الرئة في العالم، وأصغر ضحية للسجائر أيضاً، سنة 2001م تم تشخيص حالة سرطان مماثلة عند امرأة عمرها 30 عاماً، وقد تم الإعلان عن حالة من قبل لشخص عمره 27 سنة، تملك أبو (أورور) خوف شديد، أراد أن يعرف ما كان مصيرهما، لكن الطبيب تابع:

- إن الأطفال يتنفسون بسرعة أكبر من الكبار، ويستشقون بسرعة أكبر أيضاً، وبما أن جسمهم غير متكامل، ولا زال في نمو مستمر فدخان السجائر يتسلل إلى داخلهم بسهولة، لا بد أنك تعرف ذلك.. سوف نبدأ أول مرحلة من العلاج الكيميائي، سوف يريحك هذا العلاج بإيقاف انتشار الخلايا السرطانية إلى بقية الجسم، كما يقلل من نمو الخلايا السرطانية الموجودة، نتمنى ذلك. كما نتمنى لك الشفاء العاجل، وسوف نراك باستمرار عند الضرورة أيضاً، وعندما ترغب فنحن في انتظارك. أنت تعرف أن كل من في المستشفى مجند لخدمتك، أنا أعد نفسي اللواء والقائد العام لخوض هذه المعركة معك وكسبها إن شاء الله، وقبل إعطائك الحقن الكيميائية سوف أقدم لك السيدة بوتون، هي طبيبة في علم النفس ممتازة ومخصصة في معالجة مرضى السرطان، سوف تقوم بمساعدتك أيضاً، أنت تعرف أن المواد التي سوف يتم حقنها لك الهدف منها هو القضاء على الخلايا السرطانية، في أي مكان من جسمك، إن مفعولها يشبه مفعول مبيد للأعشاب الضارة التي تنمو بسرعة، وسوف تهاجم هذه المواد الخلايا السرطانية أولاً، ثم للأسف ستهاجم الكريات الدموية، وخلايا الجهاز المعوي وخلايا الشعر مثل ما أخبرتك من قبل، سوف تفقد شعرك وكل الشعر الذي يكسو جسمك، وسوف ينمو الشعر من جديد بعد التوقف عن العلاج الكيميائي، سوف نقوم بإجراء تحليل مستمر لدمك، سوف نعمل المستحيل للمحافظة على توازن الكريات البيضاء والحمراء، إذا اضطرتنا الأمر، فسوف نزودك بحقن (E.P.O) التي يحقن بها المتسابقون، قد يحدث لك غثيان

واستفراغ، بموجب ملاحظاتك يمكن تعديل العلاج لتجنب أي ضرر قد يؤديك. لا تتزعج إذا شعرت بتهييج في فمك وحلقك، ربما يصيبك التهاب حاد في اللسان والشفيتين وربما يسودّ لسانك، لكل شيء حل يجب مراقبة عملية الهضم بعد الأكل، ربما يحدث لك إمساك أو إسهال فهذا وذلك له علاجه أيضاً، عند ارتفاع درجة الحرارة يجب إبلاغنا فوراً، ابتعد عن أي مريض قد يسبب لك عدوى، والأفضل أن تلقح ضد النزلة البردية، قال أبو (أورور) بكل هدوء:

- لقد قطعت شهيتي.

- أنا أتفهم ذلك، لكن من الضروري أن تأكل؛ لتحافظ على وزنك، كُلْ أي شيء تحبه، وخاصة الفواكه، واللبن الزبادي، الياغوت والمثلجات، أما الشرب فيستحسن أن تتناول مشروبات غازية؛ لتساعدك على الهضم، إذا لاحظت أن بعض المأكولات تبدو لك مرة أضف لها كمية من السكر، يمكنك أيضاً تناول كأس من النبيذ يومياً مع الأكل، ابتعد عن الأماكن التي تنتشر فيها الروائح. أعاد أبو (أورور) كل ما قاله الدكتور فأحس كأن معدته انسدت، بالرغم من ذلك استطاع أن يسأل:

- ما هي الفوائد الملموسة من كل هذا؟

- خلال شهر أو شهرين سوف تشعر بزوال التعب إن شاء الله.

- سوف يخف السعال أيضاً، ويتحسن تنفسك وتخف الآمك.

- هذا ما يحصل بالعادة، وربما لا يحصل:

إذا أبدت مقاومة للعلاج فسوف نغير من الكميات المحقونة، وحتى نوعية المواد وقد نغير المدة الزمنية بين مرحلة وأخرى. لعلمك فإن الطب ليس من العلوم الدقيقة، ونعالج كل حالة بانفراد عن الحالة الأخرى، فالطب إذن يحاول والشفاء بيد الله.

- ومتى يمكنني العودة إلى العمل؟

هذا مهم بالنسبة لك، أليس كذلك؟ هذا طبيعي بالنسبة لشخص مثلك بدأ حياته بنجاح سريع، سوف نتكلم في هذا الموضوع بعد شهر، وفقاً لنتائج العلاج، من اليوم فصاعداً اعتبر نفسك في إجازة، يمكنك مخاطبة الشركة التي تعمل فيها وطلب تخفيض دوام عملك إلى النصف مثلاً، هناك احتمال أن نطلب منك الكف عن قيادة السيارة مؤقتاً، أظن أنك غير مستعجل للعودة إلى مصانع السّجائر أليس كذلك؟

- هل العلاج الكيميائي لا يتم إلا بالمستشفى؟

- لا، لا أظن أنه بالرغم من حسن معاملتك، فأنت تريد التهرب منا، فسنقوم ابتداءً من الغد بتخديرك تخديراً محلياً في غرفة لحقنك عن طريق الجلد؛ لأن ذلك أسهل من حقنك عن طريق الوريد، وذلك سيتم بالمستشفى، ويمكن أن نتفق معاً على أن يتم إجراء بقية العلاج بالبيت، وسنكلف ممرضة بالقيام بهذه المهمة، لكن يجب الحضور إلى المستشفى لتلقي الجزء الآخر من العلاج ثم العودة إلى البيت، وسوف أراك يومياً وبانتظام.

- إلى متى سيدوم العلاج الكيميائي؟

- الإجابة عن هذا السؤال ليست سهلة كما يبدو لك، يمكن أن يدوم ستة أشهر، ولكن ذلك مرهون بفعالية العلاج.

- لم نتكلم بعد في موضوع الألم.

- العلاج الكيميائي لا يسبب أي ألم، هل لك أسئلة أخرى؟

- لا، لا ليس لدي الآن، لكنني خائف.

- سوف تقوم الطيبية بوتون بمساعدتك على مقاومة الخوف، والسيطرة على كل انفعالاتك، بالنسبة لي سوف أتغيب اثني عشر يوماً لحضور مؤتمر طبي بالولايات المتحدة ومن ثم العودة، قد أحضر من هناك أدوية أو علاجات جديدة وآخر التطورات وآخر الآمال.

- غادر الطبيب لآكروآ بعد أن عرفه على الطيببة بوتون، وطلبت منه الجلوس، فجلس الاثنان على كرسي من السعف المريح ، كان أبو (أورور) على وشك البكاء، لكنه استطاع أن يتلفظ قائلاً:

- أنا خائف من هذا المرض، خائف من أي فحوصات مستقبلية، خائف من العلاج الكيميائي ومن المستشفى نفسه، خائف من الموت، خائف على زوجتي وابنتي وأمي وأبي.

- هل تريد أن أجري معهم مقابلة؟

- لا، لا سوف أتكفل بذلك بنفسي.

- ممتاز هذا أول دليل على شجاعتك وقوة التحمل.

- هذا غير معقول سرطان لشاب له من العمر 23 سنة، إضافة إلى أن المتسبب هو السجائر، كنت أعرف منذ أن كان عمري 9 سنوات أن التدخين خطير، إنها غلطة العمر.

- بإدانتك لنفسك سوف تزيد من معاناتك، وقد تهاجمك العديد من الأفكار السلبية، والشكوك، والاضطرابات والقلق فتسهم في انهيار معنوياتك، كل ذلك سوف يؤجج خوفك، أنت ذكي وعلمتك دراستك وتجربتك في الحياة أهمية الأفكار الموجبة والبناءة، هذا مهم جداً؛ لذا أطلب منك أن تكون متفائلاً وتنتظر إلى كل ما هو إيجابي في حياتك.. فكر في نجاحك العائلي، ونجاحك في عملك.. بعد التفكير في كل هذا قم بالتركيز على كل ما هو واقعي وملموس، عش ليومك ولا تكثرث بما سيحصل غداً. إنك تحب القراءة كما سمعت؛ لذا اقرأ كثيراً، سوف تجد في القراءة مادة دسمة، بالإضافة إلى تغذية الذاكرة سوف يتضح من خلال القراءة كل شيء إيجابي في حياتك. حاول أن تقرأ كل ما هو إيجابي ويمكنه مساعدتك في التعامل الإيجابي مع كل من يتعامل معك في المستشفى، لقد تعرفت على بعض الأطباء ذوي الاختصاص، وسوف تتعرف على آخرين إن شاء الله.

تابع السلوك المثالي نفسه الذي سلكته مع الطبيب لأكروا، أنت تعلم أن كل من يعمل بالمستشفى يتعرض لضغط كبير من جراء المسؤوليات المنوطة به، لقد أصبحت الولد المدلل الذي يحمل لواء مكافحة التدخين، سوف يعمل كل من يحيط بك المستحيل من أجل إخراجك من هذه الأزمة، بالرغم من مأساتك فأنت من المحظوظين، نحن لا نبخل عليك بأي شيء، اسأل ونحن نجيب، لا تتردد في أن تصبح طبيب نفسك، سوف يساعدك ذلك في فهم العلاج وتقبله بسهولة، وسوف يعد ذلك من الإيجابيات ويبعدك عن كل ما هو سلبي، إنني أخطبك بأسلوب مباشر قريب من أسلوب الأم لولدها .

أنا هنا قريبة منك؛ لأستمع إلى كل الأسئلة التي قد توجهها إلي، وسوف تصلك إجاباتها، أنا هنا لمساعدتك في تحمل مرضك وتحمل أعراضه الجانبية والنفسية خاصة، أنا هنا لأساعدك على تحمل العلاج الكيميائي، كل من يعمل بالمستشفى مجند في سبيلك، وكل الأدوية مسخرة لعلاجك، وكل من ترى حولك من حلفائك، كل هؤلاء موجودون من أجل الدفاع عنك ومحاربة العدو معك وتحقيق النصر إن شاء الله .

قم بالدعاء لهم واشكرهم على ما يفعلون من أجلك، أطلب منك أيضاً تدوين كل أحاسيسك وما يعتريك من خوف وقلق وأرق وما يراودك من أسئلة طبية أو سيكولوجية أو حتى تلك التي تتعلق بالوجود أصلاً، كل هذا قد يسهم في رفع معنوياتك وتحفيزك على مواصلة المعركة .

بعد هذا قام الاثنان بطرح الأسئلة والأجوبة بالتناوب حتى قدوم الممرضة التي ستتولى مهمة العلاج الكيميائي، قبل مغادرته المستشفى قام بإجراء مكالمة مع زوجته؛ ليخبرها بأنه سوف يعانقها بعد 5 ساعات من الآن، الوقت يداهمه لذا لم يجد الوقت لمراجعة نفسه .

طلبت منه الممرضة الجلوس وأخذت تشرح له مزيج الأدوية التي سوف يتم حقنها بجسمه وتتكون من: مادة البلاتين والفيبيسيد والسيكلوفوسفاميد،

والإنتراسكلين والألكالويد وغير ذلك من المواد الأخرى، كل هذا لا يشجع على ابتهاج الجلد، سألته بعد ذلك إن كان شرحها سهلاً ومفهوماً، وهل لديه أسئلة حول ذلك، كل شيء يبدو له واضحاً سهلاً وجلياً، فهو مستعد للحقنة، قامت الممرضة بحقنه عبر الوريد ووعده أن تكون الحقنة القادمة في الغد عبر الجلد، تجنباً لأن تصبح أوردته مثل المصفاة.

بعد دقائق أحس أبو (أورور) أنه منهار، أحس بغثيان ثم استفرغ، كان يعرف ذلك لكنه هوجئ بسرعة الانفعال، كان سعيد لأن فلورانس لم تشاهد هذا المشهد الذي لا يحسد عليه، هناك مرضى آخرون يشاركونه الإحساس والمعاناة نفسيهما، هناك من يقول: لقد انتهينا.. كان أبو (أورور) سعيداً أيضاً لأن زوجته لا تسمع هذه الآهات اليائسة، سعيداً أيضاً لعدم حضورها هذه المشاهد التي تؤثر سلبياً عليها وعليه وتقلل من احتمال شفائه.

طلبت منه الممرضة استخدام خوذة مثلجة 4 درجات مئوية للتخفيف من تساقط الشعر، كما طلبت منه أن يحلق رأسه على الصفر، لكنه رفض.

خلال مدة العلاج كان أبو (أورور) يفكر كيف يواجه هذا العلاج بالشجاعة الكافية.. والتمكن منه، سوف يستعين بأهله وأصدقائه حتى أولئك الذين اختفوا منذ مدة لم لا؟ سوف يتحمل كل شيء ويطبق كل التعليمات دون تردد. سوف يتعامل بجدية مع طبيبة علم النفس؛ ليجنب زوجته أي إزعاج. كان سعيداً لأن زوجته وأمه وأباه لم يحاولوا أن يتصرفوا معه إلا يصدق وأمانة في هذه اللحظات الصعبة، الأطباء أيضاً يتعاملون معه بصدق وأمانة ويشاركونه معركته المصيرية، فهم أقرب حلفائه في معركته ضد الجهول، لقد أصبح السرطان بالنسبة له لا يشكل حتماً الموت المؤكد، ولا المعاناة التي لا تطاق.

هو يعلم ويعي أن حياته العائلية أصبحت مهددة وكذلك وظيفته، لكنه مستعد للتحدي، فهو يرغب ويحب التحدي؛ لذا فهو يستعد بكل قوة للتحدي ومواصلة

التحدي دون خوف من المصير الذي ينتظره، قد يتسلل إليه أحياناً شيء من الخوف، لكنه سرعان ما يزول وترتفع معنوياته من جديد، وعود نفسه بأن يستمع إلى نصائح الطبيبة بوتون ابتداءً من الغد ومراجعة حياته لاستخلاص كل ما هو إيجابي.

دخلت الطبيبة، لقد كانت تقدم بعض التعليمات الفنية للكوادر الطبية التي تعمل معها، بعد بعض الألفاظ المطمئنة أخذت تصفي إليه؛ لتعرف مخاوفه وتزوده بالأجوبة الخاصة على الأخطار المحدقة به، صارحها وبكل هدوء بكل شيء، شيئاً فشيئاً انشرح صدره وزالت الاضطرابات التي كانت تتخلله، عرفت الطبيبة من خلال محادثتهما الجو الذي كان يسبح فيه، تعرفت على همومه ومعاناته وخوفه من العلاج المستقبلي، وخوفه من الأغلاط التي ربما يقع فيها زملائها المعالجون تحت وطأة ضغط العمل المتزايد، وأخيراً خوفه من المجهول الذي ينتظره... إلخ، سألته كالعادة عن خوفه الذي هو وليد خياله. وليد الظروف المأساوية التي نسجها الخوف، سوف لا يخلصه من مسبباته، بل بالعكس سوف يغذيه الإحساس بالإحباط والهزيمة. أحس أنه لا بد من السيطرة على الخوف؛ لكي لا يفقد صوابه، إذا سيطر على خوفه سوف يكون حليفه النصر، النصر نفسه الذي حققه في العمل، إنه متأكد من النصر في النهاية؛ لذا يجب عليه الانتصار في البداية. غادرت الطبيبة بعد أن ذكّرت بمقولة للكاتب والفيلسوف الفرنسي الشهير (مونتين) وطلبت منه حفظها: (المرء لا يعامل بعنف من طرف الأحداث، بل مما يفكر من خلال هذه الأحداث) ثم سلمته نسخة من الكتاب الذي وردت فيه هذه المقولة.

قامت بعد ذلك سيارة الإسعاف بإيصاله إلى بيته، استقبلته زوجته مرهقاً منهكاً، لكنه كان سعيداً بعودته إلى البيت؛ لينعم بالدفاء العائلي، سرد عليها أحداث اليوم وخاصة مقابلاته مع طبيبة علم النفس، قرر الاثنان التحدث بصراحة والتخلص من كل ما هو كذب، أو نصف حقائق، بعد مداعبته ابنته شرع فوراً يقرأ الكتاب الذي أعطته إياه الطبيبة، تفاجأت زوجته لكنها كانت سعيدة لهذا التحسن في السلوك. فعادة يفضل زوجها قراءة كل ما هو جديد، أما اليوم.. فقد رجع إلى الوراء ليقرأ لكاتب عظيم.



ذهب إلى المستشفى في اليوم القادم، قام أحد الجراحين بحقنه تحت الجلد، بين الجلد والترقوة، قام البروفسور لو بلان الذي ينوب عن الطبيب لأكروا في أثناء غيابه بفحصه وسؤاله حول إحساسه بعد الحقنة التي أعطيت له، وبعد ذلك قام بمواساته ثم شرع يشرح أشياء فنية للممرضات والطلبة الحاضرين. لم يفهم أبو (أورور) أي شيء من هذه المصطلحات الطبية، إذ أغلبها لاتينية ومتعلقة بمرضه، فهو لم يتعود على هذه المصطلحات الغريبة والجديدة عليه، فلا مقارنة بينها وبين المصطلحات السهلة التي كان يستعملها الطبيب لابانيير أو الطبيب لأكروا، كان يثق في كل من حوله وخاصة في الطبيبة بوتون؛ لذا لم يكثر كثيراً مما سمعه، لم تكن الحقنة لحظة ود، لكنها لم تحدث ردة الفعل نفسها التي أحدثتها بالأمس. غادر المكان في أحسن حالاته، وعند عبوره الممر وهو ينتظر طبيبة علم النفس شاهد العديد من المرضى ينتظرون أدوارهم وهم في حالة مأساوية، حالته أيضاً ليست أفضل منهم بعد أن أصبحت أظافره هشة بسبب العلاج الكيميائي، من خلال نافذة كبيرة في آخر الممر أخذ يتأمل الحياة بالخارج، يتأمل الحياة الحقيقية التي تتجسم في أعمال التوسعة بالمستشفى.

الأعمال سوف تنتهي في شهر ديسمبر 2003م كما تشير لوحة كبيرة معلقة على أحد الجدران المقابلة، قال أبو (أورور) مخاطباً نفسه:

- أين سأكون في ذلك التاريخ؟

قال ذلك والحسرة تكاد تتسبب في إغمائه، بدأت المقابلة مع الطبيبة بمحاولة إقناعه بأنه لا فائدة في محاولة تغيير الوضع الذي هو فيه، هذا سوف يساعده على عدم فقدان اتزانه العقلي، تألم أبو (أورور) كثيراً، قام الاثنان بمناقشة كل ما يمكن تغييره، فافتتح أنه بمبادرة منه، وهو الوحيد الذي يمكنه القيام بتغيير سلوكه، ومن ثم تأتي التغييرات الأخرى، اكتشف أيضاً أنه الوحيد القادر على تحقيق سعادته، فراح يبحث عن السكينة في تساؤلاته، وقراءاته وأبحاثه وأعماله، وفي معرفته وفي كل ما يسهم في التخلص من الخوف.

في انتظار طبيبه المعالج سوف يحاول التقرب من الطبيب المناوب البروفيسور لوبلان، سوف يخبره بإحساسه ورفضه للأمر الواقع، فهو دائماً يفضل التصدي لأي شيء وعدم الاستسلام بسهولة، من الأفضل ألا يتغير الآن، غادر الطبيب وهو في قمة التفاؤل.

غداً سوف يتلقى الحقنة الثالثة، بقي في المستشفى قرابة الثلاث ساعات تم تقسيمها بين العلاج الكيميائي وبين المقابلة مع طبيبة علم النفس، قامت المرافقة لطبيبة علم النفس بإخضاعه إلى حصة يوغا، سوف يتلقى التدريب نفسه باستمرار سواء بمفرده أو معها. مزاوله هذه الرياضة أعجبتة، بمرور الوقت أحس أن هذه التمارين أكسبته هدوءاً لا مثيل له، لقد زال الملل والقلق أيضاً.

لقد شاركته زوجته في مزاوله هذه التمارين، اتفقا على مزاوله هذه الرياضة معاً وفي ساعة معينة من كل يوم، حان وقت الطعام كان لابد له أن يأكل كما أمره الطبيب، قام بدعوة والديه لتناول العشاء معه، تفاجأ الوالدان بقلة شهيتة، كما فاجأهم ابنهم بكل ما يحصل له من جراء العلاج الكيميائي: كالحكة ليلاً أسفل القدم والرجلين والفخذين والآلام المستمرة في أسفل الظهر... إلخ.

في يوم الجمعة 8 نوفمبر قام الطبيب لوبلان والطلبة الذين يرافقونه بإجراء اختبار تحمل العلاج الكيميائي، تم ذلك بسرعة فائقة، بواسطة الصور والرسوم والمجسمات، قام الطبيب المحاضر بشرح مسببات المرض، وماذا حدث له وماذا قد يحدث في المستقبل من مضاعفات كالإرهاق والاستفراغ، ونقص الشهية والأرق... إلخ، وبعد هذا أجاب عن أسئلة الطلبة حول ما حصل للمريض، وماذا تم عمله والغرض من الأدوية التي تعطى له، قام بشرح مبسط لنوعية السرطان، فهو يسمى ب (حبيبات الشوفان) بالإضافة إلى الكثير من المعلومات الأخرى.

- المهم بالنسبة لك أن هذا السرطان يتفاعل بسرعة مع العلاج الكيميائي. ثم أضاف أنا مرتاح جداً للنتائج، كيف ترى الحالة؟ إذا استمرت فاعلية العلاج على ما هي سوف تخرج معافى إن شاء الله.

حالياً لا أستطيع تأكيد ذلك، هناك العديد من الأمور تمنعنا من الإجابة إيجابياً عن هذا السؤال، لكن اطمئن في المرحلة الثانية سوف نرى الأشياء بوضوح أكثر. بعد هذه المقابلة لجأ أبو (أورور) إلى الطيبة النفسانية والعرق يتصبب من كل جسمه.

خلال آخر الأسبوع أصيب بضعف عام مخيف حتى ظن أهله أنه فقد كل أمل في الحياة، تعب عام، وغثيان، واستفراغ، وفقدان الشهية، وتغير لون لسانه إلى الأسود، واضطرابات في المعدة وأخرى في القلب والهضم وتوتر في الأعصاب وصداع وفقدان الذاكرة، كانت زوجته وأمه وأبوه بجانبه لمؤازرته ومواساته ورعايته بعطفهم وحنانهم، أما أبو (أورور) فكان يحاول التجاوب معهم، كان يصارع المجهول بكل ما يستطيع جسدياً ونفسياً، أصبح لا يتحمل أي شيء حتى الكلام ولاسيما الاستحمام، أصبح لا يستطيع عمل أي شيء على الإطلاق. يوم الإثنين 12 في الشهر ازداد استفراغه إلى درجة لا تطاق فقرر العودة إلى المستشفى وهو صائم، حتى الإحساس بالجوع اختفى.

كان ناقماً على الأرض كلها وعلى نفسه بصفة خاصة، حضر إلى المستشفى دون موعد، لكن الطبيب لاكروا القادم اليوم من أمريكا استقبله لبضع دقائق، وطلب أخذ عينة من دمه فوراً، كما طلب مراقبة حرارته وإعطاء موعد لمقابلته بعد الظهر.

- قبل كل شيء أنا سعيد بمقابلتك من جديد في المستشفى بعد عودتي من أمريكا، خلال المؤتمر تحدثت عنك مع زملائي، فكان اهتمامهم كبيراً بحالتك، لقد بلغت شهرتك إلى العالم كله كأصغر مصاب بالسرطان في العالم، هذه هي نتائج التحاليل التي أجريت على دمك 12.000 صفيحة في الملمتر مكعب، بينما كنت أتوقع بين 4.000 و10.000 و10 غرامات هيموغلوبين بنقص قدره 2 إلى 10 غرام، أكذب عليك لو قلت لك: إنني غير متشائم.

لاحظ الطبيب أن قلق مريضه في تزايد، وقد يؤثر ذلك على نفسيته؛ لذا قام باستدعاء الطبيبة النفسية، سوف تقوم برفع معنوياته مستخدمة لغة الحوار المتبادل، ثم تقوم بإخضاعه إلى حصة استرخاء عميقة، هذه معاملة خاصة به فقط دون المرضى الآخرين، وفي الوقت نفسه قام الطبيب لاكروا بتذكيره أنه لا بد أن يتعلق بالأمل مهما كان ضعيفاً، وأن يتحلى بالشجاعة وحب الحياة، ويثق في كل من يتفانى في خدمته في هذا المستشفى. لا بد له أيضاً ألا ينهزم أمام هذا العدو الشرس.

- أجابه أبو (أورور) قائلاً:

- إنني أتجرع العلقم ليل نهار، هل هناك من أدوية مهدئة يمكنها أن تساعدني؟

لدي أفضل من هذه الأدوية، مواعيدي كلها محجوزة لك، ورقم هاتفي مسخر لك أيضاً، بل أرقامى الثابتة تحت تصرفك بالإضافة إلى الطبيبة التي ستكون في خدمتك على مدار الساعة، يمكن لطبيب العائلة أيضاً أن يساعدنا في هذه المهمة، لا أريد إعطاءك مسكنات أو مهدئات؛ لأنها سوف تؤجل المشكلة فقط ولا تحلها.

لكن أطلب منك الانتباه جيداً: لو لاحظت قطرات دم في بصاقتك أو في مخاط الأنف لا بد أن تراجع المستشفى فوراً، حتى لو حصل ذلك في نهاية الأسبوع، هذا دليل على نقص في عدد الصفيحات الدموية، وقد ينتج عنه نزيف حاد، نزيف مميت، هذا مجرد افتراض طبيعياً.

وفي صباح الغد حدث ما كان يتوقعه الطبيب، حضر أبو (أورور) إلى المستشفى بعد أن لاحظ أنه يتبول دماً، بعد أخذ عينة من دمه وتحليلها اتضح أن عدد الصفيحات الدموية أصبح أربعة آلاف فقط، فمستوى بهذه الكمية خطير جداً، تم فوراً تزويده بكمية كافية من الدم. كانت هذه الكمية كافية لمساعدته على الرجوع إلى البيت مع زوجته، كانت سعادته لا تقدر، وهو يرى ابنته (أورور) تفتح له الباب وتستقبله بابتسامتها البريئة.

في يوم الجمعة 15 نوفمبر رجع أبو (أورور) إلى المستشفى لفحص دمه والتأكد من عدم هبوط عدد الصفيحات إلى مستوى خطير، لقد تضاعف عدد الصفيحات الدموية ثلاث مرات بعد عملية نقل الدم الأخيرة، هذه الزيادة الملحوظة سمحت للطبيب بالتفاؤل ولأبي (أورور) بالتمسك بالأمل. في آخر الأسبوع نهض أبو(أورور) من فراشه بمظهر جديد، لقد فضّل شعره الانسلاخ من رأسه والبقاء في الفراش بدلاً من مرافقته كالمعتاد، أما الرموش والحواجب واللحية فبدأت تتساقط تدريجياً، وجلده بدأ ينشف شيئاً فشيئاً، في حدود المقبول؛ لذا لجأ إلى المراهم المرطبة علّها تخلصه من هذا الجفاف المفاجئ، بعد حالة الطوارئ التي مر بها انتهت المرحلة الأولى من العلاج الكيميائي.

تم حقنه بالجرعة الأولى من العلاج الكيميائي للمرحلة الثانية بعد أخذ عينة من دمه وتحليلها، كانت المفاجأة كبرى! ارتفع عدد الصفيحات الدموية إلى 90.000، هذه مفاجأة إيجابية، لكن المفاجأة الثانية كانت سلبية، لقد نزل عدد الكريات البيضاء إلى 2.500. فاضطر الطبيب لأكروا ومساعدته إلى إجراء تعديل على الحقنة التي أعطيت له، بعد مرور أسبوع على الحقن الثلاثة الأولى ارتفع عدد الصفيحات الدموية إلى 640.000 وعدد الكريات البيضاء إلى 10.500، لا يمكن الحصول على أكثر من هذا في مدة وجيزة.

بالرغم من أنه لازال مرهقاً أحسّ أبو (أورور) بشيء من الراحة والسعادة، إذ شعر وكأنه تم تزويده بأجنحة جديدة.

وفي 9 ديسمبر انخفض عدد الكريات البيضاء إلى 600 فقام الطبيب المعالج بتزويده بمضادات حيوية يتناولها عن طريق الفم للوقاية فقط.

- حاول بقدر المستطاع أن تتجنب أي التهاب، إذا ارتفعت درجة الحرارة أكثر من 38.3 درجة، وأحسست بالقشعريرة لا تتردد لحظة واحدة في مراجعة المستشفى لتلقي جرعات قوية من المضادات الحيوية عن طريق الحقن.

رجع الطبيب إلى الخلف وذكّرهُ أن أحسن ما فعله هو إقلاعه عن التدخين، وشرح له بواسطة مخطط كيف تحسنت حالته بعد هذا التوقف، وشكره أيضاً على إيقافه التدخين قبل فوات الأوان.

ارتفعت معنويات أبي (أورور) بعد هذه المقابلة، فبدأ يفكر في مشروعاته المستقبلية، سوف يكرس أسبوعاً كاملاً للعائلة والأصدقاء، والقراءة بالطبع ومشاهدة التلفاز ومتابعة كل جديد عبر الإنترنت، كان متأكداً أن كل أصدقائه حتى أولئك الذين هجروه دون قصد سوف يقومون بزيارته للاطمئنان عليه، كان عازماً على دعوة بعضهم لجلسة عائلية، وإذا استمرت حالته في التحسن، فسوف يجري اتصالاً بالشركة التي يعمل فيها ويخبرهم بعودته القريبة إلى مزاولة عمله، ربما نصف دوام فقط.

بدأ يجري بحثاً عن مرضه عبر الإنترنت، فحصل على العديد من المعلومات، بعض منها كانت متناقضة، لكنه استنتج من هذه المعلومات أن المدة المتبقية من حياته لا تتجاوز الثمانية أشهر، كان لهذه المعلومة وقع سيئ لكنه حاول ألا يصدق مصدرها، غضب غضباً شديداً، غضب من شركات التبغ التي أوقعته في فخ التدخين، وغضب من الأطباء الذين لم يوجهوا له النصح بما فيه كفاية، غضب أيضاً من والديه وحتى من فلورانس التي كان من المفروض أن تكون بجانبه أكثر أيام الشدة، غضب أيضاً من صاحب الرسائل المجهولة ومن نفسه أيضاً.

كان شاحب اللون هذا اليوم، ودقات قلبه مرتفعة، كان خفقان قلبه يزيد من شعوره بالألم، فاستسلم لتمارين اليوغا؛ عله يجد فيها راحة، فوجدها فعلاً، وأحس بتحسّن فقرر أن يثق بالمستشفى من جديد وينسى المعلومات التي اقتناها من الإنترنت؛ لأنها قد تزيد من توتره وقلقه، قرر أن ينسى التفكير في الموت القريب والتمتع بالهواء الطلق، كما نصحته الطبيبة بالتمتع بالحرية والتفكير، والابتعاد عن أي شيء اسمه اندفاع، ازداد إحساسه وتمتعه بأي شيء جميل حوله: وجمال الأشياء، وجمال الحركات، وجمال القلوب، جمال كل شيء حوله، حتى تلك الأشياء

التي لم يمكن يعيرها أي اهتمام من قبل، كانت رغبته أن يكمل الصفحات البيضاء من الألبوم العائلي بصور جميلة أيضاً.

قبل أن يقرر العودة إلى العمل قرر القيام بأعمال خيرية لمساعدة غيره، مساعدة من هو يعاني مثله، هل هذه صحوه متأخرة تعبيراً عن وعيه ومستواه الثقافي العالي؟ رجع إلى الماضي وأجرى تقويماً عاماً لحياته، فرأى أنه من بين الأسباب التي دعتة إلى التّدخين رؤية أمه وهي تتعذب من هذا التصرف الطائش أكثر من تقليد المدخّنين، كان يدخن لكي ينتقم من أمه، لقد فكر في ذلك كثيراً، يا لها من تجربة سيئة مرّ بها!

عله يفيد غيره بعد هذه التجربة المرة، ما هو عمل الخير الذي يفكر فيه؟ بعد الأخذ والرد اقتنع أن أحسن عمل يفعله هو أن يصبح عضواً فاعلاً في هيئة المحاربين للتدخين.

هكذا بدأت حياته الجديدة ترتسم، اهتمامه بابنته أولاً ثم الزيارات إلى المستشفى، والقراءة والتّزّه في الحدائق؛ بحثاً عن الهواء النقي وزيارة الأهل والأصدقاء، لقد زاره العديد من الأصدقاء في الآونة الأخيرة، فبعضهم خجل من نفسه لقلّة الزيارة وبعضهم لم يستطع التفوه بكلمة واحدة، وآخرون جاؤوا بدعوة من فلورانس أو بدعوة من الوالدين، فكانوا مهيبين للرد على لومه لهم وشعوره بالخيبة والأسى نحوهم، كانت هذه الزيارات مصدر انتعاش لأبي (أورور)، لقد كان يحث كل صديقة مدخنة أو كل صديق مدخن على الكف عن التّدخين فوراً.

حدد مع كل مدخن جدولاً زمنياً للإقلاع عن التّدخين، ووعدهم بمساعدتهم في هذه المهمة الصعبة بموجب تجربته في هذا المجال.

بالرغم مما يعانيه من مرض، فلقد كان يتجنب الحديث عنه مع أصدقائه؛ لأن المرض يتحدث نيابة عنه، رسالته كانت واضحة، فهو يريد أن يلفت انتباههم إلى أن السجائر تضر الجسد والعقل، معاً، صار أبو (أورور) يكرس كل وقته للتعرف على

أضرار التبغ من خلال أرشيف شركات السجائر الذي يحصل عليه من خلال الإنترنت، عرف أيضاً من خلال الفيلم (التصريح)، الذي تم عرضه في التلفاز أن شركات السجائر تتسبب في موت خمسين في المئة من المدخنين.

كان هدف أبي (أورور) توجيه رسالة مفصلة عن المواد التي تضاف إلى السجائر، بالإضافة إلى أسماء الشركات التي تزودهم بها، فهو أول ضحايا هؤلاء القتلة، كان يظن أن التدخين رمز الحرية، لكنه سرعان ما اكتشف أنه رمز العبودية، بعد أن أصبح سجيناً ويصبح اليوم فريسة سهلة لا ينتظرها إلا الحكم بالإعدام المؤجل.

فهو يتخيل من لحظة إلى أخرى أن الموت آتٍ لا محالة، كما يتصور مفارقة هذا الكون كرحلة طويلة أو إجازة أطول. انتهت المرحلة الثانية من العلاج الكيميائي، بتناول الأطباء المعالجون، أما المرحلة الثالثة، وسوف تبدأ في 6، 7، 8 يناير 2003م، كان أبو (أورور) يفكر فيها وفي بعض اللحظات السيئة التي عاشها مع الطبيب لأكروا والطبيب لا بانيير، كان يفكر أيضاً في بعض الوجوه المتشائمة لمعالجيه أو أصدقائه الذين يتظاهرون بالتفاؤل، شفقة عليه، لكنه سرعان ما تخلص من هذه الأفكار الانهزامية؛ لأنه اقتنع أن أي شيء قد يحصل له ربما يحصل أو ربما لا، مهما كانت خطورته، حتى لو كانت فرصته في الحياة لا تتجاوز 10٪ فيجب التمسك بها.. ومن جهة أخرى كان يقول لنفسه من يستطيع أن يضمن الحياة لنفسه غداً؟ لا هو ولا غيره، عندما يردد هذا أمام زوجته وأبويه وأخته وأخيه يصفق له الجميع؛ لأنهم مجرد متفرجين عاجزين عن عمل أي شيء.







# الفصل 26

عقد أدباتريس اجتماعاً إستراتيجياً لتلميع صورة برومورتييم، هذه الصورة التي لا يحسده الكثيرون عليها، فهو يريد من خلال هذا الاجتماع أن يظهر للحاضرين الإيجابيات من خلال الأعمال الخيرية التي يقوم بها لتغطية الأضرار التي يلحقها بالمدخنين، لقد أظهرت العديد من البحوث تدهور العلاقات بين صناعات السجائر والحكومات وحتى مع المدخنين أنفسهم بسبب سلبيات التدخين.

بعد سنتين من الألاعيب والأكاذيب قبلت شركات التبغ إجراء حوار حول مضار التدخين الصحية، انتهت معارضتها التقليدية لذلك وأصبحت مستعدة للقبول والاعتراف بعلاقة مرض السرطان بالسجائر، أصبح ذلك ضرورياً لتهدئة الحكومات المعارضة أكثر فأكثر لشدة ضغط الرأي العام المتزايد عليها وتجنب مواجهة القضاء في كل مكان، قررت شركات التبغ الاستعداد لصنع سيجارة أقل مضرة، من أجل ذلك قامت الشركات بتوزيع ملصقات ضد التدخين على بائعي السجائر والصيدالة، كان ذلك من المستحيل قبل أشهر مضت، لكن اللعبة القذرة لم تنته، وشركات التبغ لا يمكن أن تستسلم بهذه السهولة.

بعد أشهر من توزيع الملصقات المعسولة بدأت الشركات تضغط على الموزعين والبائعين للترويج للسيجارة الجديدة دون خطر، كما يحلو لهم تسميتها تجند العالم كله لحماية الشباب بصفة خاصة، وفي هجوم مضاد قامت شركات السجائر بتوزيع

وجبات سريعة على الفقراء والمساكين؛ لأن هؤلاء هم الضحايا أصلاً، لم تكتف الشركات بذلك، بل راحت تقدم المساعدة أيضاً إلى ضحايا أعمال العنف... إلخ.

غضب أدباتريس في أثناء الاجتماع، حيث كان من المفروض أن يتجنب الغضب في أثناء الاجتماع.. غضب لأن أحد المناصرين للشركة بأوربا أخبره في تلك اللحظة أن أحد الشباب من ضحايا التدخين عمره 23 سنة أكد أمام العالم أنه مصاب بسرطان الرئة بسبب التدخين، وقد تأكد ذلك خلال مؤتمر طبي عقد في المدة الأخيرة بأمريكا، حيث أصبح هذا الشاب موضوعاً خصباً للأطباء الحاضرين، وانتشر خبره في العالم كله، علق الهاتف بشدة وراح يدور حول مكتبه ويفكر في هذه الطامة الكبرى، لا يهمه كثيراً مصير هذا المريض، لكن كل همه في الآتي: المريض له من العمر 23 سنة، ومصيره سيزيد من غضب محاربي التدخين الذين سيضاعفون محاربتهم لهم، كان يتصور ردة الفعل العنيفة لهؤلاء الأعداء، سوف تنهال عليهم الشتائم مثل العادة: قتلة، وجلادون، وسفاحون، وقطاع طرق، ومهريون وغير ذلك.. بدأ يفكر كيف سيواجه كل هذه الحملة الجديدة المتجددة؟ كيف يمكن مواجهة رأي عام ناثراً؟ كان يعلم أن هذا المريض يعرف أسرارهم؛ لأنه كان يزودهم بالكثير من المواد السامة المضافة إلى السجائر.

فهذا كاف لتفجير الوضع في شركة برومورتييم، والخطر الآخر هو صفر سن هذا المصاب؛ لأنه من قبل كان الكثير من الشباب يموتون في الثلاثين من العمر بسبب التدخين دون أن ينتبه أو يكثر أحد، أما في الثالثة والعشرين فقد بدأ الناس يشعرون بالخطر، ربما هذا المدخن لم يدخن أكثر من 10 سنوات! هنا مكمّن الخطر الذي يواجه الشركة ويهدد مصالحها ومصالح أدباتريس على المدى القريب والمتوسط والبعيد.

كان أدباتريس متمسكاً بمبدأ تدخين الشباب في أصغر سن ممكن، لكنه لا يحب المتخاذلين الخونة مثل أبي (أورور)؛ لهذا دعا جوركا واتفق معه أن هذا الخائن يجب ألا يموت بالسرطان بل يجب التخلص منه بطريقة أخرى، طريقة خفية لا يتم

اكتشافها بسهولة، كما لا يتم اتهام الشركة بتفويضها، هناك خيارات عديدة، لا يجب أن يكون أبو (أورور) ضحية سرطانها؛ حتى لا تتم إضافته إلى القائمة الطويلة لضحايا التدخين، وهذه هي مهمة جوركا.





# الفصل 27

عمل أبي (أورور) الجديد في مكافحة التدخين لا يمنعه من زيارته المتوالية للمستشفى والتردد على طبيبة علم النفس؛ لأنه يجد متنفساً في هذه الزيارات الضرورية، في العشرين من ديسمبر كان حواراً مع طبيبة علم النفس يتمحور حول أن بيولوجية الأمل أحد عوامل الشفاء، ويتلخّص ذلك في أبيات الأم (تيريزا) التي تقول:

الحياة فرصة، فاغتنمها.

الحياة جمال، فتمتع بها.

الحياة نعمة، فتذوقها.

الحياة حلم، فاجعل منه حقيقة.

الحياة تحدٍ، فقم بمواجهتها.

الحياة لعبة، فالعَب بها.

الحياة غالية، فحافظ عليها.

الحياة ثراء، فاعتنِ به.

الحياة حب، فتمتع به.

الحياة أسرار، فاكتشفها .

الحياة وعد فأوف به .

الحياة حزن، فتغلب عليه .

الحياة نشيد وطني، فتغنّ به .

الحياة معركة يجب قبولها .

الحياة مأساة ضمها إلى صدرك .

الحياة مغامرة، فجرّبها .

الحياة سعادة، فكن أهلاً لها .

الحياة هي الحياة، فدافع عنها .

خلال ساعة كاملة كانت جلسته مع الطيبة مكرسة للقيم الحقيقية للحياة كما نرى .

وعد الطيبة أنه سيتابع هذا الحوار الجميل مع فلورانس إن أرادت ذلك، كان يتأسف لعدم معرفته هذه القيم النبيلة للحياة من قبل، لقد أصبحت معرفته للحياة ولنفسه أهم من معرفة تلك المواد السامة التي تدخل ضمن السموم المستخدمة في صناعة السجائر، مثل: حامض الألفليسيرو الفوسفوريك .

البارحة التحق (أبو أورور) بمنظمة للشباب من 15 إلى 29 سنة اسمها أمل، وهي منظمة خاصة أصلاً بالمصابين بالسرطان، لاحظ أنه من المثات من الشبان المصابين بالسرطان، لكنه هو الوحيد المصاب بسرطان السجائر، إلى الآن بالطبع .

كل هؤلاء المرضى يتبادلون المعلومات والأحاديث عن مرضهم بما في ذلك أحساسهم وآمالهم ونقدهم وحتى نكتهم، ويلجؤون كلهم للتزود بواقر من المعلومات عبر الإنترنت. في العديد من محادثاتهم يركزون على معاناتهم من الغثيان

والاستفراغ ونقص في الوزن والإحساس بضيق التنفس والتعب والأرق وضربات الشمس بسبب الإشعاع العلاجي، والإحساس بالحرقان في الحلق، والنزلات البردية الحادة، والعمليات الجراحية الفاشلة... إلخ.

يتكلمون أيضاً عن السفريات التي قاموا بها، أو تلك التي سيقوم بها بعضهم الآخر، ويتخلل كل هذه المناقشات حصص مخصصة للنكت والفكاهات السوداء، ألقى أبو (أورور) ابتسامة صفراء عندما اكتشف المقولة الآتية لـ (الفونس آلي):

«ميزة الأطباء هي أنهم عندما يخطئون يقومون فوراً بإخفاء خطئهم ودفنه» وسرعان ما اكتشف مقولة أخرى لـ (وودي آين): «أنا خائف من الموت، ولا أريد أن أكون حاضراً عند حضور الموت»، رأى أبو (أورور) أن هذه المقولات مكتملة لعمل المعالجين، واستنتج من ذلك أن القدامى علموهم «أن الموت آت لا محالة وليس من الضروري أن يموت بمرض السرطان». مكتبة الرمحي أحمد

في 23 ديسمبر كان أبو (أورور) متعباً جداً، بالرغم من ذلك استطاع أن يذهب إلى المصرف لإجراء بعض العمليات، قام الموظف بمراجعة حسابه كالعادة وسأله عن صحته، شرح له أبو (أورور) أنه مصاب بالسرطان بسبب التدخين، وقد بدأ علاجه منذ 25 أكتوبر، كانت نظرة الموظف إليه لا توهي بالخير، فهو يعرف أن هذا السرطان قاتل ولا مفر منه وكل من يدخل فلا يلومن إلا نفسه، هذا المدخن المصاب بالسرطان خطر على المصرف؛ لأنه بموته سوف يخسر المصرف أحد زبائنه، لاحظ أبو (أورور) من خلال ملامحه أنه لا يكن له الود، فتحطمت معنوياته، ولم ينته من صدمته حتى قدم له الموظف رسالتين تطلبان منه سحب رصيده، وإلا سوف يجبر على ذلك، عند عودته إلى البيت أخبر زوجته بما حصل فتفاجأت بهذه المعاملة غير الإنسانية والبعيدة عن الأخلاق من طرف موظف البنك، أخذ أبو (أورور) يكتب رسالة إلى البنك يشكره من خلالها على خدماته وعلى المعاملة غير اللائقة من الموظف الذي أراد دفنه وهو لا يزال حياً، ولم يقدم لهم كالمعتاد التهاني بمناسبة حلول سنة 2003م.



في 24 من ديسمبر استلم بمناسبة قدوم رأس السنة رسالة كان في انتظارها  
كالعادة.

الظرف نفسه والكتابة نفسها انتهت الرسالة وتمت كتابتها بحروف تم قصها من  
الجرائد مثل أخواتها، وهذا ما كتب عليها:

**لقد تم الحكم عليك بالموت من طرف السجائر**

**انتهى.**

وأخيراً اكتملت الرسالة، لماذا أصرّ كاتبها على إطالتها وتوزيعها على ست  
سنوات؟ من هو؟ ومن هي؟ ما هي علاقة هذه الرسائل بمرضه؟ وما هي علاقة  
الرسالة بالواقع؟ هل صاحبها أراد التخلص منه عمداً؟ أو هل أراد حمايته من خطر  
يهدده؟ إذا كان هذا هو قصده النبيل، فلماذا لم يرسل له محتوى الرسالة مرة  
واحدة؟ ثم قال في نفسه: حتى لو وافاه بهذا النص بالكامل في أول رسالة سنة  
1996م فما كان يعيره أي اهتمام، فاجأته زوجته وهو يسبح في تفكيره، فقام الاثنان  
بتحليل هذه النهاية المأساوية التي تتبأ بها صاحب الرسائل المجهولة، قام بتسجيل  
كل من يعرفونه على ورقة، وبدأ تحرياته لاكتشاف الفاعل الخفي.

كل من يعرفهم خضعوا للتحقيق غيابياً، حتى أهله وأهلها وإخوانه وأبناء عمه..  
دون التوصل إلى اكتشاف الفاعل الجبان.

**فقالَت الزوجة:**

- يا ترى من يكون؟ إما مريض أو مصاص دماء يتلذذ بعذاب غيره، لا تهتم بذلك  
وحافظ على معنوياتك فهي التي تساعد معالجيك على الرغبة في شفائك، أثبت  
لهذا الوغد عكس ما يتمتاه. سوف تعيش، أليس كذلك؟

- حتى لا تظن أنه يكذب عليها قام واحتضنها بعنف وضمها طويلاً إلى صدره.

في ليلة (الكريسماس) اجتمعت العائلة بالكامل، أهله وأهل زوجته، كان أبو

(أورور) يشعر بالراحة ذلك اليوم، فاستقبل ضيوفه برفق وفرح، متسائلاً: هل يلاحظون لونه الشاحب الذي يفتقد إلى الجاذبية؟ هل يلاحظون تغير صوته الذي أصبح يتسم بالخشونة؟ وهل يشعرون بما يشعر به في داخله من تحسن ملحوظ؟ اقتنع بعد هذه التساؤلات التي راودته أنهم قدموا لمشاركته هذا الحفل بإخلاص وحب وصدق، خلال المدة السابقة قاموا كلهم بالواجب لمساعدته على مقاومة هذا المرض الخبيث، لقد أصبحوا يتمسكون بالصبر أكثر من غيرهم وأكثر من أي وقت مضى.

لقد أصبح صبره هو السلاح الذي ساعده على تحمل انفعال الآخرين نحوه، لقد طوى صفحات الشك وفتح صفحات الأمل على مصراعيها، مساعدة الأهل ومساعدة الأطباء والمعالجين أسهمت كثيراً في تحسن حالته ورفع معنوياته، كان (أنت) يعرف أنه مصاب بالسرطان وكان يعرف أيضاً أنه غير محكوم عليه بالإعدام، كان للعلاج البيولوجي الذي تقدمه له الطيبة بوتون، دور عظيم، إذا كان واقفاً اليوم على قدميه فالفضل يرجع لها، لكنه لا يزال خائفاً، فهو خائف من تعثر معالجه في أي لحظة، من جهة أخرى كان يرغب في مواصلة الحياة مع أهله وذويه، هذا ما شجّع على قبول دعوة والده على مشاركته لعبة المنوبولي: شارك الجميع في هذه اللعبة المحبوبة، كان كل واحد يريد الفوز دون مجاملة، لاحظ (أبوأورور) أن كل واحد يريد الفوز ولا أحد يريد أن يجامله؛ لكي يفوز؛ لذا أصر على اللعب بقوة، فهو أيضاً يريد الفوز.

في يوم 28 ديسمبر كان يشعر بلياقة عالية، ذلك اليوم جاء أبوه زائراً زيارة روتينية دون هدف يذكر، كان أبو (أورور) في لياقة جيدة كما قلنا من قبل، حتى ظن أبوه أنه ليس مريضاً، قال أبو(أورور) لوالده:

- أبي، بعد مرور شهرين على هذه الإجازة الإجبارية، وحيث إنني أشعر بالتحسن أفكر في العودة إلى العمل، سوف أطلب استدعائي إلى الحفل الذي سيقام في الشركة في ستة يناير، سوف أرتاح لرؤية زملائي من جديد، سوف تفاجئهم

لياقتي، هل علمت أنهم وافقوا على طلبي بخصوص العمل نصف دوام أم لا؟ منذ 25 أكتوبر لم يعد لهذا العمل مكان كبير في قلبي، لكنه يبقى مهماً، إذا وافقت الشركة على طلبي فسوف يكون ذلك مهماً لي وللشركة ولمهمتي الجديدة في مكافحة التدخين.

- قال له الأب: إنه لا يعلم أي شيء بخصوص هذا الموضوع، وأخبره أنه يجب تسليم السيارة قبل 6 يناير.

بعد زيارة روتينية إلى المستشفى رجع أبو (أورور) مرتاحاً بعد العلاج الذي تلقاه في أثناء زيارته، لم يبخل بالثناء على كل الفريق المعالج، في هذه الأثناء جاء ستة أصدقاء لزيارته، فانشرحت صدورهم لتحسن حالته وارتفاع معنوياته، حتى إنهم لم يوجهوا له نصائحهم المعتادة بالخروج والتمتع بالحياة كما عودوه... إلخ. تكلموا على العائلة والعمل والذكريات، ومن المصادفات الغريبة لم يرافق الأولاد آباءهم مثل العادة، مع أن مرض السرطان غير معدٍ.

هذه الزيارات أسهمت مع زيارة أهله في إنعاشه وزادت من سعادته، في 30 ديسمبر أجرى الزوجان تقييماً ثانياً للعلاقة الزوجية، استعرض كل واحد شكاويه والمناوشات السخيفة التي حصلت بينهما، انتهى هذا التقييم بتاريخ 25 أكتوبر، تمنياتهم لسنة 2003م كانت بسيطة: أن يستمر حبهما بعنف، وأن يتغلبا على المشكلات التي حلت بهما السنة الماضية، كانت أمنية أخرى تراود فلورانس، فهي تريد أن تأخذ إجازة في شهر فبراير؛ لتقضيها مع زوجها في الجبال التي تكتسي بالثلوج خلال هذا الشهر، وافق الزوج فوراً على مشروع زوجته، وبعد لحظة اشترط أن يقوموا بعمل تأمين على الحجز لإلغاء ذلك الحجز في أي لحظة، ربما يحدث له حادث طارئ يجبره على ذلك.. وافق الاثنان على ذلك وطويت صفحة سنة 2002م.

قالت فلورانس:

- أتمنى أن تكون السنة الجديدة أجمل من السنة الماضية علينا نحن الثلاثة، بل

علينا نحن الأربعة إن شاء الله .

- أجابها أبو (أورور):

- أتمنى أن تكون السنوات القادمة أجمل .

في تلك اللحظة رأى من جديد اللوحة الموجودة على جدار المستشفى التي تعلن الافتتاح في ديسمبر 2003م .

حفلة سان سيلفستر، مرت بهدوء، كانت فلورانس في منتهى السعادة، لأن زوجها في لياقة عالية، قامت بدعوته مع (أورور) للعشاء في مطعم قريب من البيت، استغرب أبو (أورور) من دعوته إلى مطعم قريب؛ لأنه مستعد للمصارعة مع الجبال، لماذا كل هذا الحذر الزائد؟ ماذا تريد زوجتي؟ في 23 من عمره كان أبو (أورور) ينتظر منتصف الليل بشغف لتقبيل زوجته وابنته بهذه المناسبة السعيدة، كيف تختفي الهواتف في هذه الساعة وفي هذه الليلة بالذات، آخر ليلة من سنة 2002م؟

في الصباح حلت السنة الجديدة سنة 2003م حضر الأهل ومعهم الإفطار، كان هذا الإفطار مكوناً من كل الأشياء التي يحبها أبو (أورور).

قالت فلورانس مازحة:

- أنت ولد مدلل .

- هذه البداية فقط! كان ذلك رد الزوج .

مرت الإجابة مرور الكرام .

كانت الأم قد تلقت السنة الماضية خبر مرض ابنها بصدمة كبيرة، وكانت صدمتها أشد عندما شاهدت التطور السريع الذي طرأ على حالته، في البداية كانت تلوم نفسها على قلة صرامتها مع ولدها، وبعدها زادت نقيمتها على شركات التبغ وعلى المدخنين وخاصة زملاءها بالمدرسة، كان البائعون الموجودون بالحي يهابونها ويخافون منها .

فهي لا تتهاون في تهديدهم في أي وقت بأنهم يقومون ببيع السّجائر بالسيجارة الواحدة لتسهيل ترويجها، أما أصحاب السيارات الذين تعودوا على إفراغ بقاياهم في الشوارع فقد كفوا عن ممارسة هذه العادة السيئة؛ خوفاً من شتمها لهم وملاحقتها لهم، لقد كتبت للكثير من وسائل الإعلام؛ لتخبرهم أن السّجائر لا تفتك بالشيوخ فقط بل تفتك بالشباب أيضاً، لقد تعبت من هذه المعركة، لكنها سرعان ما استعادت أنفاسها، مهما كانت شراسة هذه المعركة فسوف تستمر في المعركة وتستمر وتستمر.

اقترب أبو (أورور) شيئاً فشيئاً من أمه، فهو منذ مدة يجدها رهيبة؛ لأنه يشعر بما في داخلها، حتى نشاطها المتزايد اليوم والذي كان يعمده من قبل نوعاً من التهور أصبح في نظره طبيعياً جداً، ندم على بداية تدخينه، حيث كان يدخن ليستفزها، إنه اليوم يجد فيها سنده الأول مع زوجته وأبيه، فهم الثلاثة الركيزة الأساسية التي يعتمد عليها، مع هؤلاء الثلاثة يقاتل وبهم ومعهم سينتصر إن شاء الله، عند غروب الشمس قرر الأب وابنه الخروج لمزاولة رياضة المشي، واستمرت المحادثة وهما يمشيان، رجع الابن إلى الموضوع نفسه، موضوع الرجوع إلى العمل، كان الأب مقتنعاً أن مطالبته بإرجاع السيارة يعني نهاية خدماته، فغيابه الطويل يعني عدم قدرته على مزاولة نشاطه من جديد.

قال الابن مخاطباً والده.

- (السرطان = مرض طويل = الموت)، هل هذه هي المعادلة المعمول بها في الشركة؟  
لقد قرروا إعدامي، أليس كذلك؟

- لا، لا. لكن هذه إجراءات إدارية قانونية، من جهة أخرى إن حالتك لازالت غير مستقرة، وذلك يمنعك من العودة إلى عملك السابق.

- لكن أنا طلبت نصف دوام فقط!

- هذا يمكن تطبيقه في شركة محلية فقط.. أما في شركة عالمية فلا يوافقون على

ذلك.

- إذن لقد قاموا بتعويضي، أليس كذلك؟

- إذا أردت الحقيقة: نعم، لقد اضطرت الشركة إلى توظيف أحد البائعين الذي كان يعمل بشركة منافسة، وسوف يبدأ في 6 يناير، بالمناسبة إذا أردت حضور حفل رأس السنة، فما عليك إلا أن تذهب معي أنت بسيارة الشركة، وأنا بسيارتي نسلم سيارتك ونرجع بسيارتي.

- إذا كان لا بد من تسليم سيارتي، فالشركة إذن غير مقتنعة بشفائي.

- أنا آسف، لكنك خرجت عن الموضوع، كانت لك وظيفة تجارية بسيارة؛ فالموظف الجديد سوف يستعمل هذه السيارة في أثناء غيابك، عندما يتم شفاؤك سوف يعاد توظيفك بسيارة أخرى أو دون سيارة حسب نوعية الوظيفة الجديدة.

- بالرغم من هذا أنا أشعر أنهم دفنوني وانتهى الأمر.

- أنا أفهم رأيك، ولكن بصراحة أنت خرجت من جديد عن الموضوع، فراتبك لا يزال يصرف لك، وتأمين الشركة يتكفل بمصاريف العلاج، زد على ذلك فقد قامت الشركة وزملاؤك بالاطمئنان عليك.

- صحيح، لكن ذلك تم بموجب خطاب فقط دون أن يتحرك واحد لزيارتي.

- نعم، نعم لكنك تعرف أن الشركات الكبرى لا تهتم إلا بالإنتاج فقط، أما الأحاسيس الأخرى فلا وجود لها في قاموسهم، فهي كالإكسسوارات، لكن دعني أقول لك: إن مدير الشركة يرغب في رؤيتك على رأس العمل في أقرب وقت، إن نتائج السابقة تشهد لك. لعلمك فإن الشركة سوف تنتقل إلى هولندا، والشركة الأخرى سوف تحط الرحال بألمانيا، يبدو أن هاتين الدولتين متساهلتان مع شركات السجائر.

- لماذا لا يسمح لي بتدريب الموظف الجديد الذي سيحل محلي.

- أنت لم تتجاوز 23 سنة، لا يزال ذلك سابقاً لأوانه. لكن أعدك أنني سوف أكلهم في الموضوع.
- مادمت مرفوضاً في الشركة، فلا أريد المشاركة في الحفل السنوي، أقترح عليك أن تسلمهم السيارة بنفسك، هذا أفضل لي ولك، بالمناسبة يوم (6) لا أستطيع فعلاً الذهاب؛ لأن لي موعد جلسة علاج كيميائي.
- في هذه اللحظة فتحت (أورور) الباب؛ ليدخلا فبادرتهم فلورانس قائلة:
  - على ماذا تتأمران؟
  - أجب الأب:
  - نحن نتكلم في المستقبل، في العمل، وفي الشركات العالمية.



# الفصل 28

اجتمع أدباتريس بمساعدته لمناقشة أسوأ موضوع يواجهه، ألا وهو موضوع المساعدات التي يجب تقديمها لبعض المناصرين لشركات التبغ لتكملة ميزانياتهم، فقد كان موجوداً في الاجتماع وسارحاً في مكان آخر، وخاطب معاونيه قائلاً:

لقد أقنعنا وزير الثقافة لذلك البلد بمساعدته بثلاث المبلغ المطلوب لمساعدته على إعداد حملة للوقاية من التدخين. تدخل أحد الحاضرين، قائلاً: سوف نقدم المساعدة لعدد 15.600 مدرسة.

- قال آخر:

- لقد استطاع اللوبي الموالي لنا الحصول على إذن بتنظيم الدعاية وإعادة سماحها في دولة من الدول الأوروبية.

وتابع قائلاً:

- سوف نقوم بتمويل الجولة الموسيقية لفرقة البوب (XYZ)، هذه الفرقة لها شهرة عالمية وشعبية كبيرة، وتتميز عن غيرها برفضها للعادات والتقاليد، ورفضها هذا هو الذي جعلها محبوبة لدى الشباب، بما أننا سنقوم برعاية حفلاتها، فقد ضمنا تجنيد وسائل الإعلام المحلية لصالحنا.

- إنهم يعرفون أننا الوحيدون القادرون على إقامة هذه الحفلات، لقد تم تجنيد



التلفاز وكل الجرائد للترويج لهذه الحفلات، من خلف هذا الترويج لبضاعتنا ألوانا المفضلة غزت كل الدول التي ستقام فيها هذه الحفلات.

هذه المجسمات الجديدة التي سوف تنتشر في كل مكان ستكون فاعلة وتكلفتها زهيدة، وسوف نقوم بتركيبها في كل مكان وبسرعة البرق، وسنقوم بتركيب أكبر عدد ممكن، حتى لا يمكنهم إزالتها كلها.

بهذه الطريقة نحن نخالف قانون منع الدعاية، لكن يجب أن نتصرف بسرعة قبل لفت انتباه السلطات العمومية، سوف نقوم بإدخال البهجة في نفوس المدخنين الذين لازالوا يناصروننا ويسهمون في ازدهار تجارتنا، طبعاً يجب علينا مشاركتهم في التدخين لطمأنتهم أكثر.

- سوف نقوم بزيادة عدد الموزعين والبائعين للقضاء على السجائر المحلية التي تحاربنا وتنافسنا.

- لقد قمنا برشوة العديد من الصحافيين لإحراق كل الدعايات المضادة للتدخين، وخاصة تلك التي تصدر من حلف (OMS)، وسوف يتهمون هذا الحلف بالتطرف، وينشرون ما يأتي:

- كل الإجراءات التي تم اتخاذها ضد التدخين تمت دون تنسيق مع شركات صنع السجائر.

- منظمة (OMS) ترغب في منع التدخين، وحتى لو كلفها ذلك مخالفة حرية الأفراد، فهم يتصرفون تحت غطاء مقاومة التدخين لفرض البيروقراطية وقوانين جديدة على السلطات الحاكمة.

- نحن نرفض عملها العالمي ونريد أن يكون عملها عملاً استشارياً فقط.

صفق الجميع لهذه الاقتراحات العظيمة.

- سوف نعمل كل ما في وسعنا للترويج لعلبة العشرة سجائر للتخفيف من أعباء

الضرائب المتزايدة، إذا لم نحصل على الموافقة، فسوف نطلب الموافقة على عبء  
تحتوي على أقل من 20 سيجارة.

سوف نقوم بالترويج لمسابقة في مواقف كل محطات البنزين باللوكسمبورغ  
لتزويد كل من يشارك فيها بولاعة وقسيمة تسمح له بشراء سجائر بضريبة  
اللوكسمبورغ المخفضة؛ لأن ضريبة السجائر مختلفة من دولة إلى أخرى، ولا زالت  
غير موحدة، نحن نسهر على استمرارية ذلك الخلاف، ونقوم بتوزيع عينات مجانية  
على الدول الموالية لنا.

نحن نقوم أيضاً بتوزيع بطاقات دخول للسينما للسماح للشباب بمشاهدة  
ممثلهم المفضل، وهو يدخن سجارتهم المفضلة، كل شيء له ثمن، لقد قمنا باللازم؛  
ليقوم هذا الممثل بالتدخين في الفيلم.

لقد قمنا بتزويد إحدى الدول المعرضة للجفاف بـ 30 طناً من الأرز لضمان  
الدعاية والترويج لـ 800 طن من بضائعنا ووصف شركتنا بفاعل خير.

سوف نقوم برفع دعوة قضائية ضد حكومة سنغافورة التي قامت أخيراً بمنع  
التدخين في الشوارع.

لقد اتفقنا مع الرسام الشهير الذي يقوم برسم (BD-MARRON) بالتدخين في  
كل محطات التلفاز التي يقوم باستعراض رسوماته فيها، كل سيجارة يدخنها تساوي  
ألف مدخن جديد وتشجع ألفاً على الاستمرار في التدخين، حاولنا أن تتسلل هذه  
الدعاية إلى المذيع لكننا فشلنا.

كان آدباتريس يتابع كل معاونيه باهتمام بالغ.. كل واحد استعرض أفكاره  
بشفف، بالرغم من ذلك فهو كما قلنا في الأول الحاضر الغائب. فهو ينتظر انتهاء  
اللقاء دون تحمس.

دخلت على الخط المستشارة السياسية للشركة، يا ترى من هي؟ هي مارغاريت  
تاتشر (المرأة الحديدية) كما يسمونها.

- بفضل تدخل رجال السياسة، وبفضل تجنيد الجميع في خدمتنا وبفضل سفرائنا في العالم وبفضل سياستنا وفتحنا على العالم، واستخباراتنا القوية، وبفضل التهديدات التجارية توصلنا أخيراً إلى اقتحام السوق الصينية، فهي فعلاً (الإلدورادو) الجديد، نظراً ل نموها كأسرع نمو في العالم، وسوف تتفوق السوق الصينية على السوق اليابانية خلال الخمس أو عشر سنوات القادمة، فالآن يتوفر فيها 300 مليون مدخن، ربع سكان العالم يدخن، 60% من الرجال يدخنون، 10% من النساء فقط يدخنن، عملنا المتميز سوف يغير هذه الأرقام في هذا البلد الذي يعرف فيه 30% فقط من السكان أن التدخين مضر و10% أو 20% متأكدون أن السجائر مفيدة للصحة، هذه معلومة مهمة، لكنها غير معممة في أماكن أخرى من العالم لسوء الحظ، لسوء حظنا طبعاً.

فتحت السوق الصينية ودخلناها من بابها الكبير، سوف تكون عمليات الاستيراد الرسمية لعشرة ملايين سيجارة، ربما أكثر إذا توافرت الدعاية اللازمة، سواء دخلت سجائرننا السوق بصفة رسمية أو غير رسمية؛ فالأرباح مضمونة، والاستطلاعات التي قمنا بتنظيمها هناك توحى بزيادة 10% من المدخنين خلال السنة الأولى، في الصين، وفي الكثير من البلدان الأخرى لازالت خرافتنا مصدقة وسارية المفعول: ألا وهي أن السجائر علامة من علامات المجتمع الراقى، لقد قررت شركتنا رفع ميزانيتنا للمشروعات الخيرية بهذا البلد لإسكات أصوات من يتجرأ على محاربتنا، في بعض الجامعات يتم طرد المدخنين، كما يمنع التدخين في القطارات الجديدة، أما بخصوص سرطان الرئة، فقد وجدنا الحل لاحتواء كل البحوث التي تشير إلى ذلك، بما أن هذا البلد يستهلك الكثير من الفحم للتدفئة والطبخ فسوف نقوم بإعداد دراسات توجه أصابع الاتهام إلى الفحم وتبرئة السجائر من التسبب في سرطان الرئة، لقد وجدنا علماء صينيين كباراً مستعدين لإجراء هذه البحوث وإثبات ما نطلبه منهم، سوف تسمح لنا هذه الدراسات بالتغفل، وبعمق داخل المجتمع الصيني وداخل السوق الصينية أيضاً.

- هذا رائع، قال ذلك أدباتريس، وهو ينظر إلى المتكلم.

خلال هذا الاجتماع كان أدباتريس يفكر في أبي (أورور) وهمه الوحيد هو المردود العالي والكسب المضمون، لقد أصبح أبو (أورور) خطراً على الشركة، ماذا يفعل جوركا؟ بعد ذلك جاءته مكالمة عبر الهاتف الجوال.

- هذا الشخص الذي أمرتني بالتخلص منه اسمه (أنت) كما يبدو، لكن (أنت) يمكن أن يكون أي شخص أنا وأنت وأي شخص آخر يمكن أن يكون (أنت) يمكن أن يحل محله أي مدخن آخر، بعد إجراء تحريات حوله وجدنا أنه يتمتع بصحة جيدة هذه الأيام، ولكنه محكوم عليه بالإعدام، فلسنا بحاجة إلى دفع فلس واحد للتخلص منه؛ لأنه لا يتجاوز شهر يونيو القادم ويرحل إلى الدار الآخرة، حتى صاحب الشركة التي كان يعمل بها يرغب ذلك وهو أحد كبار المزدودين لنا بالمواد الإضافية، لقد كان (أنت) نفسه هو الذي يبيع لنا المواد الخطرة التي لا يعرف مدى خطرها غيرنا، لسنا بحاجة إلى أموال للقيام بهذه المهمة؛ لأن أباه يعمل بالشركة نفسها منذ أكثر من 26 سنة، وكان من المدخنين الكبار وعمل بإخلاص المدة نفسها، وهو الآن يروج داخل شركته للتخلص من التدخين.

وقد قام هذه الأيام بصحبة ابنه بالترويج للتخلص من التدخين في إحدى المناسبات، وإذا أردنا فسوف نقوم بإسكات الأب عبر الشركة التي يعمل بها دون تورطنا في التخلص منه، لكن أمه أخطر من الأب؛ لأنها تريد الانتقام لابنها، ويمكن إسكاتها أيضاً عن طريق الزوج، يبقى (أنت) فله من العمر 23 سنة، لو تخلصنا منه، فسوف يكون لذلك تأثير على مبيعاتنا، عند الحاجة عندنا أصدقاء من صقلية، وروس وصينيين ويابانيين وكلمبيين يمكنهم التخلص منه بسرعة وسرية كاملة، إذا اتفقنا معهم، فسوف يقومون بهذه العملية ضمن أعمالهم الروتينية، ولو تم ذلك نطلب منهم أن يكون أسلوب التنفيذ لا يدعو للشك أن القتل مات بسبب السرطان، حتى يتأكد الجميع أن موته طبيعي؛ ليقوم بعد ذلك الأطباء بتأكيد هذا الخبر وترويجه للصحافة لإقناعها بأن الموت طبيعي.

قال أدباتريس: اطلبني عندما تجد الحل، أقول الحل وليس الحلول، حل واحد فقط.



# 29

## الفصل

في 6 يناير 2003م كان لأبي (أورور) موعد بالمستشفى، لقد وجه قبل ذهابه إلى المستشفى العديد من الرسائل لمنسوبي المستشفى لتهنئتهم بحلول السنة الجديدة، كتب لكل من يتفانى في علاجه، أما الطبيب لاكروا والطبيب لا بانير، فقد قدّم لكل واحد منهما قارورة (كونياك) فاخرة من نوع (XO)، أما الطبيبة بوتون فقد قدّم لها تشكيلة ورد جميلة مصحوبة بشعر جميل من تأليف المريض نفسه، وبهذه الطريقة عبّر لهم عن تقديره البالغ لهم. منذ أيام أحس أبو (أورور) بشيء من التعب، ولكن سرعان ما أصبح هذا التعب إرهاقاً غير مسبوق، عادت الفتيانات والاستفراغات، ونتج عن ذلك نقص في الوزن كالعادة، دون أن يشعر ظن أن هذا بسبب عدم الاستفادة من العلاج، وقد يدل هذا على حصول تطور جديد للورم، شرح له الطبيب لاكروا أن هذا الإرهاق يأتي دائماً بعد العلاج الكيميائي، وحذره ألا يستسلم للقلق من جديد، فيجب الصمود والتحدي، ولكي يقاوم هذا التعب الشديد يجب عليه زيادة النوم والراحة.

حتى لا تتأثر معنوياته وللمحافظة على محاربته لمرضه عزم أبو (أورور) على إجراء بعض التعديلات على حياته، أولاً تحديد أهداف جديدة أكثر واقعية، وبعد هذا إعداد قائمة للأعمال اليومية ذات الأولوية وترك الأخرى أو تأجيلها لوقت لاحق، وإعداد جدول يسجل فيه أيام التعب وأيام اللياقة الزائدة وتصحيح الوضع بالخلود إلى الراحة والنوم الزائد، مثلما نصحه الطبيب، ومحاولة تجنب قيادة

السيارة، والتكلم عند اللزوم فقط وإشغال فراغه والأكل بصفة منتظمة، حاول الطبيب من جديد إقناعه بأن أحد أسباب هذا التعب المفاجئ هو قلة الأكل وعدم الأكل بانتظام وتراكم المواد الكيميائية بجسمه، بالإضافة إلى الأدوية والمسكنات.

لكي يقنعه بتغيير سلوكه طلب منه الطبيب الحضور في الغد لإجراء فحص (بـسكانير) ثم الحضور في اليوم الذي يليه لمناقشة النتيجة، عبّر أبو (أورور) عن سخطه وغضبه أمام دهشة الطبيب المعالج الذي تعود على رؤيته في غاية من الطاعة والهدوء، لقد عبّر عن مله من الأدوية ومله من التأثيرات الجانبية، ومله من رؤية البدلات البيضاء بالمستشفى.. أمام هذا المشهد انتابت فلورانس حالة من اليأس القاتل جعلتها تفكر في إلغاء مشروع الإجازة من برنامجها نهائياً.

وفي 8 يناير عاد أبو (أورور) إلى المستشفى؛ ليراجع الطبيب لأكروا من جديد، كان ينتظر الطبيب بالمر، تفاجأ من خلال باب قاعة الاجتماعات بمناقشة حادة بين الأطباء، ما الأمر؟ انتابه خوف شديد وخاب أمله، حاول أن يفهم ماذا يحدث؟ وعلى من يتحدثون؟ فهم يتناقشون حول تقنية جديدة يريدون تجربتها على أحد مرضاهم. وقد اختلفت الآراء حول تطبيق هذه التقنية، فهو يسمع ما يقولون، لكنه لا يفهم الكثير مما يقولون ما عدا كلمة بلاتين، فهو لا يعرف شيئاً عن بقية المواد التي يحاول كل واحد الدفاع عنها أو تضيدها.

هناك حلفان متناقضان أو بالأحرى مدرستان، المتشائمون يواجهون المتفائلين، المحافظون يواجهون الأطباء الشباب الذين يندفعون لتجربة أي شيء جديد، في أثناء هذه المناقشة سمع طبيباً بالمر يقول لمرضه وبصوت عالٍ: أنا الطبيب، وخجل من موقف المريض الذي تقبل هذا الكلام، تأسف على سماع ما سلف من الطبيب، فابتعد؛ كي لا يسمع أكثر مما سمع.

خرج الطبيب لأكروا من الاجتماع وهو محبط، فتوجه إلى مكتبه بصحبة مريضه.

- لدي أشياء عامة تخصك، أظن أن الحصة الأولى والثانية من العلاج الكيميائي كان لها مفعول جيد، لكن (السكانير) الأخير لا يبيّن أي تحسن، بالعكس هناك تطور في الورم، وهناك خلايا سرطانية بدأت تنتشر في الكبد، بعد مناقشة كل هذا مع الفريق المعالج اتضح لنا خياران، والأمل لا يزال موجوداً، في المرحلة الثالثة يمكن تجربة مادة جديدة هي الأولى في أوربا، يمكن أن تحدث تغييراً جذرياً على المرض، أما الخيار الآخر، فهو نقلك إلى مركز تجارب؛ لتيولى أمرك.
- اصفر وجه أبي (أورور) وأحس من جديد بتسارع دقات قلبه وزيادة نبضه، بدأ يرتعش ويهتز. شعر بدوار، لهجة الطبيب الطيبة شجعتة على مواصلة المناقشة.
- أفهم من كلامك أنه لا خيار لي: إما أقبل أن أكون فأر تجارب هنا أو أكون فأر تجارب في مكان آخر، أليس كذلك؟

ليس هذا بالضبط! المادة التي نريد تجربتها عليك جربت بصفة فاعلة في أمريكا، وقد جلبتها من هناك في آخر مؤتمر حضرته وتناقشت كثيراً حولها مع زملائي في ذلك المؤتمر، طبعاً كل مريض يدعي أن الأبحاث العلمية بطيئة في اتخاذ القرار، في حالتك أنت القرار لا بد أن يكون سريعاً، لا بد من اتخاذ القرار الآن، لا أخفيك أنني قلق جداً على تطور مرضك، هل تريد اتخاذ القرار الآن أو تريد استشارة أهلك أو استشارة طبيب آخر؟

- أنا أثق ثقة عمياء فيك يا طبيب، وأشكرك كثيراً على محاولة إنقاذي، طبعاً سأوافق مرغماً وقبل فوات الأوان في تسليم أمري إلى العلم وحقل التجارب لعل وعسى، أنا موافق على تجربة العلاج الجديد هنا، لكن لدي سؤال أريد الإجابة عنه:

- المعركة الساخنة التي حصلت في قاعة الاجتماعات قبل قليل هل تتعلق بي؟

- بكل تأكيد نعم، لقد كنا نتناقش فيما يجب عمله في الحالات الصعبة ومن بينها حالتك.. سوف أطلب فوراً كمية من المادة الجديدة. إذا لم تحصل أي مشكلات



إدارية ولا جمركية فموعدا الإثنين القادم عند الساعة الثامنة لبداية العلاج، أنا متأكد من أن هذه البداية سوف تتخللها تأثيرات جانبية، فهذا هو الشق السلبى من هذه التجارب.

يوم 13 يناير حضر المريض إلى المستشفى، فكان في استقباله مساعد الطبيب لأكروا، حضر الدواء أيضاً، كان معلباً في كبسولات برتقالية اللون. كتب على العبء العبارة الآتية: هذا الدواء التجريبي مخصص لمرضى السرطان المتقدم، قام أبو (أورور) بسؤال الطبيب حول هذه التجربة الجديدة، فأجاب: إنها تجربة معقدة وخطيرة، كان الطبيب يتصرف كالتبيب المتدرب. بعد قراءة ما كتب على الدواء قال شيئاً مخيفاً، فأحس أبو (أورور) فوراً بالغثيان والاستفراغ بالإضافة إلى ظهور حبوب في الشفتين وسواد في اللسان، هناك شيء جديد: الإسهال، قبل انتهاء هذه الحصة من العلاج قدم الطبيب لأكروا بصفة مستعجلة، وفحص المريض بسرعة.

- لقد قلت لك: إننا لا نعرف شيئاً عن التأثيرات الجانبية لهذا الدواء، كل ما نعرف أنها تصيب 30% من المرضى، لم نكن نعلم أنك ستكون ضمن هؤلاء نظراً لحالتك، سوف نطلب منك البقاء هنا لمدة لا تقل عن عشرة أيام، بالرغم من هذه الظواهر السيئة فنحن لا نفقد الأمل في مفعول الدواء، أتمنى ألا تتفاقم حالتك، لا تفقد الأمل، أتريد أن أطلب زوجتك؟

فقد أبو (أورور) كل قواه وشعر بالموت، فوافق فوراً، لأول مرة شعر أنه سيصبح سجين المستشفى بعد أن كان يتردد عليه في النهار فقط. لقد أصبح يرى تنفيذ توسعة المستشفى من خلال نافذة غرفته يرى اللوحة المكتوب عليها تاريخ الانتهاء، لكنه لا يستطيع قراءتها ولا يتذكر التاريخ 2003/12/21م، تساءل كثيراً حول مغزى هذا التاريخ، عندما رآه أول مرة، وها هي الأسئلة نفسها تتسلل إليه اليوم. في الأيام الأولى لم يستفد من زيارة زوجته وأهله وأهل زوجته، كان يقيم في غرفة بمفرده، وجهاً لوجه مع الوحدة، لأول مرة يواجه الوحدة في حياته، تأكد لأول مرة أن من لا يفعل شيئاً لا يستطيع فعل شيء، أو من يواجه الوحدة، كلها حالات لا تطاق، ولها أثر مدمر.

شرحت له الطليبة بوتون أن الوحدة تولد الإحساس بالحاجة إلى الآخرين. عندما تشعر الطليبة أنه استرجع شيئاً من حيويته على عمل أي شيء، تطالبه محاولة التسلية بالموسيقا مثلاً: تذكر أبو (أورور) بعض الروائح، التي ذكرته ببعض الزيوت النادرة، قامت زوجته بإهدائه صندوقاً يحتوي على (16) من هذه الزيوت مع كتاب مفصّل عن مصدرها، من خلال هذه الزيوت تذكر مواقف قديمة وأحاسيس من الماضي القريب والبعيد، أخذ يحلم لعله يجد في هذه الأحاسيس ما يشجعه على حب نفسه، لحظة تذكر أنه باع بعض هذه الزيوت إلى مصنع السّجائر، فما هو الغرض من شرائها؟

من جهة أخرى وجه اهتمامه لباقة الزهور التي قدمها له الأهل، أخذ يشم رائحتها الزكية ويتأمل أوراقها وأجزاءها جزءاً جزءاً ومقارنتها، والتطلع في شكلها وألوانها، بعد ذلك أغلق عينيه وأخذ يتخيل أن الزهرة تتفتح شيئاً فشيئاً، وتستمر في التفتح بسرعة فائقة، بعد هذا أخذ ينعم برائحة الزهور.

من حين لآخر يفكر في الشركة التي كان يعمل بها، كان يعتقد أن استبدال موظف آخر به كان نتيجة اعتقادهم بأن نهايته قريبة، حتى كلام أبيه الطيب لم يقتنع به، لقد كان أسير السّجائر، فأصبح الآن أسير السرطان.

لقد تحطم كل شيء، ولم يبق له سوى التمسك بالحياة والحب، خلال الثلاثة أشهر الأخيرة ازداد إيمانه وارتفعت مغنوياته وأصبح يعيش مع الواقع بحلوه ومره، بالأمس كان يحلم، يحلم بمبيعاته، وبترقيته وذلك بسرعة استيعابه لعمله، وطموحه الكبير.

أما اليوم وهو طريح الفراش، فلقد تغيرت الموازين وأصبح لا يفكر في المعايير نفسها، فهو اليوم يعيش ليومه ويحاول معرفة نفسه أكثر فأكثر، من اليوم فصاعداً، بل عندما يخرج من المستشفى سوف يستغل أي فرصة من حياته دون مبالغة، سوف يستغل أي فرصة للخلود إلى الراحة، سوف يداعب ابنته ويشاركها ألعابها، سوف

يبحث عن كل شيء جميل وملمس، فقد أصبح الحاضر هو المهم في حياته، فهو الخلود.

خلال المدة التي قضاها بالمستشفى لم يولِ أي اهتمام للأحداث، كان لا يهتم إلا بالمجلات المصورة، طلبت منه الطبيبة بوتون الاهتمام بالإنسان، ولكي تساعده في مواصلة المعركة زودته بقائمة من الكتب القيمة الموجودة بمكتبة المستشفى. قصص مرضى قاوموا المرض بعنف وتمكنوا منه، وقصص أخرى لتحريك حواسه للشعور بما يجري حوله، وقصص لتغذية عقله ليرتقي إلى الأعلى، طلبت منه الدكتورة التركيز في القراءة للتخلص من كل ما هو سلبي، وينكد عليه حياته اليومية، بعده سوف يثق في نفسه، وتعود السعادة التي هجرته.

حدد له الطبيب لأكروا موعداً بعد أسبوعين من الراحة، هذه الراحة بالذات هي التي كان أبو (أورور) بأمس الحاجة إليها، رجع إلى البيت بصحبة زوجته، وكالعادة كانت (أورور) في استقبالهما، كان كل الأهل في انتظاره، والكل يعلم ما حصل من تطورات في المدة الأخيرة، سألوه عن التعديلات التي يجب إجراؤها لتوفير الراحة له، بالرغم من تحسن حالته لا يزال يشعر بتعب كبير، تم إجراء تعديلات كثيرة بالبيت للسماح له بالراحة، 60% من وقته وتجنب أي صدمة جديدة، وضمان نومه ومراقبة سلوكه ومساعدته على المحافظة على معنويات عالية لمواصلة المعركة، ولمعرفة تطور حالته وأفكاره ولشغل كل أوقات فراغه باستمرار.

تفاجأ أبو (أورور) بالدقة التي تمت فيها هذه التغييرات، فمن اليوم فصاعداً لا يجب أن يغسل رأسه في الحوض كما هي العادة، يجب أن يتم ذلك تحت (الدش) كما يجب عليه الجلوس عند استخدام الحوض، أو على الأقل الاتكاء على مرفقيه، أما الملابس فالأفضل لباس الجاكت بدل الكنزة.. خلال عشرة أيام ستتغير كل حياته وعاداته، كل شيء تغير في الحمام، وفي الملابس، حتى المرأة الموجودة في مدخل البيت اختفت، قبل أبو (أورور) كل هذه التعديلات بصدور رحب ما عدا إنزال السرير العائلي من الدور الأول إلى الدور الأسفل، فقد رفضه. كل أبواب الغرف أغلقت وبقيت غرفة واحدة مفتوحة.

بعد هذه التغييرات الصارمة أحس أبو (أورور) أنها تحد من حريرته، لقد أصبح البيت مستشفى مصغراً، خاصة وأنه رجع من المستشفى محملاً بالأدوية، أقراص، وحبوب، وحقن، ومراهم لمقاومة جفاف الجلد من جراء قلة التغذية والاستفراغ، والإسهال، وتراكم المواد الكيميائية والمسكنات، بالإضافة إلى قلة النوم والأرق، وقلة التحرك... إلخ. كل هذا من أجل راحته وتوفير شيء من الرفاهية له.

في تلك المدة كانت سيارة متوقفة باستمرار بجوار البيت، دون أن يعرف أحد سبب هذا التوقف الدائم.





# 30 الفصل

وجد جوركا ما يبحث عنه، وجد واحداً من أشرار المافيا؛ ليقوم بالمهمة القذرة التي كلفه بها رئيسه، إنه رجل مهنته القتل، اتفقا على قيمة العملية (1) فهو مبلغ يغري أي مجرم.

حتى يتمكن من أداء هذه المهمة دون ترك أي أثر لابد أن يعرف المريض جيداً، ولا بد أن يعرف عاداته وتحركاته وتطور حالته الصحية... إلخ. اقترح على جوركا أن يقوم بطريقته الخاصة باعتراض الدواء القادم من أمريكا قبل وصوله إلى المستشفى وتحسينه بجرعة أخرى، وتتم الجريمة في المستشفى دون تورطه، لكن جوركا رفض هذا الأسلوب؛ لأن موت أبي (أورور) بهذه الطريقة سوف ينسب إلى السرطان، وهذا ما لا يريده، لأن موت أصغر مريض بالسرطان في العالم سوف يسيء إلى الشركة ويؤثر في مبيعاتها.

غير المفيوزي من أسلوبه ورجع إلى أسلوبه القديم، أخذ يراقب تحركات كل أقاربه وتحركات المريض نفسه، كان يحوم باستمرار حول البيت ويتزود بالصور أحياناً، وعمل مخططات؛ حتى يعود المريض من زيارته إلى المستشفى، عند عودته يكون كل شيء سهلاً فهو يتصور عدة سيناريوهات من الأسهل إلى المعقد، طلاقة بسيطة وينتهي أمره أو بحيلة حديثة من آخر طراز. المهم أن يتخلص منه دون إحداث ضجة ودون لفت الانتباه، مفيوزي كان يعرف أن هذه العملية سوف تدر عليه مبلغاً ضخماً، وسوف تفتح له طريق الثروة.

كان أبو (أورور) بالرغم من أنه متعب جداً هذه الأيام يرغب في ركوب السيارة حتى ولو لمسافة قصيرة، انتبه المجرم لذلك وأخذ يخطط، وعرض على جوركا خطته التي من ضمنها استخدام مادة تم استخدامها من قبل الإرهابيين في 11 سبتمبر.

والمادة الأخرى مادة الفحم أو ما يعرف بالأنثراكس (الجمرة الخبيثة) لكن جوركا رفض هذا وذلك؛ لأن اكتشاف الجرثومة يمكن أن يتم بسهولة، والمدة اللازمة لتتمكن منه قد تزيد عن 60 يوماً، وهذه مدة طويلة ربما أطول مما هو محتمل أن يعيش، سوف لا يتحمل أدباتريس مدة طويلة مثل هذه، فطلب منه استخدام مادة أخرى سامة، فرفض أيضاً وطلب منه بيعها إلى الأطباء الذين يريدون التخلص من بعض المرضى وسلب أموالهم، كان المفيوزي يريد وضع هذه المادة في مياه الشرب المخصصة لأبي (أورور) عرض عليه حقنة بفيروس الجدري، فرفض جوركا؛ لأن هناك احتمالاً بأن يكون أبو (أورور) ملقحاً ضد الجدري.. بعد هذا عرض عليه أن يلقيه بفيروس طاعون الرئة الذي يتميز بالاستفراغ الشديد، وهذا قد لا يلفت الانتباه، فرفض جوركا أيضاً؛ لأن اكتشاف هذا البواء سهل، وجاء دور الكوليرا، ثم دور الكوكسيالا برنيتي التي تسبب ارتفاعاً في درجة الحرارة، فرفض أيضاً.

وأخيراً طلب منه نشر فيروس (الألبو) في المنطقة، فوصفه جوركا بالمجنون.

طرح عليه المسؤول عن العمليات الخاصة بالماфия استخدام (ليونيل بوموفيا) المسبب لمرض (اللجيونيلوز) وهو مرض بيولوجي خفي، ولم يتبق سوى مادة الخروج التي تم استخدامها بنجاح للتخلص من المعارضين للحكومة البلغارية في العصر الشيوعي، تتسبب هذه المادة في الغثيان والاستفراغ، والإسهال وضيق التنفس، وهذه كلها أعراض تشبه أعراض مرضه، وميزتها الوحيدة أنها لا تضر أحداً غيره.

في انتظار الرد على هذه الاقتراحات كان المفيوزي مستمراً في مراقبة المريض عبر سيارة متوقفة قريبة من البيت، لقد تعرف على كل كبيرة وصغيرة تخص زوجة المريض، أين تذهب ومن أين تتسوق وماذا تشتري وأوقات خروجها، وأوقات فراغها

وأوقات تغيبها.. كان يفرح عندما يرى مريضه يخرج من حين إلى آخر، فرح كثيراً عندما رآه خارجاً يوم السبت وحده دون مساعدة، كان يمشي ببطء ودون سيارة، وهذا أفضل بالطبع.

بمرور الوقت كان يراه أكثر فأكثر؛ لأن أبا (أورور) كان يخرج يومياً لمزاولة رياضة المشي حول البيت، وفي بعض الأيام يمشي حتى آخر الشارع، كم كان سعيداً عندما رآه ذاهباً إلى البقالة المجاورة وحده.

طلب جوركا من المفيوزي إجراء محاولة، ربما تكون الأولى والأخيرة، كان جوركا يعرف أن أبا (أورور) يحب الحليب ومشتقاته، وكان المفيوزي يعرف نوعية الياغورت والكمية التي تعود أبو (أورور) على شرائها. فاشترى صندوقاً منه وحقن في كل علبة المادة المسببة للحمة المالتية، ثم انتظر قدوم المريض لشراء ما يحتاجه، فاستبدل بما اشتراه من الياغورت في الوقت المناسب الكمية المحقونة، في 31 يناير ذهب أبو (أورور) إلى البقالة لشراء الياغورت كالمعتاد، وفي غفلة منه استبدل المفيوزي الذي كان ينتظره بالعلب المسمومة دون أن يشعر أبو (أورور) بأي شيء، لكنه كان متعباً جداً، وبمجرد خروجه من البقالة سقطت منه العلب، فلم يستطع التقاطها فتركها ورجع إلى المحل واشترى أخرى، في هذه الأثناء كان المفيوزي يشاهد الحادث بحسرة وغضب شديد. كيف يمكنه تبذير مادة طيبة كهذه؟

أخذ يشتمه ويسبه بالإيطالية؛ ياله من حمار! وياله من بغل! وغير ذلك من الشتائم المعهودة في إيطاليا. لكي ينتقم منه ومن حظه، راح يكتب على جدران البيوت المجاورة ما يحلو له من الشتائم القذرة.

جوركا أيضاً كان غاضباً من فشل هذه العملية الدنيئة، إذا استمر أبو (أورور) بمواجهتهم هكذا، فسوف ينال من الشركة، وسوف يضر بمصالح برومورتيم وينال من شرف أدباتريس.





# الفصل 31

استقبل الطبيب لأكروا المريض في أضعف حالاته، ولكنه كان سعيداً لرؤيته، بالرغم من هذه الحالة السيئة فإن الكشف كان إيجابياً، لكي يتأكد الطبيب من ذلك كان لابد من إجراء تحاليل معمقة بالإضافة إلى أخذ صور للرئتين والكبد، وفي آخر اليوم تقابل الطبيب والمريض لمناقشة هذه الفحوصات والتحليل، المقارنة بين الصور القديمة والجديدة مخيفة، لقد اتضح أن المرض توقف. إذا كانت المرحلة الأولى والثانية من العلاج الكيماوية قد أظهرت تحسناً فالعلاج الثالث فتح الباب للأمل والشفاء إن شاء الله، ثم تابع الطبيب قائلاً:

- أظن أن هناك تراجعاً للمرض، هل أنت على استعداد لبدء مرحلة جديدة من العلاج الأخير نفسه؟

- طبعاً أنا مستعد حتى لو كان ذلك سيقودني إلى الهاوية، ولكن إذا كان هذا هو الثمن، فلا بد من دفعه لإنقاذ حياتي.. تلك هي إجابة المريض.

- لم أكن أنتظر منك أكثر من هذه الإجابة، سوف أطلب فوراً الأدوية، لكن مطلوب منك أن تبقى عندنا بالمستشفى من 17 إلى 20 فبراير.

كان أبو (أورور) يرغب في التحدث أكثر مع الطبيب بخصوص الصور الجديدة لأنه لم يستوعب جيداً ما قال له قبل قليل.

سأله أيضاً عن الآثار الجانبية لهذا العلاج، وإمكانية تخفيفها أو التغلب عليها، فقد شعر من جديد بخوف غير مسبوق، لاحظ الطبيب ذلك، وأمام هذا المشهد البائس تدخلت الطبيبة بوتون لتشجيع المريض على مواصلة المعركة، ولتساعده على التنفس والتخلص مما بداخله من ضيق صدر وقلق، والتمسك بحبل النجاة الممدود إليه.

رجع أبو (أورور) إلى جوه المعهود: أطباء وأدوية وممرضين، جو تعود عليه منذ زمن. رجع للعمليات نفسها، الآلام ذاتها ومن يدري لعلها تكون أشد هذه المرة؟ كانت هذه المرحلة من العلاج فعلاً أشد من التي سبقتها، لكن المعنويات لازالت مرتفعة، النتائج التي أخبره الطبيب بها شجعتة على المواصلة، مواصلة التحمل، ومواصلة الصبر، ومواصلة التمسك بالأمل، الأمل في النجاة، والأمل في الحياة، وجد مساعدة كبيرة من الأهل والزوجة لمواصلة الكفاح كما قلنا من قبل، وكان دور الطبيبة هو الأهم، خلال الأسبوع الأول من العلاج لم تتقطع عنه الزيارات بمعدل زيارة في اليوم على الأقل: زيارة أصدقاء أو أقرباء لم يتخلوا عنه في يوم من الأيام، ولم يبخلوا عليه بنصيحة أو بأخرى، رجع أبو (أورور) إلى البيت مع زوجته في يوم الجمعة 21 فبراير، كاد الإرهاق ينال منه، واضطر أهله إلى إجراء تعديلات جديدة في البيت لتوفير الراحة المطلقة له، فبعد الاستحمام يمنع عليه مسح جسمه، ويفضل أن يلبس برنس حمام أو رُوباً كما يقولون، حتى الجزمة تغيرت وأصبحت دون رباط، إذا اضطر للخروج لبعض شأنه، فإنه يضع حاجاته في عربة خفيفة مزودة بعجلات... إلخ، لاحظ كرسياً متحركاً في أحد زوايا الغرفة، فلم يرتح له أبداً وسبب له صدمة جديدة، لكن أهله طمأنوه وأكدوا له أن كل شيء مؤقت ولمدة النقاهة فقط.

صباح يوم السبت قدم أفراد من شركة متخصصة في محو الكتابات من جدران البيوت وعرضوا خدماتهم على صاحبة البيت.. قبلت فلورانس العرض، وأقنعت جيرانها بعمل الشيء نفسه، فقبل الجميع، وعدهم العمال بإنجاز العمل خلال أسبوع دون حضور أصحاب البيوت.

في 26 فبراير بدأ عاملان في زي الفواصين العمل، جاء أحدهما ودق الباب طالباً من المريض أن يخرج؛ ليشاهد تقنيات العمل الحديثة، لكن أبا (أورور) رفض لأنه مرهق، وهذا من حظه؛ لأن الكتابة كتبت بطلاء ملوث بجراثيم (الليجيونيل)، والغريب في الأمر أن شركة التنظيف لم تتقدم بفواتير الخدمة أبداً، يا لها من حيلة من حيل المفيوزي وجوركا!

انقطع أبو (أورور) عن الخروج مدة عشرين يوماً، كاد المفيوزي يموت بسبب فشله الأخير، لقد نال من شرفه، ومستقبله أيضاً. لكنه يعرف أنه سيواصل الحرب والضرية القاضية آتية. سوف يدرب كلباً من نوع (بيت بول) ليهاجم المريض عند خروجه من البيت ويجرحه وينتهي الأمر، كان هذا المجرم يستلم أتعاباً فقط على خدماته حتى انتهاء المهمة، وأن ينتظر خروج المريض فقط لإنهاء المهمة واستلام المبلغ المتفق عليه.

في 18 و19 و20 مارس قامت سيارة الإسعاف بنقل المريض إلى المستشفى لإجراء بعض الفحوصات، قام الأطباء بإخضاعه إلى مدة علاج خامسة خلال أسبوع بالمستشفى، في الثالث عشر من أبريل انتابته نوبة صرع غير متوقعة، لأول مرة في حياته تغير لونه إلى بنفسجي داكن، كان يصرخ واستمر صراخه لمدة 10 ثوان، ثم انقطع تنفسه لعشر ثوان أخرى، ثم أخذ يهتز وينتفض وأصبح تنفسه كمن يشخر.

كان المريض يعي أن حالته تدهورت بصفة مخيفة، داهمه من جديد خوف شديد، تحسباً لأي طارئ نقله أهله إلى المستشفى بواسطة سيارة إسعاف كالعادة، أخذت صور شعاعية للمخ، فأظهرت العديد من الخلايا السرطانية، وهذا هو سبب الصرع المفاجئ، فتم فوراً معالجة هذه الظاهرة الجديدة، وفي اليوم القادم أعرب الطبيب لأكروا عن عجزه في احتواء المرض، ولم يستطع التغلب على يأسه وفشله، فصرح بما يأتي:

بعد هذه الحصص الكيميائية لم يبق أماننا سوى الاستسلام لأمر الله، لكن سنحاول التخفيف عنك بالعلاج بالأشعة لعلنا نستطيع أن نحد من تقدم الخلايا السرطانية بالمخ، ما عدا هذا لا أخفيك أنه لم يبق لنا أي سلاح يمكن استخدامه.

قال أبو (أورور) بصوت خافت:

- والتشخيص النهائي.

- ما يتبقى لك من حياتك يهكم ويهمك أنت فقط.

- ماذا تقصد؟

- بإمكانني إجابتك بدقة، لو راجعنا الإحصائيات السابقة فالتشخيص سيئ، للأسف مرضك ينمو ويتقدم، ووصل إلى مرحلة متقدمة نتج عنها انحطاط جسدي ومعنوي.

سوف أقول لك بصراحة: شفاؤك صعب وصعب جداً ومستحيل. لكننا نمتلك العديد من الأدوية لتخفيف آلامك وعذابك. هل لديك أسئلة؟

انهار أبو (أورور)، انهار وداهمه اليأس، لم يستطع الإجابة، كان يفكر في زوجته، وفي ابنته، وفي الولد الذي سيرى النور يتيماً، وفي أهله، وفي الزهور التي ستفمر قبره، وفي كفاحه اليأس ضد آفة التدخين، وفي الكفاح اليأس الذي خاضه معه كل من يعمل بالمستشفى حتى تاريخه، كان يأمل في تحقيق النصر لكنه عجز، وكان لا بد من مواصلة التمسك بالأمل دون الاستسلام لليأس لكن.. ولكن الآن.. ففي هذه اللحظة أحس بنوبة الغضب تداهمه.

قاطعها الطبيب قائلاً:

- كيف تشعر الآن بعد أن عرفت الحقيقة؟ هل لديك أسئلة؟ هل كنت واضحاً معك؟

- نعم لقد فهمت، فهمت أنني محكوم علي بالإعدام. عزائي الوحيد هو معرفة تاريخ التنفيذ.

- حتى لا أكون قاسياً يمكنك البقاء على هذه الحالة شهراً أو ثلاثة أشهر، ولكن كثيراً من المرضى يعيشون لمدة أطول، يمكن لإرادتك أن تلعب دوراً في إطالة هذه المدة، قدوم ولدك أيضاً قد يمدد أجلك، شجاعتك وعمرك أيضاً.

- أنا لا أصدقك يا طبيب، ما الغرض من العلاج بالأشعة إذن؟

- الغرض منه المحافظة على وعيك الفكري فقط، اطمئن؛ لأن هذه الحصص لا تدوم إلا دقيقتين فقط، ثلاث دقائق على الأكثر، ولخمسة أيام في الأسبوع ولعدة ستة أسابيع.

- تتم هذه الحصص في النهار؛ لذا يمنع عليك قيادة السيارة منعاً باتاً ابتداء من اليوم أتقبل ذلك؟

- نعم.

- كل تنقلاتك ستتم بسيارة الإسعاف لإراحة أهلك وزوجتك.

- وماذا عن الآثار الجانبية؟

بخصوص التعب الناتج عن التنقلات والعلاج، فأنت تعرف كل شيء عنه، سوف تتعرض إلى ضربات شمس، وحرقان في المريء، وفقدان اللعاب، والتهاب رئوي حاد مصحوب بصعوبة في التنفس، إجمالاً يبدو أنك تتحمل جيداً هذا العلاج، أما بالنسبة إلى التغذية فيلزم أن توزع وجباتك اليومية على خمس أو ست وجبات في اليوم. كلما شعرت بالجوع فكل، تناول البروتينات بكثرة للمحافظة على وزنك. إذا استهوتك الكريمة، والزبدة، والمايونيز اليغرت أو الآيس كريم أو الجبن والمري أو المحارة فتناول منها ما تستطيع.. إذا كنت ترغب في الأكل البارد فكل! سوف أراك في 23 أبريل إن شاء الله؛ لنجري فحصاً عاماً، ربما أراك قبل هذا التاريخ.

- إن حالتك هذه تزعجني وتؤلني، وبهذه المناسبة أؤكد لك استمرار كل من يعمل بهذا المستشفى في خدمتك وعمل المستحيل من أجل راحتك، منذ دخولك إلى

المستشفى أول مرة ونحن على اتصال مباشر مع طبيب العائلة، فهو مطلع على كل شيء بخصوصك. بإمكانه مساعدتك بالبيت، فذاك سهل، سوف أحيل اليوم ملفك إلى قسم العلاج المستمر لاستقبالك في أي وقت ترغب.. سوف يقومون بالعناية بك أكثر من أي قسم آخر، سوف تكتشف فريقاً معالجاً جديداً يتمتع بكل المقومات الطبية والفنية والإنسانية.

تخللت المحادثة كلمات أخرى، الغرض منها مواساته على هذا الفراق المفاجئ، صافح كل واحد الآخر بعنف وبصمت كأنها المقابلة الأخيرة، في هذه اللحظة جاءت الطبيبة بوتون تبحث عنه.

بدأت المقابلة بصمت رهيب، دام لعشر دقائق تقريباً، قامت بعدها الطبيبة بوضع يدها على ذراعه، قدمعت عيناها في تلك اللحظة.

كان أبو (أورور) يتجنب رؤيتها، لكنه يريد البقاء معها، هناك شيء واحد يشغل باله: الموت، وماذا سينتج عنه على المدى القريب والبعيد، قرب الوداع الأخير، وداع الأهل، ما الفائدة من خوض هذه المعركة؟ آسف على عدم القدرة على مواصلة المعركة ضد التدخين وضد صناعات السجائر.. إضافة إلى تربيته الدينية، وتفكيره في عقاب الآخرة، لكنه يعرف أن الساعة قد دقت، سوف يحضر الموت لا محالة، شعر أن إمكانيته العقلية بدأت تنهار، وأخيراً سأل الطبيبة قائلاً:

- ماذا نعرف، وماذا نعرفين عن الموت؟

- مثل كل الناس، لا شيء، هناك تصور علمي، وآخر فلسفي وآخر ديني، كلها تصورات ذاتية، كل تصور بني على آراء شخصية. ولمواجهة المجهول وقلة الأمان نتخيل أي شيء فيتملكنا خوف شديد. أنت تعرف كم كان هذا الخوف مدمراً لك ولعائلتك؛ لذا يجب أن نتكلم عن هذا الخوف للتخلص منه؛ لكي لا يزعجك في نومك ويعكر مزاجك، نحن نعلم جميعاً أن حالتك تتطور بسرعة، هذا ما يجعلك في خوف دائم، وغضب مستمر، وحزن دائم؛ لذا أنت تبحث عن الحب والحنان؛ لأنك تشعر بالانهيار.

بما أنك سوف تراجع المستشفى أربعة أسابيع فسوف أراك باستمرار، وسوف نتابع حديثنا عن الموت صديقنا الدائم. لا تردد في التعبير عن غضبك بالصراخ إذا أردت، والبكاء أيضاً نافع في هذه الحالة ومشاركة الآخرين في هذا البكاء قد ينفعك أيضاً، ربما يحصل تحسن في المعنويات فيما بعد وتعود لك البسمة الضائعة، يجب التكلم مع من يحبك بكل صراحة عن كل ما تشعر به من آلام وأحزان وآهات وبمتهى الصراحة، بعدها ستشعر بالراحة وتبتسم من جديد، سوف تتقبل ما كان غير مقبول بالأمس، أنت ضحية التدخين، ولا تلام على ذلك، فهذا هو قدرك ولا مفر منه.

دامت المحادثة تقريباً نصف ساعة. كانت الطبيبة بوتون تستعمل أسلوبه نفسه في الإقناع عندما كان بائعاً مرموقاً، وكانت تعيد عليه الأسئلة نفسها التي كان يوجهها لها، فكانت لها قناعة أنه أصبح يسأل ويجيب.

قبل البدء في العلاج بالأشعة تم تقديمه إلى الفريق الطبي الجديد بقسم العلاج المستمر. يتكون هذا الفريق من "أطباء وممرضين ومختصي علم النفس، ومختصي تغذية، ومختصين في العلاج الطبيعي، وكذلك أطباء تجميل، وأطباء علاج بالموسيقا، واختصاصيين في علم الاجتماع وسكرتارية ومساعدات ممرضات، وحلاقين ورهبان ومتطوعين.

هناك وحدة متخصصة في رعاية المرضى بالبيوت، من لا يعرف هذا المريض، فهو أصغر مريض بالسرطان في العالم؟ استقبله رئيس القسم في مكتبه وشرح له مهمة الفرقة التي تعمل معه، مهمتهم عمل آخر شيء بعد نفاذ العلاجات الأخرى، مهمة أي طبيب معالجة المريض ومحاولة إنقاذ حياته، أما مهمة العلاج المستمر فهي العلاج والمتابعة وتحسين أوضاعهم المعيشية وتعويدهم على تقبل الموت وتهيئتهم لذلك، في قسمنا نبدأ بالاستماع إلى المريض، ونهتم بالوقت الحاضر دون إهمال ما لا مفر منه.



عندما نحاول اكتشاف أو إعادة اكتشاف بعض الأحاسيس التي افتقدتها المريض، نأخذ بعين الاعتبار دور العائلة، نعمل ما في وسعنا لتخفيف آلام المريض ومعاناته بحركة أو بكلمة طيبة أو حتى بمجرد وجودنا إلى جنبه وبالأدوية عند الضرورة. إذا أراد المريض يمكن له إملأه أو امره للمعالجين، فيتم تنفيذ رغبته إذا كان ذلك قد يريحه، فلا نفرض على المريض أي شيء، نحن نحترم جسمه المدمر الضعيف، ونحترم أفكاره ونتقبل وحدته ورغبته فيها، تفاعلاً أبو (أورور)، من حفاوة الاستقبال وطيبة الكلام فسالت دموعه بغزارة، تمت أول حصة من العلاج بالأشعة بسرعة، كانت الأجهزة المستخدمة رهيبة ومخيفة (جهاز ضخ حبيبات وحاسب آلي ضخ). وجوده بمفرده في أثناء العلاج ضاعف من خوفه وانهارت قواه عندما رأى آخرين ينتظرون دورهم في قاعة الانتظار لتلقي العلاج نفسه بالأشعة، في الحصة الثانية حضر معه أهله، زوده الفني المعالج بمعلومات عن الأشعة المستخدمة، نوعها وأثرها والوقاية من أعراضها، حظي أيضاً بتلقيه الإجابة عن بعض الأسئلة التي طرحها عليه.

صرح لزوجته وأهله رغبته في قضاء آخر أيام من حياته معهم بغض النظر عما سيسبب لهم ذلك من إزعاج وتعب. وافقت الوحدة المعالجة المتقلة أيضاً على مساندته بالبيت، وتتكون هذه الفرقة من طبيب معالج وممرضة وخادمة. قبل الجميع بأداء الواجب، وطلبت زوجته إجازة اضطرارية وكذلك أمه.

أما الأب فخرج مع ابنه للحديقة؛ ليشرح له التعديلات التي سيجريها في الحديقة لتوفير الراحة له، من بين هذه التعديلات، عمل أرجوحة وبركة مياه صغيرة مع نافورة، بالإضافة إلى زرع بعض الأشجار الزاهية، كان الأب يرى أنه من الضروري أن يتفاهم الجميع لأداء هذه المهمة الصعبة، فالكل سوف يتعرض لضغط شديد، ضغط ناتج عن الأدوية التي يتناولها المريض، وناتج عن معاناته ومعاناتنا كلنا، ومن يعرف إلى متى ستدوم هذه المعاناة؟ كيف سيكون سلوكه؟ وكيف سيكون سلوكنا معه؟ وكيف سنقاوم الضغط المتزايد؟

بينما يشعر المريض بتدهور صحته أكثر فأكثر كل يوم كان المعالجون يشعرون أيضاً بالآلام وآهاته، كان أبو (أورور) يتحسر على أيام زمان، أيام كان يتمتع بصحة جيدة، أما الأهل فيشكرون الله على صحتهم وعافيتهم، كانت الأيام تمر دون أن يعيرها المريض أي اهتمام، كان يفكر فيما سوف يحدث له بعد كل هذا، وهناك إعاقات؟ هناك آثار جانبية جديدة؟ سوف يواجه المعالجون مشكلات جديدة لا يعلمها إلا الله؛ أصبح أبو (أورور) يعتمد كلياً على أهله في القيام بأي حركة.

الكل ينتظر اضطراباته وتقلباته التي تعكس حالة اليأس التي وصل إليها، الكل مستعد للإصغاء إليه، وهو يتكلم عن خوفه واضطرابه والليالي البيضاء التي لا تنتهي، الكل ينتظر انهيار واحد منهم في أي لحظة، لمواجهة أحاسيس متضاربة، كلهم تعاقدوا على مصارحته بأي شيء بصدق وإخلاص؛ لأن الكل يحبه ويتفانى في خدمته.

بالرغم من تفهم الجميع لما هو فيه، وبالرغم من الثقة المتبادلة ورغم استعدادهم لخدمته في أي وقت اضطر الجميع إلى طلب مساعدة طبيبة علم النفس.. بحضور الجميع سوف يتحاورون ويتشاورون حول ما يجب عمله لتجنب ارتفاع ضغطه وغضبه وعنفه أيضاً.

شيئاً فشيئاً تحسن الوضع وأصبح أبو (أورور) يتلقى الكثير من الرسائل عبر البريد للاطمئنان على حالته، كما يلتقى الكثير من الزيارات التي كانت قليلة من قبل، كان أبو (أورور) يتلقى الرسائل ويرد عليها إذا استطاع ذلك، ثم يقوم بترتيبها بملف خاص بها، أحس كم هو محظوظ، لازال الأصدقاء يتذكرونه؛ فالكثير من المصابين مثله تم ركنهم في قسم الأمراض الصدرية دون أي عناية أو اهتمام.

حتى زيارة الأهل أصبحت قليلة ونادرة بالنسبة لبعضهم، أما هو فالأهل بجانبه باستمرار، والمعالجون لا ييخلون عليه بأي شيء سواء في المستشفى أو في البيت، لكنه يعرف أيضاً أن بعض العلاجات التي كانت تعطى له في البيت ستصبح صعبة

من الآن فصاعداً.. كان يتساءل من حين إلى آخر، هل سيصمد المعالجون في السهر عليه على مدار الساعة؟ فجأة قرر الاستغناء عن زيارات الآخرين له؛ لأن ذلك يزيد من تشاؤمه، فبعض منهم وبالرغم من حسن النية ينصحونه باللجوء إلى تلك الجمعية أو تلك المؤسسة المتخصصة في الدفن، يفعلون ذلك دون قصد، لكن ذلك يؤذيه ويسيء إلى صحته.

من كل الزائرين استثنى ابن عمه سيدريك الذي أكمل دراسته وأصبح طبيباً، جاء لزيارته وأعلن له بشيء من الخجل أنه هو صاحب الرسائل الغربية، كان يمزح فقط. لقد انقطع عن التدخين بعد الحفل الذي أقيم لأبي (أورور) بالكنيسة عند بلوغ الثانية عشرة، توقف بعد أن تعرف على أكاذيب والأعيب شركات السجائر، لقد انقطع عن التدخين بينما أبو (أورور) وقع في الفخ المحتوم.

وفي 23 أبريل قابله الطبيب لآكروا ربما لآخر مرة، عبر له عن ارتياحه لنتيجة العلاج في وحدة العلاج المستمر، بالرغم من أن نتائج اليوم لا تبشر بالخير غداً.

كان أبو (أورور) يمر بمراحل يشعر فيها بالتحسن والسعادة، ثم تليها مراحل انحطاط كامل وارتفاع كبير في درجة الحرارة، تلك هي مفارقات المرض. وفي 28 أبريل اضطر الأهل إلى إنزال سرير الزوجين إلى قاعة الجلوس؛ لأن سلم البيت أصبح يشكل عائقاً أمام تنقلات المريض، فلأزال أبو (أورور) ينام مع زوجته.

كان أبو (أورور) يتعرض لآلام جسدية لكن آلامه النفسية كانت أكثر إيذاء له؛ لأنها تذكره بالسرطان الذي تسلل إليه وموته المنتظر في أي لحظة، إنه يعتقد أن الموت آتٍ لا محالة، فهو خائف، خائف من نهايته القريبة، ولمواساته قام أحد المعالجين بقراءة مقولة لبودليير الكاتب الفرنسي الشهير: (اسكتي أيتها المصيبة، واهدئي) كانت الآلام لا تفارقه، وتشتد عندما يقوم ببعض الحركات مثل حلاقة اللحية أو الخضوع لعمليات التحليل، قبل أشهر كان باستطاعته حمل زوجته بسهولة، أما اليوم فقد أصبح عاجزاً عن تنظيف أسنانه. شيئاً فشيئاً زادت عصبيته وأصبح

يلزم الصمت ويرفض الوحدة ويريد الاحتكاك بكل من هو في صحة جيدة ولا يريد الاستسلام إلى الواقع، يتساءل ويحلم، يحلم بوصفة سحرية جديدة يتم اكتشافها في آخر لحظة لإنقاذه وإخراجه من حالة اليأس التي هو فيها، لمواجهة خوفه وتحمل آلامه، كان يفكر في هذه المعجزة الأخيرة بنسبة 10 احتمالات من مئة ربما ثمانية فقط.

أصابه ضعف شديد حتى أصبح لا يتحمل رؤية جسمه في المرآة، فهو يشعر بالإهانة والهشاشة والعبودية، كيف يتحملة أهله، وهو في هذه الحالة؟

فعندما يرافق أحد أفراد العائلة للتسوق كان يرتدي بنطلوناً قصيراً، ويحمل لوحة حول عنقه كتب عليها ما يأتي: «أيتها المدخنات أيها المدخنون، هذه هي حالة كل مدخن: أنا محكوم علي بالموت بسبب التدخين وعمري 23 سنة، وهذا هو رقم هاتفي.. للاتصال بي». بمرور الأيام أحس بموجة من القلق تداهمه مصحوبة بألم لا لا مثيل له، هل هناك معنى لهذا المرض؟ وهل هناك معنى للحياة أصلاً؟ ما هو الغرض من وجوده؟ هل أصبح مثل الغريق الذي تقذفه الأمواج العاتية إلى الشاطئ؟ عندما يفكر أحياناً يشعر أنه بحاجة إلى الانفراد والوحدة.

كل هذه التساؤلات تزيد من آلام أهله، لقد أصبح يجد صعوبة كبيرة في التنقل حتى أصبح يخشى أن يصبح طريحاً دائماً بالفراش.

لقد لاحظ أخيراً وجود قشرة سوداء في أماكن الارتكاز كالمرفقين والرجلين... إلخ.

لقد تعلم كلمة جديدة من قاموس الطب (Dyspnie) وتعني (ضيق التنفس)، إنه يزداد يوماً بعد يوم حتى أصبح يفقد حاسة الشم أحياناً، فهو يحتاج إلى الهواء أكثر من غيره؛ لأنه أصبح يتنفس بصعوبة بالغة.

حالته الجسدية والنفسية تزداد سوءاً كل يوم، لقد أصبح مصدر قلق للجميع.

كان أبو (أورور) يعيش في شبه الظلام، النافذة مفتوحة باستمرار، جالس نائم كما يقولون، لا يتحرك إلا بمساعدة من حوله، وبعد مناقشة طويلة مع معالجه تبدأ

العلاجات: المسكنات أولاً، أدوية توسعة الشعب الهوائية، ثم مادة الثيوفيلين الموجودة بالسجائر المشتقة من مادة الكاكاو والتي كان يبيعها إلى مصانع السجائر. المسكنات تشعره فوراً بتعب شديد، خاصة على مستوى العضلات، بعد تناولها يشعر بتورم شديد في الوجه.

في 20 من شهر أبريل اكتشف المورفين، لقد أعطيت له أولاً على شكل أقراص، ثم فيما بعد عن طريق الحقن، بعدها ينام خلال أربع وعشرين ساعة. فهي مخدر قوي ومؤلم للغاية، فهو يتصور أن استخدام هذا المخدر يوحى بقرب النهاية، إذا كان يعاني من جراء تعاطي المورفين، فذلك لا يعفيه من الأعراض الأخرى كالإمساك والغثيان والوسواس والعطش الشديد، والحركات غير الإدارية... إلخ. بدأت الروائح الكريهة تتسلل إليه شيئاً فشيئاً.

بدأ استعمال الأوكسجين، يدخل ضمن العلاج؛ لذا استعمل أبو(أورور) نظارة خاصة بالإضافة إلى القناع الخاص بالأوكسجين، فهو يشعر بالاختناق عند الخضوع إلى عملية التزود بالأوكسجين، كل شيء يصبح صعباً، الأكل، الشرب، التحدث.. كان يخضع لهذه العملية والنافذة مفتوحة للسماح له بالتمتع بهواء الربيع المتجدد.

عندما يشعر المريض بأي ثقل يتدخل طبيب العلاج الطبيعي لإنقاذ الموقف، بتجفيف القصبة الهوائية وعمليات تدليك لإراحة المريض، وتأتي فيما بعد عملية الاسترخاء.

بدأ المريض تغيير عاداته، أصبح ينام نهاراً ويصحو ليلاً، وهذا شيء سيئ بالطبع، لا بد من مرافق له في نومه وصحوته، أما السعال فأصبح يلازمه وكذلك السلس، رائحته أصبحت لا تطاق.

في 24 مايو أصيب بإسهال حاد تم علاجه على الفور بالأدوية وغسيل المعدة، ارتاح المريض بعد ذلك، لكن العائلة لم تجد راحتها، لأول مرة قرر أفراد العائلة نقله إلى المستشفى ومرافقته هناك.

بمرور الوقت أحس أبو (أورور) أن الحياة بدأت تفلت منه شيئاً فشيئاً. لقد بدأ يشعر بقرب نهايته، فأخبر زوجته والطبيبة بذلك، بدأ يرفض كل شيء ولا يتحمل أي شيء، وبدأ الحزن يداهمه أكثر فأكثر، وأصبح العنف هو سيد الموقف واليأس أيضاً، لقد أصبح أبو (أورور) يتقبل كل شيء حتى الموت، لكنه لا يزال خائفاً من العذاب الأخير، عذاب الفراق، فراق ذويه الذين أصبحوا لا يتحملون رؤيته في هذه الحالة البائسة اليائسة، لقد أصبح كالمجنون إنه يختنق.. كان من حين إلى آخر يخلد إلى النوم لعله يجد الراحة، راحة مؤقتة فقط، طلب من معالجه عدم إيقاظه إلا عند الضرورة لتنشيط ما تبقى له من الأمل. حاول في هذه الأثناء بذل جهد كبير لإنجاز بعض الأشياء الضرورية مع زوجته بخصوص عملية الدفن بعد موته؛ لأنه أحس باقتراب الساعة، اجتمع حوله زوجته ووالداه وأخته وأخوه وأهل زوجته.. وابنته. جميعهم جاؤوا للوداع والفراق الأخير.

(قبر الأموات الحقيقي هو قلب الأحياء)، هكذا قال كوكتو، بعد قراءة هذا قرّر أبو (أورور) أن يتم حرقه بعد موته؛ لأن قبره الحقيقي سوف يكون في قلوب أهله كما قال كوكتو، أخبر أهله أنه يشعر أن آخر ثوان من حياته بدأت في العد التنازلي؛ أخبرهم أيضاً أنه يحبهم جميعاً ويشكرهم جميعاً ويعتذر لهم عن التدخين والإدمان، اعتذر لهم عن مغادرته لهم بهذه السرعة، طلب منهم العفو والمغفرة، وهو أيضاً يفر لهم كل شيء، كان يقول ذلك والابتسامة لا تفارق شفثيه.

وهذا هو الأهم، لأن العائلة مرتاحة لرؤيته وهو يبتسم بهدوء وشجاعة. طلب منهم الاستعداد للجنائز بالطبع وقبول ذلك بعفوية واعتبار حياته مجرد هدية اختفت، فهو يريد منهم أن يتذكروا ذلك. أن يتذكروا آخر صورة له في هذه اللحظة، وطلب من والده أخذ صورة فوتوغرافية لترافقهم بقية حياتهم، بعد هذا اجتمع مع كل واحد بمفرده لتوديعه نهائياً.

بدأ بزوجته، قام بتسليمها بعض المستندات الإدارية الخاصة بالميراث وديونه والتأمين والضرائب ووصيته الأخيرة. تحدث أيضاً بخصوص إصراره على التدخين

ومحاولاتها اليائسة لإخراجه من محنته، أراد من خلال هذه المقابلة أن تعرف أنه لا يلومها؛ لأنها عملت المستحيل لإنقاذه، ذكرها أيضاً بعلاقته بها والحب الذي يكنه لها والحياة السعيدة التي عاشها معها بفض النظر عن النهاية المأساوية.

أعطائها رسالة موجهة إلى ابنته (أورور) وأخيها القادم؛ ليخبرهما أنهما خلاصة حبه العميق لأمهما؛ ليخبرهما أيضاً أنهما ولدا لتلبية رغبته العارمة في وجودهما معه، متمنياً لهما التوفيق في الحياة ومستقبل زاهر، بعد ذلك أخرج ورقة تحمل رسالته الأخيرة إلى كل من يدخن.. وهذا هو مضمونها:

## المحجوب أنت

هو ضحية صناعة التبغ، وتواطؤ الحكومة المنافقة، ولد في 31 مايو 1979 وتوفي في 2003م، هذه آخر كلماته.

لقد وجدت السجارة لذيدة، ولم أكن أتصور أنها قد تكون طيبة وسيئة في الوقت نفسه.. أما أنتم فلا يمكن أن يتسلل إليكم الشك بعد اليوم.

في الرابعة عشرة من عمري أردت تقليد ابن عم لي، أردت أن أشبهه، كان عمره 24 سنة، ولما بلغت هذا السن توفيت.

قال الكاتب ترستان بوفارد: (يظن كثير من الناس أن المستقبل أمامهم، فلا يكترون ويعيشون ليومهم دون التفكير فيما سيحصل غداً، والنتيجة كما سوف ترون).

إلى كل من تظن وإلى كل من يظن أن السجائر مصدر الرفاهية ومنبعها، وإلى كل من يظن أنها وسيلة للسيطرة على النفس، والتحكم في القلق وإزالته والمحافظة على الوزن وتضادي البدانة، والتحكم في الوقت، والانفعالات وتحسين الحياة الاجتماعية وتقليد الآخرين.

إلى كل هؤلاء أتشرف باهدائهم هذا النداء.

إن صناعة السجائر لا تقوم بقتل الجسد فقط، بل تخدر العقول، تقوم بتخويفكم وإرعابكم؛ لكي تسلب منكم بعض المال بمشاركة الحكومة.

السيجارة في حد ذاتها مؤامرة مبنية على الكذب والغش والخداع، والخفايا، بعد أن أصبح كل شيء جلياً وواضحاً، حيث إنني أحببتكم جميعاً ولم يتبق لي سوى الدعاء والصلاة من أجلكم.

صديقتي المدخنة، صديقي المدخن، أطلب منك - أيتها الصديقة - وأطلب منك - أيها الصديق - باسم صداقتنا القصيرة الكف عن التدخين فوراً، افعلوا ذلك؛ تعبيراً عن تمسككم بهذه الصداقة الزكية الطاهرة، ولكي لا يتبخر وعدكم ويذهب هباء مثل الدخان أشكركم لو تكرمتم بتوقيعكم على الدفتر المرافق لبدلتي الخشبية، وسوف تقوم عائلتي بقيادتكم إلى الحرية، حرية التخلص من التدخين؛ لتجنبك النهاية المأساوية التي وصلت إليها اليوم.

الضحية هو أنا، ضحية (الفخ القاتل)، جريمة نكراء، جريمة متكاملة، قد تبقى ولزمن طويل دون عقاب، لكنك أنت أيتها الصديقة، وأنت أيها الصديق، تستطيع مقاومة قاتلي وملاحقته ومقاضاته. كيف ذلك؟ بكفك عن التدخين.

إذا فعلت ذلك، فسوف تتقذ نفسك أولاً، افعل ذلك من أجل نفسك، من أجل من تحب، ومن أجل كل من يحبونك، ومن أجل الامتناع عن الترويج للسجائر، هذه المادة القاتلة التي تحط من قيمة الإنسان، وتذله، هي السجارة القاتلة. انتهى.

ثم سلّمها قائمة تتضمن المدعويين لجنازته من بينهم أصحاب شركة السجائر، وإقامة الحفل الديني بعد عملية حرقه.

طلب من مصنع السجائر تزويد العائلة بكرتون من السجائر يوم الجنازة؛ لتُدمر السجائر في أثناء الجنازة وتُرمى العلب في الطريق أثناء توديعه إلى مثواه الأخير.

استطاعت زوجته أن تخبره ببعض التفاصيل، ثم التزمت الصمت، محتفظة بيد زوجها في يدها، بقي الزوجان على هذه الحالة عشر دقائق تقريباً.



طلب من أبيه عرض صور جسمه الهزيل بالفيديو لمكافحة التدخين.. قبل أبوه على مضض وصية ولده وأخذ يصوره بالفيديو، وطلب منه إرفاق صورة له، وهو يدخن إلى هذه الصور.. ستة أشهر قبل موته.

عبر له والده عن أسفه؛ لأنه كان قدوة سيئة له، حيث لم يتوقف عن التدخين إلا بعد أن غرق ابنه، لم يتوقف في الوقت المناسب كان بالإمكان إقناعه بالتوقف مثله، كان أبوه يلوم نفسه على أنه لم يحب ولده بما فيه كفاية. بدا (أنت) مرهقاً ولم بيد أي تعليق على ما قاله والده.

أمه كانت آخر من يزوره كانت في حالة سيئة جداً، لقد انتهت بعد مرض ابنها أنها ارتكبت أخطاء في تصرفها مع ابنها، أخطاء لا تغفر.

لقد واجهته في معركة شرسة، وبذلك منعه من التوقف عن التدخين. لم تتصور في أي لحظة أن السجائر يمكن أن تتسبب في نزاع يريد ابنها من خلاله إثبات شخصيته، كان الأفضل أن تشجعه على الكف عن التدخين بعد الاستفسار عن مضاره مثل ما يفعل أي إنسان عاقل.

تأسفت له على كل غلطة ارتكبتها في حقه، فاكتفى بابتسامة، واحتفظ بيد أمه بين يديه.

في آخر اليوم شرح له الطبيب المعالج ما يمكن أن يحدث له من ضيق تنفس في اللحظة الأخيرة والآلام الشديدة التي يمكن أن يشعر بها أيضاً، بالإضافة إلى ظواهر أخرى قد تحدث بعد العلاج الأخير، هناك احتمال أن يتعرض إلى نزيف حاد. انتابه خوف شديد، خوف من الاختناق في أي لحظة، كانت زوجته تنصت باهتمام إلى ما يقوله الطبيب، لم تكن تعرف كل ذلك؛ فالمسألة خطيرة جداً كما يتضح. كانت الحقنة الأخيرة تنتظر الأمر بالتدخل في أي لحظة.. للتخفيف عن المريض فقط.

وفي 27 مايو بدأ أبو (أورور) يشعر في المساء باضطرابات عصبية مخيفة، بدا عليه الاضطراب والقلق وساءت حالته أكثر فأكثر حتى فقد الاتجاه وفقد سلوكه،

بدأ يفقد الذاكرة أيضاً بالإضافة إلى تذبذب في النظر، كان يمر من حالة إلى أخرى في لحظات تارة يضطرب وأخرى يلتزم الصمت والهدوء، تغير مزاجه وأصبح يميل إلى العنف، ومن صباح الغد بدت عليه مظاهر الارتياح قبل العاصفة كما يقولون، أحس ببرودة شديدة في يديه ورجليه. تحجرت ساقاه مثل الرخام، أصبح يتنفس بصعوبة بالغة، أحس بثقل في صدره، أي شيء يبلعه لا يلبث أن يخرج عن طريق التبول أو عن طريق التبرز. عندما دخل إلى المستشفى أول مرة كان قد فقد الكثير من وزنه، أصبح يزن 52 كلف مع أن طوله يساوي 1.82م، أصبح لا يستطيع النهوض من الفراش، ولا يستطيع الأكل، رأت فلورانس أنه من الأفضل نقله إلى المستشفى؛ لأنه من المستحيل تأمين العناية اللازمة بالبيت، وافق الأطباء والزوج على ذلك وتم نقله إلى المستشفى.

تم وضعه في غرفة مزدوجة، سريره له وآخر للمرافق العائلي. كانت الغرفة هادئة ونورها معتدل، حضر المعالج بالموسيقا وسلم بعض الأشرطة إلى فلورانس، اختارت موزار لتسليته وطرده القلق عنه، استغلت الزوجة الفرصة للتمتع بموزار أيضاً، جاء ممرض وشرح لهما ما يمكن عمله في أي لحظة عند الضرورة، في أثناء النهار عبر أبو (أورور) عن عدم ارتياحه لإحساسه بالاختناق، حتى العلاج الإشعاعي أصبح غير مفيد. بدأ أفراد العائلة والمعالجون يعانون من مشكلاته، وخاصة معاناته من الجفاف في فمه والعطش الشديد، فكانوا يزودونه بالماء بصفة مستمرة ويزودونه أيضاً باللعب الاصطناعي لتعويض ما فقده من اللعب.

زوجته على وشك الولادة، سوف تضع مولودها الثاني في بداية يونيو؛ لذا تم تويمها بقسم الولادة بنفس المستشفى، تكفل الوالدان بالسهر على زوجها. وكانت تساعدتهما طبيبة في علم النفس.

في 29 مايو تعرض أبو (أورور) إلى ضغط في القصبة الهوائية بسبب تورم في الرئة، أصبح لا يستطيع بلع أي شيء، ولا يستطيع السعال، رجع إليه اللعب وبغزارة، وبدأ يتنفس بصعوبة وبصوت خشن، كان يتوقف عن التنفس من حين إلى آخر، فزاد

قلق والديه عليه، بدأ يتجرع الموت، تم حقنه بمنوم فنام فوراً، حاول المعالجون سحب اللعاب المتزايد دون جدوى، زاد ذلك من توتر والديه.

في 31 مايو بلغ أبو (أورور) 24 سنة، لم يكلمه أحد عن حملة محاربة التدخين كالعادة، كانت سلة الورود محملة بالأدوية التي يمكن أن تخفف عنه الموت المنتظر في أي لحظة، لقد فقد كل شعره، وأصبح هزياً جداً وصار لونه يميل إلى الرمادي الأصفر ويدها في غاية من النحافة، عيناه مفتوحتان، لكنه لا يستطيع الإجابة عن أي شيء.

فقد وعيه بالكامل في 2 و3 يونيو، وأصبح تنفسه يضيق وتتبعث منه رائحة لا تحتمل، انكمش المريض وأخذ شكل المولود، وهو في بطن أمه. مثل ولده الذي سيولد عن قريب، في 3 يونيو عند الساعة الثامنة وأحدى عشرة دقيقة تدهور النظام الشرياني التنفسي، واستفرغ أكثر من لتر من الدم؛ تلبية لرغبته ورغبة أهله لم يدخله الأطباء إلى العناية المركزة، ولكن تم حقنه بإبرة مهدئة، الحقنة الأخيرة، لفظ أنفاسه على الساعة الثامنة وتسع عشرة دقيقة، لحق بـ 2.067397 ضحية من ضحايا التدخين، بعد ثلاث ساعات وضعت زوجته مولودها (دميان). ولد يتيماً، أما أدباتريس وشركة السجائر، فقد فرحا بالمولود الجديد، على أمل أن يصبح مدخناً مثل والده.



## اختبارات لتحديد كمية النيكوتين

تأثير النيكوتين: اختبار فاجستروم:

ضع دائرة على ما يناسبك ثم اجمع العلامات التي تحصل عليها .

1 - كم من سيجارة تدخن يومياً؟

- أقل من عشر صفر

بين 11 و 20 1

بين 21 و 30 2

31 و ما فوق 3

2 - هل تدخن كثيراً في بداية اليوم؟

نعم 1

لا صفر

3 - كم يستغرق من الوقت بعد نهوضك من النوم قبل البدء في تدخين أول

سيجارة؟

5 دقائق 3

من 6 إلى 30 دقيقة 4

بعد أكثر من ساعة صفر

4 - ما هي السيجارة التي تعدها ضرورية؟

الأولى 1

أي واحدة صفر

5 - هل تجد صعوبة في الانتظار بعدم التدخين في أماكن ممنوعة التدخين؟

نعم 1

لا صفر

6 - هل تدخن عند تدهور صحتك ويجبرك ذلك على البقاء في الفراش؟

نعم 1

لا صفر

النتائج:

من صفر إلى 3: تأثير النيكوتين قليل أو غير موجود.

من 4 إلى 7: تأثير معتدل أو جيد.

من 8 إلى 10: تأثير كثير.

في الحالة الأولى القليلة التأثير يمكنك التوقف عن التدخين دون مساعدة.

في الحالة الثانية والثالثة يفضل طلب المساعدة.

المراجع:

فاجستروم تست، لتأثير النيكوتين ومراجعة ما هو مسموح به وفقاً لاختبار

فاجستروم، أسئلة 1991 Brit-j-addiction رقم 86 بي 1127-1119.

تبعية الشباب إلى النيكوتين:

1 - هل تشعر بالرغبة في التدخين أكثر فأكثر بمرور الوقت؟

2 - هل مذاق السجائر يبدو لك متلاشياً شيئاً فشيئاً؟

3 - هل عند توقفك عن التدخين لمدة معينة تشعر دون استطاعتك تفسير ذلك  
بأثنين على الأقل من الظواهر الآتية؟

● حدة الانفعال.

● الحاجة الملحة إلى التدخين.

● القلق.

● الحزن.

● التعب.

● صعوبة النوم.

● زيادة الشهية.

● السعال.

● تقرح بالفم (قلاع).

● صعوبة في التركيز.

4 - هل حاولت يوماً من الأيام التدخين للتخلص من هذه الظواهر؟

5 - هل ترغب في التدخين أكثر مما كنت تأمل في تدخينه عند بدايتك؟

6 - هل حاولت التوقف عن التدخين، وهل ترغب في ذلك؟

7 - هل تضيّع كثيراً من وقتك في البحث عن السجائر، أو في التدخين؟

8 - هل قلصت من مزاولة الرياضة بسبب التدخين؟

9 - هل تدخن بالرغم من أنك تعرف أن التدخين مضر بالصحة؟

إذا كانت الإجابة إيجابية على ثلاثة من هذه الأسئلة، فالنيكوتين يسيطر على الشخص.

المراجع:

Bronconeumop 2004 N. 39 page. 303-. ،M.L.et vopp جيمناز كليمانت

Tabac actualites N.46 Fevrier 2004 - Adaete par cde kock e-sante.be

سلم الترغيب والتحفيز على التوقف عن التدخين.

إذا كنت مضطراً للتوقف عن التدخين حالياً، فأحدد الرغبة والتحفيز كالاتي:

صفر = درجة التحفيز لا شيء، 10 درجة التحفيز الدرجة الأعلى.

من 0 إلى 10

9-8-7-6-5-4-3-2-1-0

إذا كانت النتيجة من 7 وما تحت يمكنك أن تسأل نفسك عن الحوافز.

حدد قائمة بالأسباب واستغن بمزايا القرارات التي ستتخذها.

تذكر أن 60% إلى 80% من المدخنين يريدون التوقف، لاشك أنك تريد أيضاً

التوقف.

## ميزان القرارات

باتباع السهم قم بتوضيح ما يأتي:

+ ما هو الشيء الذي تحبه في التدخين حالياً؟

- وما هو الشيء الذي لا تحبه حالياً في التدخين؟

- وما الذي سيكون سلبياً إذا توقفت عن التدخين؟

+ وما هو الإيجابي إذا توقفت عن التدخين؟

أدخن	أوقف
+	+
-	-

الجزء الأعلى يسمح لك بالتعرف على العناصر التي تجعلك تفضل متابعة التدخين.

الجزء الأسفل يوضح لك العناصر التي تجعلك ترغب في الابتعاد عن التدخين.

المراجع:

جاني ومان Janis and Man



## ميزان الثقة في النفس

إذا كنت مضطراً أن تتوقف عن التدخين، فأحدد مقدرتي على النجاح في هذه المهمة بين...

صفر= غير قادر على تحقيق ذلك، 10= ليست هناك أي مشكلة في تحقيق ذلك.

0-1-2-3-4-5-6-7-8-9

إذا كانت نتائجك من 7 وما تحت، فيمكنك أن تسأل نفسك، وتستعين بطبيب مختص في التدخين

## الجاهزية للتغيير

أنا أعرف أن التوقف عن التدخين سوف يغير كثيراً في حياتي: أنا أعتبر نفسي:

غير جاهز (غير جاهزة) غير متأكدة (متأكدة) جاهز (جاهزة)

هذا السلم يسمح لك بتوضيح جاهزيتك للتوقف عن التدخين، هل التوقف أولوية؟ هل أنا جاهز (جاهزة) وهل باستطاعتي التوقف؟

المراجع: Adaptation de Rollnick Masson Burler 1999

## ما هي احتمالات نجاحي؟

1 - اشتريت (الفخ القاتل).

- تلقائياً بقرار من نفسي، بتوصية من طبيبي، بتوصية من العائلة.

2 - لقد توقفت عن التدخين منذ أسبوع.

3 - حالياً لا توجد مشكلات بخصوص العمل.

4 - حالياً ليس لي مشكلات عائلية.

5 - أريد التحرر من عبودية السجائر.

6 - أمارس الرياضة أو أظن أنني أمارسها.

7 - أريد أن أكون في لياقة جيدة.

8 - أريد المحافظة على مظهري.

9 - أنا حامل وأهلي ينتظرون قدوم المولود الجديد.

10 - لدي أطفال في سن الطفولة.

11 - معنوياتي مرتفعة حالياً.

12 - أنا متعود على النجاح في أي مهمة أقوم بها.

13 - طبعي يتسم بالسكون والهدوء.

14 - وزني دائماً ثابت.

15 - أريد الوصول إلى مستوى معيشي أفضل.

إذا حصلت على أكثر من 12 نقطة، فيمكنك الشروع في التوقف عن التدخين دون مساعدة، لكن لا تثق في نفسك كثيراً ويمكنك طلب المساعدة من الأهل أو من العمل.

إذا حصلت على أقل من 12 فمن الأفضل طلب المساعدة من جهة مختصة.

المراجع:

Adaptation selon. D.G.S .Dapres. Demaria. C. Grimaldi-b-laquie-g.

(Valeur predictive des tests psychologiques dans le service tabagique).

Sem-hop- paris 1999 N040P2455-2456.

## معقول، هل هذا ما قرأت؟

ضع علامة (صح) على ما تراه صحيحاً، وراجع النتيجة في آخر الكتاب.

1 - نجد في دخان السجائر ما يأتي:

أ - 10 مركبات.

ب - 100 مركب.

ت - 1000 مركب.

ث - 4000 مركب.

2 - هل أول أكسيد الكربون (CO) الموجود بالدخان

أ - يعطر السجائر؟

ب - يزيد في الشهية؟

ج - يحدث أضراراً بالأوعية الدموية؟

3 - ما هو المرض غير الناتج عن أحادي أكسيد الكربون

أ - الالتهاب الشرياني؟

ب - الأنفلونزا؟

ت - نزيف المخ؟

ث - الفرغرينة (التي تتطلب البتر)؟

ج - الذبحة الصدرية؟

4 - هل أكسيد النيتروجين الموجود بالدخان

أ - يدمر الغشاء المخاطي؟

ب - يدمر الملتحمة؟

ج - يزيد من القدرة الجنسية؟

د - يحدث اصفراراً باليد والأسنان؟

5 - هل الأمونيا التي تضاف إلى السجائر

أ - تسبب انتفاخ الرئة؟

ب - تسهم في سرعة توزيع النيكوتين في الجسم؟

ج - تصلح لتنظيف الأثاث وإزالة الدهان عليها؟

6 - هل الذرات التي تتحرر مع الدخان في الهواء

أ - تشعرك بالحرية؟

ب - تسهم في انسداد القصبات الهوائية؟

7 - المواد المهيجة الموجودة بالدخان تسبب:

أ - الصداع.

ب - العصبية.

ج - الأرق وقلة النوم.

د - الدوخة.

هـ - الغثيان.

و - الضحك.

ز - الاستفراغ.

ح - حساسية الأنف والحلق والرتتين.

ط - سرطان المسالك البولية.

ي - التهاب الخصية الحاد.

ك - تحسين لون البشرة.

ل - يسبب التعب.

م - يغير الطعم.

ن - يحدث أضراراً حادة بالرئة.

س - يسهل الاسترخاء.

8 - هل يحتوي دخان السجائر على

أ - مزيل للبوية؟

ب - مواد تزيد في الشباب؟

ج - مواد مضادة للعثة؟

د - مواد دافعة للتدخين؟

هـ - مواد دافعة للدخان؟

و - صابون؟

ز - مواد مشعة؟

ح - مواد مضادة للحشرات؟

9 - كل نفخة للسجائر لها الحجم الآتي:

أ - من 4 إلى 9 ملل.

ب - من 40 إلى 400 ملل.

ج - من 400 إلى 900 ملل.

10 - يتسرب من كل سيجارة:

أ - من 4 إلى 9 ملايين ذرة.

ب - من 4 إلى 9 مليار ذرة.

ج - من 4000 إلى 9000 مليار ذرة.

11 - الادعاءات التي تقوم بترويجها شركات التبغ هي:

أ - حياة سليمة.

ب - حياة سعيدة.

ج - حياة اجتماعية متفتحة.

د - التدخين يولد البهجة.

هـ - التدخين يسبب الاسترخاء.

و - التدخين يقيك من السرطان.

ز - التدخين هو أحد رموز القوة.

ح - التدخين هو رمز الرجولة.

ط - التدخين يوصلك إلى الرجولة.

ي - التدخين يساعدك على الابتكار.

ك - التدخين = الإبداع.

ل - التدخين من مظاهر النخبة.

12 - النيكوتين:

أ - يزيد في الضغط الشرياني.

ب - هو صديق القمل.

ج - يضيق الأوعية الجلدية.

د - يسبب نريف المخ.

هـ - يزيد من قدرة التنفس.

و - يسبب الموت المفاجئ.

13 - أصحاب مصانع السجائر يعرفون أن منتجاتهم لا تشكل أي خطورة، ولكنهم يعرفون أنها تسبب سرطان الرئة منذ:

أ - 1933.

ب - 1953.

ج - 1993.

14 - مادة الأمونيا المضافة إلى السجائر تميل إلى:

أ - الحديث عنها.

ب - زيادة حاسة التذوق.

ج - تظليل المكائن الخاصة بفحص المدخنين وتزويد المدخن بكمية أكبر من

النيكوتين.

15 - التدخين السلبي:

أ - له رائحة عطرية لطيفة.

ب - يسبب حساسية العينين.

ج - يسبب حساسية الأنف والحلق.

د - يسبب الدوخة.

هـ - يثير الحساسية.

و - يسبب الإحساس بالدوران والغثيان.

ز - يسبب أضراراً بالأذن الداخلية والتهاب الأذن.

ح - يسبب الربو والسعال وكثرة البزاق والتصفير في الصدر.

ط - يعطي رائحة طيبة للضم.

ي - له تأثير سلبي على نمو الرئتين.

ك - يمكن أن يتسبب في موت الجنين فجأة.

ل - يتسبب في الالتهاب الحاد للجهاز التنفسي.

م - ليس أخطر من شرب كأس حليب.

ن - يزيد 25% في نسبة الإصابة بسرطان الرئة بالإضافة إلى المخاطر القلبية.

س - يضاعف من خطر المشكلات الخاصة بالأوعية الدموية والمخ.

ع- يسبب الأمراض التنفسية والربو والتهاب الرئتين والاختناق.

ف- هو أقل خطورة من مصاحبة البيغاء المصري.

16 - لو قمنا بتعبئة زجاجة بالدخان، فهل الذرات

أ - تبقى 16 ساعة داخل الزجاجة إذا أحكمنا إقفالها؟

ب - تتبخر كلياً مع التدخين؟



ج - تبقى موجودة خلال 8 ساعات إذا كانت الزجاجاة مفتوحة؟

17 - التدخين والحمل، التدخين يزيد من:

أ - الخصوبة.

ب - الإجهاض والإسقاط قبل الأوان.

ج - الولادة قبل الميعاد.

د - خطر ألا يتجاوز وزن الجنين 400 غرام.

هـ - خطر التصفير التنفسي.

و - التخلف العقلي.

ز - تقليل العاطفة.

ك - موت المولود فجأة.

18 - صناعة السجائر والشباب:

أ - قامت الشركات المصنعة للسجائر بإجراء دراسات حول أطفال لهم من العمر 3 سنوات.

ب - الشركات المصنعة للسجائر لا تهتم لا بالأطفال ولا بالشباب.

ج - هل صحيح أن هواة سباقات الفورميولاون هم أكثر تدخيناً من غيرهم؟

د - هل صحيح أن شركات صناعة السجائر تمول السهرات الموسيقية؟

19 - الدعاية المباشرة أو غير المباشرة للترويج إلى التدخين تستخدم:

أ - التجميل.

ب - الرفاهية.

- ج - المغامرات.
- د - الخطر.
- هـ - الصداقة.
- و - الطبيعة.
- ز - الرياضة.
- ح - الصحة.
- ط - الثقافة.
- ي - البطولة والشهرة.
- ك - الشجاعة.
- ل - الحرية والتحرر.
- م - الرشاقة.
- ن - الشيوخوخة.
- س - الحياة النشطة.
- ع - التمرد.

20 - تقوم صناعة السجائر بتمويل مشاهد تروج للتدخين:

- أ - في أفلام الرسوم المتحركة.
- ب - خلال الصلوات بالكنائس.
- ج - في الأفلام.
- د - في التلفاز.

- تقوم بأعمال خيرية.
- تقوم بإغراء وسائل الإعلام.
- تقوم بتشجيع البحث العلمي.
- قامت بإغراء منظمات دولية.
- تم استغلالها من طرف الحكومات.
- قامت بإغراء المطاعم وزيائهم مدخنين وغير مدخنين بدعايتها (لنبقى مؤدبين).
- قامت بإغراء الرأي العام.
- احتالت على القوانين التي تمنعها من اللجوء إلى الدعاية.
- قامت بتأخير كل الإجراءات الخاصة بمنع التدخين أو إبطاله.
- نظمت عمليات التهريب.
- تهريت من القوانين بواسطة الإنترنت.
- شوشت المعلومات بواسطة الإنترنت.
- استخدمت في صناعتها 1400 مادة مضافة.
- حطمت احتكار بعض الأسواق واستفلتها لصالحها.
- استفلت أموال أوروبية عبر المزارعين والمهريين.
- استمرت في الكذب خلال 14 سنة بخصوص علاقة السجائر ببعض الأمراض.
- قامت بإجراء تجارب جينية.

- تستحق جائزة نوبل للسلام.
- أسهمت في زيادة فقر الفقراء ونهب خيرات العالم الثالث.
- أسهمت في تدمير الغابات.
- أدخلت الرشوة والفساد إلى كل الفئات.
- قاومت كل من يدافع عن الصحة البشرية.
- رفضت الإفصاح عن عدد المواد المضافة إلى السجائر.
- قامت بتنظيم حملات ضد من يدافعون عن المدخنين.
- قامت برشوة الأحزاب السياسية.
- تسبب في موت شخص كل ست ثوان ونصف الثانية.
- تسبب في موت 4.9 مليون شخص سنوياً.
- سوف تقتل ملياراً من زبائننا خلال القرن الحالي.
- 22 - إذا توقفت عن التدخين سوف أستطيع:
- قياس معدل دقات قلبي.
- تحسين حالة القصبات الهوائية.
- التخلص نهائياً من السعال.
- أحسن تنفسي.
- سوف أستطيع حياكة الكنزات (امرأة).
- أنام بعمق وأصحو دون شعور بالتعب.
- أهضم أحسن.

- التخلص من الصداع.
- أتخلص تدريجياً من مخاطر الأمراض الخطيرة (23 نوعاً من الأمراض).
- تحسين رائحة فمي.
- تحسين حاسة الشم وحاسة التذوق.
- التخلص من المخالفات بسبب السرعة المفرطة.
- تحسين لون البشرة وزيادة مرونة الجلد.
- إزالة نشافة الفم.
- زيادة أوقات الفراغ.
- يمكنني مزاولة الرياضة.
- التخلص من لون الأسنان والأصابع الصفراء.
- أستطيع السفر إلى الفضاء.
- كسب احترام من حولي.
- التخلص من الإرهاق.
- تحسين مردودي.
- التقليل من خطر الحوادث والحرائق.
- تغيير نمط حياتي.
- تحسين مظهري وصورتي أمام نفسي.
- التخلص من أكاذيب شركات السجائر.
- التخلص من تبييض 1500 يورو سنوياً منها 1100 يورو للضرائب على كل علبة

في اليوم.

## النتائج الصحيحة

1: د/2: ج/3: ب/4: أ، ب، د/5: أ، ب، ج/6: ب/7: كلها ما عدا السادسة والحادية عشرة والخامسة عشرة 8/0: أ-ج، د، هـ، و، ز، ك/9: ج/10: ج/11: كلها ما عدا السادسة (و)/12: أ، ج، د، هـ، و/13: ب/14: ج/15: كلها ما عدا الأولى والتاسعة والثالثة عشرة والسابعة عشرة: 16/أ، ج/17: كلها ما عدا الأولى/81: أ، ج، د/19: كلها ما عدا الرابعة عشرة/20: أ، ج، د/21: كلها ما عدا الأولى والسادسة والتاسعة عشرة/22: كلها ما عدا الخامسة والثانية عشرة والثامنة عشرة.

نتائج: 22 سؤالاً.



## العناوين والجهات التي يمكن الاستعانة بها

الجهات والمنظمات التي يمكن أن تفيدك بمعلومات أخرى أو يمكنها مساعدتك في التوقف عن التدخين.

فرنسا:

هاتف: معلومات حول التدخين 0825309310 زائد مفتاح فرنسا، مفتوح من الثامنة وعشرين دقيقة وذلك من الإثنين حتى السبت.

سوف يكون في استقبال مكالماتكم أطباء تدخين لمساعدتكم وتقديم النصيحة للتوقف عن التدخين.

- موقع إنترنت: [www.tabac-info-service-fr](http://www.tabac-info-service-fr)

يقترح عليكم ويزودكم بمعلومات ووسائل تساعدكم في التخلص من التدخين (تدريب) بواسطة إيميل أو مجموعة اختبارات أو بواسطة الجرائد.

- الديوان الفرنسي لمكافحة التدخين:

(OFT)، هناك دليل خاص بالفحوصات الطبية الخاصة بالتدخين.

- الجامعة الوطنية لمحاربة السرطان:

هي منظمة مستقلة ممولة من الجمهور، هي قريبة منكم بواسطة 103 أفرع عبر التراب الفرنسي.

لها ثلاث مهام اجتماعية: (البحث العلمي، ومساعدة المرضى، والحملات الوقائية).

موقعها على الإنترنت: [www.ligue-concernet](http://www.ligue-concernet)

- اللجنة الوطنية لمحاربة التدخين (CNNT)

تقوم بالمهام الآتية:

تطبيق قانون أفين الخاص بالتدخين في الأماكن العامة (كالمدراس والمطاعم،  
والمواصلات... إلخ).

حماية الناس من التدخين السلبي.

حماية الشباب من التدخين وحماية المرأة الحامل والآباء والشباب والطبقة  
الكادحة والأقلية الفقيرة والطبقة العاملة في المؤسسات... إلخ.

تساعد من يريد التوقف عن التدخين (تستقبل مكالماتكم، توجههم إلى المراكز  
المختصة في التخلص من التدخين).

الموقع: [www.cnct-fr](http://www.cnct-fr) يزود الموقع كل من يلجأ إليه بالمعلومات الجديدة عن  
التدخين، بالإضافة إلى إرشادات حول محاربة التدخين والقوانين الخاصة بذلك...  
إلخ.

العنوان: 31 شارع الجنرال ميشيل - بيروت

ف 75012 باريس هاتف: 33 (0) 155788511

E - mail [cnct@cnct.fr](mailto:cnct@cnct.fr)

### جامعة الحياة والصحة

تقوم بتقديم العلاج للمجموعات لمساعدتهم على إيقاف التدخين بواسطة  
مخطط الخمسة أيام) و(التحرر من التدخين) أجريت دراسة علمية أثبتت أن  
مخطط الخمسة أيام) أثبت فاعليته في معالجة الإدمان على التدخين، أما المقولة  
الثانية: (التحرر من التدخين) فهي مكمل لـ (مخطط 5 أيام)

Tel +33(0)164528708 E-mail: [lvsnct@chez-com](mailto:lvsnct@chez-com)

هاتف: +33 (0) 807825461



مؤسسة اللوكسمبورغ المقاومة للسرطان

تضع المؤسسة تحت تصرفكم:

خطاً هاتفياً لتقديم المشورة والنصيحة: 3524530331

الموقع بالإنترنت للاستعلامات:

www cancer.lu e.mail: FLcc@ pt.lu

بلجيكا:

فرع الوقاية من التدخين: مؤسسة الأمراض التنفسية.

(FARES) 56- Rue de la concorde - B1050 Bruxelles)

Tel: +32 (0) 2/512 2936 Fax: + 32 (0) 25123273

الموقع بالإنترنت ww Fares.be- Email: Preventiontabac@Fares.be

يقوم هذا الفرع الخاص بالأمراض التنفسية بتطوير الشؤون الصحية والتنسيق لمعالجة التدخين والتخلص منه، يقوم أيضاً بتقديم المساعدة للمعنيين بالشؤون الصحية والمعنيين بالشؤون التربوية والطلبة والجمهور بصفة عامة.. يضع تحت تصرف الجميع مجموعة وثائق ومراجع وخطابات وعناوين مفيدة للمساعدة على الإقلاع عن التدخين.

كل هذه الوسائل يتم الحصول عليها بالهاتف، أو بمراجعة الفرع، أو بزيارة المكتبة المخصصة لهذا الغرض.

خط هاتفي للمساعدة على الإقلاع عن التدخين/ مؤسسة مقاومة السرطان

بخصوص أي سؤال حول التدخين والإقلاع عن التدخين يمكن الاتصال بالهاتف

الآتي: (كل يوم من الثامنة صباحاً حتى السابعة مساءً). هاتف 080011100

(الإقلاع عن التدخين) تقوم بتزويد المدخنين وغير المدخنين بالمعلومات والنصائح الخاصة بأضرار السجائر، وما يقول القانون حول هذا الموضوع وما يقوله بخصوص حقوق غير المدخنين وكيف يمكنهم الدفاع عنها، العديد من المدخنين يلجؤون إلى المؤسسة؛ لتدعيمهم على طريقة التخلص من التدخين.

الجامعة الخاصة بالحياة والصحة

ومخطط الخمسة أيام و(التحرر من السجائر دون أدوية).

العنوان 11Rue Ernest allard B 1000 Bruxelles

Tel: + 32 (0) 25113680

سويسرا:

ملتقى الوقاية.

مركز الوقاية من التدخين.

CIPRET

5Rue Henzi christine-CH-1311 Geneve 4

شارع هنري كريستيني سي بي: جينيف 4

CP - 567 CH 1211

Tel: +41 (0) 223210011-

Email: caprev@iprolinkch.

الموقع بالإنترنت

www. Cipret.ch ou

www. Prevention.ch.

بواسطة هذا الموقع يمكنكم الحصول على أي شيء خاص بالتدخين وغير ذلك.  
وهناك أيضاً الموقع [www.stop.Tabac.ch](http://www.stop.Tabac.ch) لمساعدة المدخنين وتحفيزهم على الإقلاع عن التدخين.

تتوافر به العديد من الوسائل للإقلاع عن التدخين وتقام العديد من المناقشات حول هذا الموضوع، كما يقوم عدد من المدخنين ومن كف عن التدخين بالإدلاء بشهاداتهم حول هذا الموضوع، تتوافر أيضاً معلومات حول العلاج اللازم واختبارات خاصة بعلاقة المدخن بالسجائر وأعراض التدخين ومعالجته.  
تتوافر العديد من الكتيبات والملصقات مجاناً.

- الجامعة السويسرية لرعاية المدخنين

العنوان: 40Effingerstrasse-ch-3001 berne.

Tel: +41 (0) 313899246- Site [www-at-suisse.ch](http://www-at-suisse.ch).

الخط الخاص بـ (التوقف عن التدخين 0848000181) يقترح عليكم طريقة خاصة بعلاج ظاهرة التدخين، وتوفر لكم النصائح اللازمة والمفصلة.

- جامعة الحياة والصحة السويسرية

تقترح عليكم:

مخطط الخمسة أيام، من أجل التحرر من التدخين دون أدوية.

دروساً خاصة بالتدخين، بالإضافة إلى مختبرات متكاملة وتغذية خاصة لاسترجاع الشهية والرشاقة ومراقبة الأرق والتخلص من المعاناة النفسية.

العنوان:

chemin des pepinieres-cp 453- ch- 1020 Renens 19

Tel: +41 (0) 216325020

[www.vie-et-sante.ch](http://www.vie-et-sante.ch).

- اتحاد الكوبيبيك لمراقبة التدخين

أنشئ سنة 1996 وله اليوم 700 فرع في الكوبيبيك لمراقبة التدخين، له أعضاء بالبلديات والمستشفيات والمراكز الاجتماعية واللجان المدرسية ومراكز الشباب والجمعيات الطبية.

العنوان:

Rue saint Denis- Bureau 200 4128

Montreal (quebec) h2w2m5

Tel: 514-5985533

Fax: 514- 5985283

www. Cqct. Qc- ca

Email: coalition@cqct-qc-ca

Site: www eqct.qc.ca

معلومات حول التدخين - Tabac - ca info - www

يوفر خدمات حول التخلص من التدخين سواء بواسطة الإنترنت أو عن طريق الهاتف أو عن طريق البريد. يصدر مجلة معلومات حول التدخين.

تصدر 6 مرات في السنة منذ 1996م، يعد هذا المركز شريان الموقع (أكثر من 200.000 زائر في السنة) هو البوابة الكوبيبيك دون تدخين.

موارد المحترفين

يقدم مجموعة خدمات مجانية للأفراد والمجموعات مع المتابعة والتزويد بالنصائح لكل من يرغب في الإقلاع عن التدخين بواسطة الأدوية.

يوفر المراجع الخاصة بذلك بالإضافة إلى معلومات وافية بخصوص هذا الموضوع. هذه الموارد كما يسمونها توزع في أنحاء الكويبيك وتوجد في مراكز التوقف عن التدخين التي يبلغ عددها 150 مركزاً بالكويبيك.

لكي تتعرفوا على هذه المراكز يمكن الاتصال بـ:

خط خاص بالتزويد بالمعلومات والمساندة 4865277383

الخط الأخضر مجاناً.

يمكن مراجعة الموقع الآتي:

[www.info-tabaco.ca.rubrique](http://www.info-tabaco.ca.rubrique)

الخاص بمراكز الإقلاع عن التدخين.

يتوافر أيضاً 18 مركزاً خاصاً بالشؤون الصحية والشؤون الاجتماعية، وتوجد

أرقامها بالدليل الهاتفي واسمها Adrsss

إفريقيا الناطقة باللغة الفرنسية

مرصد التدخين بإفريقيا الناطقة باللغة الفرنسية

الموقع:

<http://otaf.globalink.org>

[email:otap-sp@yahoo.fr](mailto:otap-sp@yahoo.fr)

إس - أو - إس التدخين (النيجر)

ص.ب 10763 نيامي النيجر

هاتف: 00227739591

Email: [Inoussa-saouna@yahoo.fr](mailto:Inoussa-saouna@yahoo.fr)

جان بيار سيشلارو: اسم الكاتب

إذا أردت الاتصال بالكاتب الموضح اسمه أعلاه اتصل:

بخصوص الكتاب:

[lepigefatal@yahoo.fr](mailto:lepigefatal@yahoo.fr)

بخصوص التدخين:

[ciechelro@globalink.org](mailto:ciechelro@globalink.org)

إذا كانت لديك رغبة في الاستمتاع.

موقعنا هو:

[www.editions-jouvence.com](http://www.editions-jouvence.com)

استمتع مباشرة ب:

كل ما هو جديد (45 كتاباً جديداً سنوياً).

بواسطة كتابنا: جوفانس تولى اهتماماً كبيراً بشخصية كتابها، ونوعيتهم.

نوفر لك كتالوج: يحتوي على 300 عنوان.

دار النشر جوفانس مستعدة لاستقبال مكالماتكم ومخاطباتكم لها. متسعدة

للإجابة عن كل رسائلكم واستفساراتكم.

اكتشفوا هذا عبر موقعنا.



## خطابات شكر وتقدير

إنها لمغامرة كبيرة لولادة هذا الكتاب، مغامرة لم تكن بالسهلة لولا مساعدة اختصاصيين وأصدقاء خلال 3 سنوات.

بخصوص الجزء الطبي منه أكن التقدير والاحترام وأوجه شكري لـ:

- الطبيب ديدي فان درستايشل (المدير العلمي للجمعية البلجيكية) المقاومة للسرطان، كما أتوجه بالشكر إلى السيدة دودون (المسؤولة عن المراجع والمستندات)، لقد وفروا لي كل المعلومات الخاصة بإنجاز (Benzo) (بنزو).

- سعادة المدير لمنظمة فارس، وهو الأستاذ والطبيب بياربارتش الذي يدرّس مادة التهاب الرئة بجامعة لياج ببلجيكا، لقد زودني ببعض الدروس الخاصة بالسرطان وشرحها لي، وعرفني على أطباء متفحّين ومتحمسين لمشروع هذا الكتاب، وهو مشكور على تزويده لي بالمقدمة.

- سعادة الطبيب ليونيل بوسكي متخصص في الأمراض الصدرية ومسؤول عن وحدة الأمراض الصدرية، في مستشفى القلعة بمدينة لياج.

لقد سمح لي بالكتابة في أمراض الرئتين وقام بمراجعة ما كتبت، فهو طبيب يتمتع بإنسانية لا مثيل لها، هو الطبيب والفيلسوف المتمكن يمتهن مهنة الطب بإتقان وتفان.

- سعادة الطبيبة كوليت روكيبة متخصصة في أمراض الرئة أيضاً مسؤولة عن الفريق الطبي المتنقل بالعلاج والتهديئة بمستشفى نوتردام دوبرويار، بمدينة لياج أيضاً، هي أيضاً رئيسة مستوصف الجامعة بالمدينة نفسها، لقد قامت بتوجيهي وتصحيح الجزء الأخير من الكتاب: ليتماشى مع الحقيقة والواقع.



- إلى السيدة (ألفيا نايريو) المريضة في العلاج والتهدئة التي زودتني بمعلومات كثيرة، وقد زودتني أيضاً بخلاصة خبرتها الطويلة وساعدتني في تصحيح بعض المعلومات.

- إلى السيد لولين لوسفيلد المسؤول عن مكتبة فارس الغنية بالكتب والمراجع.

- إلى الأستاذ (جيرار دويوا) أستاذ (الصحة العمومية) ورئيس (الاتحاد الفرنسي لمقاومة التدخين)، من خلال محاضراته وكتابه (ستارة الدخان) ومن خلال معركته الدائمة ضد التدخين، فقد أسهم في إعداد هذا الكتاب، بالرغم من أعماله المتواصلة وأوقاته المفضوطة.

فقد استقبلني وقرأ ما كتبت واطلع عليه وشجعني على ما أكتب.

بما أنه رأى أن في هذا الكتاب فائدة كبرى للوقاية والعلاج من التدخين، فقد قام بالتكرم بإهدائي المقدمة الأولى من هذا الكتاب.

- إلى الأستاذ (مارسيل فريدمان) أستاذ فخري في جامعة مونس ببلجيكا في كلية علم النفس، لقد قام بتصحيح الكتاب، حتى لا تتسرب إليه أخطاء في علم النفس.

- إلى الطبيب (جان شارل ريال) من سويسرا مؤسس ومسؤول عن تشغيل (منظمة الوقاية من التدخين (CIPRET)، كتب العديد من الكتب والمراجع وقام بكتابة واحدة من الأربعة مقدمات لهذا الكتاب.

قام بمهاجمة شرسة لما يسمونهم رجال العلم والمال، وقد عادى الكثير من شركات التبغ بسوسرا، بالإضافة إلى معاناته من السلطات القضائية التي جعلته يعيش ليالي بيضاء.

إلى لويس غوفان رئيس اتحاد الكوبيك لمراقبة التدخين، بالرغم من الأعباء المنوطة إليه، فلقد زودني بمقدمة والكثير من التعليقات. بما أنه من المقاومين

الشرسين لكل ما هو غير طبيعي فقد وجد في (الفخ القاتل) وسيلة جديدة لمحاربة التدخين في الكوبيك، وجد في الكتاب ما يسليه ويرضيه.

أما بخصوص الجانب الكتابي، فجزيل الشكر لكل هؤلاء:

- السيدة آري جان لوكليرك واحدة من منابع الثقافة، قامت بتشريح كتابي أولاً بأول ثم صفحة صفحة وسطراً سطرأً. وربما كلمة كلمة؛ لتتقيحه وإخراجه على أحسن وجه.

- السيد (مارك يانسن) الذي راجع الكتابة، وأهمية العقدة بالكتاب وإيقاع الأحداث والتكرار.. هو أيضاً يستحق الثناء والشكر ويستحق كل تقدير، للأسف لقد اكتشف في أثناء قراءته للكتاب أنه مصاب بالسرطان.

هناك قارئات وقراء آخرون أسهموا في هذا الكتاب ونقده أوجه شكري بصفة خاصة إلى كل من آرثر كرووني، وماري باتري، واليزابيث فان تور هوت، وهوغو إليسيس الذي يعرف جيداً الشتم الإيطالي آن ماريات، والبروفسور لورانس كالفتي.

بما أن الولد أصبح جاهزاً، بقي أن نرى مدى تأثيره على التدخين وخلوه من التأثير السلبي ومدى تأثيره إيجابياً، مريشال بوبو متخصص في علم النفس والسلوك بصفة خاصة ومتخصص في معالجة التدخين قام بتقديمي إلى الممرضة باسكال فاندرستابن التي ساعدتني على معرفة أن 17% ممن قرؤوا الكتاب كفوا عن التدخين خلال قراءة الكتاب أو عند نهايته، 57% آخرون قرروا التخلي عن التدخين خلال الأشهر القادمة و38%، لم يبدوا رأيهم في ذلك. ودون إبداء أي تعليق سلبي بالرغم من نقدهم للعديد من المقاطع.

أريد أيضاً توجيه الشكر إلى ماريان نيفس التي أسهمت في إثراء الكتاب بالمصطلحات الخاصة بالتدخين، وخاصة من (أنت) المدخن سابقاً.

أريد أيضاً توجيه الشكر إلى جاك مير مدير دار النشر جوفانس، الذي قرر نشر كتابي، لقد ورط نفسه في قضيتين واعتبرهما قضية عادلة، وقام من أجلها

بتجنيد كل الوسائل لإنجاح هذه المغامرة العظيمة، لا أجد إلا الانحناء أمام هذا السيد، وكل من عمل معه لإخراج هذا الكتاب إلى النور، وأخص كل واحد باسمه، وهم:

ميشال وكريستوف على ابتكاراتهم الكتابية الرائعة، ولا أنسى فيليب وفيروز، وكاترين ونيللي على فن الكتابة، وأوجه الشكر والعرفان إلى إستيل التي قامت بالقراءة النهائية للكتاب قبل تجليده، لقد أسهمت كثيراً في تحسين النصوص وانتقاء الأفعال المؤثرة.

شكراً للجميع، شكراً لكل المدخنين الذين رافقوني، لقد تعلمت منهم الكثير، وعلموني ما لم أكن أعلم.

شكراً أيضاً إلى كل من قرأ الكتاب واستفاد منه وتعرف من خلاله على هذه الظاهرة السيئة، شكراً لمن ترك التدخين بعد قراءة هذا الكتاب، توقفهم عن التدخين هو أجمل شكر يوجهونه لي ولن أسهم في إنجاز هذا الكتاب، شكراً لزوجتي وأقربائي والآخرين الذين تفهموا الغرض من هذا الكتاب الذي سيسمح لهم تفهم من هو المدخن، ومن هو غير المدخن.



في 12 يوليو 1993 وقع إيمي (المحبوب) في الفخ، لقد ابتلعتة أجمل (مكنة) نقود في تاريخ البشرية: إنها صناعة التبغ.

فوراً، قام مبعوث خاص بالشروع في تدميره بطريقة نظامية ومنظمة، اشترك في هذه المؤامرة، جيش مكون من كيميائيين ومحامين وباحثين وأصحاب نفوذ مالي وصنّاع دعاية وإعلام وآخرين، وحتى الدولة شاركت في حيك هذه الشبكة وإحكام غلقها.

كل شيء مباح: الكذب، التضليل، الغش، التحكم، التزوير بكل أنواعه، بالإضافة إلى الرشوة والسرقة، والضغط القضائية، واحتقار البشرية.

أستخدم كل شيء لجني الأموال وباسم المال.

تأكد أن الهدف من الكتاب هو العلاج، فهو موجّه للمدخنين ومَنْ حولهم، إنه أداة فاعلة دافعة إلى إيقاف التدخين ومحو الأوهام التي تسيطر على كل مدخن، والملاذات التي يتصورها.

فهو كتاب مؤثر، ورواية أخاذة، تستهويك حتى آخر صفحة.

تقمص الكاتب دورين، دور الكاتب المتمكن والمحقق الدقيق؛ فالقارئ يشعر فوراً أن هذه القصة سنتهي بكارثة.

لقد أبدع الكاتب في التحقيق والكتابة العلمية والتحليلية لوصف هذه الجريمة البشعة.

### شهادة القراء:

«لقد أحببت طريقة الكاتب في إيصال الرسالة إلى المدخنين، ولا أرى طريقة أخرى أفضل منها، ولا أريد غيرها».

«لقد استخلصت من قراءة هذا الكتاب ما يأتي: أنا مجرد حمامة مغلّفة؛ لقد قمت بتحديد موعد مع الدكتور المعالج للتدخين قبل أن أنهى قراءة هذا الكتاب، شكراً».

**جان بيير سيشيلرو:** مشواره حافل بالإنجازات والابتكارات، مهندس متخصص في التغذية، كان موزعاً ومستشاراً في الوقت نفسه، وبعد أن درس تخصصاً جديداً أصبح طبيباً معالماً للتدخين، له رؤية مبتكرة ومجددة في معالجة ظاهرة التدخين، وتخليص المدخنين من هذه الظاهرة السيئة والمدمرة. يعمل لحسابه الخاص، كما يعمل داخل المؤسسات والشركات.

ISBN:978-9960-54-370-3



ORD:000307-1

موضوع الكتاب: التدخين والصحة

موقعنا على الإنترنت:

<http://www.obeikanbookshop.com>